الرحلة إلى كلام الله

كرحلة الأنبياء والمرسلين من ابتدائها إلى تحقق غاياتها



تأليف
توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي




الرحلة
إلى كلام الله



القسم الأول

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا.

أما بعد،،،

فبين أيدينا كتاب الرحلة إلى كلام الله تعالى والذي أسأل الله أن يجعله باعثًا للأبناء لحفظ القرآن والتخلق بأخلاقه، وأن يكون نبراسًا لمعلم القرآن يوضِّح له الطريق لكي يكون معلمًا ربانيًا يربي طلابه من حفظة كتاب الله كما كان السلف الصالح يفعلون اقتداء بالنبي ﷺ، وقد تناولت فيه ثلاث عشرة كلمة مواضيع كلمات هي في تقديري - في غاية الأهمية فكانت كالتالي: **الكلمة الأولى** وفيها بيَّنت أهمية التدبر والتفكر في آيات القرآن الكريم وهو الغرض الرئيس الذي من أجله أُنزل القرآن وهو التدبر ثم العمل به، ووضحت فيها كيف يعود لنا التدبر في آيات القرآن بعدما أصبح غالب الأمة يقرأه كقراءة الصحف دون فهمٍ لمراد الله، ثم في **الكلمة الثانية** وقد بينت الفرق بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وما وجه التماثل والافتراق بينهما، ثم بسطت الكلام في **الكلمة الثالثة** عن صفات عباد الله المصلحين الذين يتمسكون بالقرآن ويجعلون غيرهم يتمسكون به والتي أحق من يتصف بها هم حملة كتاب الله، ثم شرعت في **الكلمة الرابعة** في بيان كيفية تثبيت حفظ القرآن وأهمية تعاهده لئلا يتفلت والطريقة المثلى لتعاهده، وأفردت **الكلمة الخامسة** لبيان جزئية مهمة من ضمن تعاهد القرآن ألا وهي ناشئة الليل وهي قيام الليل بالقرآن



الكريم وأَثَرُ ذلك على حامل القرآن في تثبيت حفظه وفي سلوكه ظاهرًا وباطنًا، ثم **الكلمة السادسة** والأخيرة تناولت فيها عوائق التعاهد ليلًا التي سوف تقابل حامل القرآن وكيفية التغلب عليها.

هذا والله أسأل أن ينفع به معلم القرآن وطالبه وجميع المسلمين، وأن يرزقنا القبول، وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



الكلمة الأولى:

﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾

الكلمة الأولى: ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ﴾

المقدمة: صبغة رحلة الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

لقد استمر رحيل النبي ﷺ هنا وهناك يسأل هذا وذاك إلى أن أخذ بالصعود إلى غار حراء .. مكث متدبراً في خلوة وفضاء إذ هو أقرب ما يكون إلى السماء وهو في ضيق وعناء من هذ الشرك الذي عَمَّ وطَمَّ ومازال مواصلاً الرحلة والرحيل وما عاد بعدها إلا بالقرآن العظيم للعالمين ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق] فكانت الرحلة بعد هذا مع القرآن وبقيادة القرآن وبصحبة القرآن وهل من مطلوب أجلَّ من حفظ القرآن وهل من صورة تتحقق فيها النبوة والرسالة من أولها حتى نزول الكتاب أصدق من حفظ القرآن الكريم والعمل به إلا أن الحافظ لا يوحى إليه ؟!

الرحلة مع حفظ القرآن الكريم رحلة مستمرة بالليل والنهار ... يتحصل بها كل يوم ما يتحصل من حفظ القرآن ... فإذا ما حفظ وِرْدَهُ في النهار رحل به... وبالليل يَعرُج بكلام الله إلى الله تبارك وتعالى روحاً وقلباً، وهو في كل يوم يرحل من بيته إلى بيت الله ليحفظ المقسوم له من كلام الله ... فهو في الحقيقة دائم العروج إلى الله تبارك وتعالى.

أما رحلة الفكر مع كلام الله في هذه الرحلة فهذا هو رحيل العقل الذي تتسع مسافاته، وتتنوع محطاته، وتتباعد عَوَالِـمُهُ، وتَعْظُمُ بحوره، وتغزر أعماقه حتى تكاد تزيع هنالك الأبصار وتذهب الألباب والأفكار من عظمة الأنوار.

ذلك أن الله سبحانه هو من يعرج بالعبد إلى حيث يشاء سبحانه ويرحل به إلى

مخلوقاتٍ لا يعلمها، وعوالم لمَ يدْخلها بشر، ومخلوقات موجودة وأخرى لم تُخلَق بعد.

وأعظم ما في رحلة القرآن وتعاهده هو أن يرحل الله تبارك وتعالى بعبده إليه وليعرّفه بنفسه سبحانه بنفسه تبارك وتعالى.

قال الله تعالى: ﴿طه وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟
إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ
﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ
﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ
أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ
فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: ٩-١٦]

❁ في اللقاء الأول بالطلاب:

قَلَّبَ الشيخُ النظرَ في طلابه حين جلس لأول مرة لتعليمهم القرآن... وقد اشرأَبَّتْ أبصارهم إليه، إنهم يحاولون استطلاع مستقبلهم مع هذا الشيخ الجديد...
يستقرؤون صمته، ويستنطقون سكينته، ويستعلمون الأخبار عن حزمه، عن علمه، عن متابعته ومحاسبته، عن سماحته، عن التزامه بكلمته، عن صدقه ومصداقيته، عن سيرته...

أما معلّم القرآن فقد انطلق في الاتجاه الزماني المقابل لنظر طلابه... فلقد غالبته عَبْرَتُه فردَّها وغالبته دَمْعته فسدّ الطريق عليها، وذلك حين رجع به الفكر إلى اليوم الذي كان كهؤلاء الصغار في حلقة شيخه المبارك ذاك... رَجَع به الفكر يوم كان جوفه صِفْرًا أو شِبهَ صِفْرٍ من القرآن الكريم.. رجع إلى نقطة الابتداء في انطلاقته الأولى مع القرآن الكريم... وقد كان يفكر في شيخه الأول كما يفكر هؤلاء فيه الآن... فهو يتفرَّس في وجوههم وهم لا يشعرون، تمامًا مثلما يفعلون الآن وهو بهم عارف وهم لا يشعرون.

من هذهِ الجلسة الخفيفة القصيرة أصبح ينظر لنفسه يوم أن انتهى من حفظ الصفحة الأولى وتسميعها إلى شيخه.. فثبَّتها وثبَّتها، ولا يزال يتعاهدها حتى لكأنه نقلها بنفسها من المصحف إلى داخل صدره، أو كأنه صوَّرها بجهاز التصوير وجعل صورتها في داخل صدره وختم عليها؛ طبق الأصل.

ثم كانت الصفحة الثانية حيث انضمت إلى أُختها، ثم الثالثة والرابعة وهكذا اتسع

الطريق وانفسح، وتسارع المسير واشتد؛ آيات إثر آيات، وصفحات إثر صفحات، فأصبح البنيان لهذا الصرح الأعظم ... يضع لبناته الأولى بيديه في قلبه، لبنةً لبنة، وكلما وضع واحدة تمّمَ وضعها، وشدَّد ملاطها بالمسك والزعفران في سويداء قلبه، وهكذا وهكذا حتى شمخ بنيان القرآن في صدره واكتمل، لا نقص فيه أبدًا ولا خلل، ولن ينتقض بإذن الله إلى لقاء الله.

عاد المعلم بعد رحلته في ذاكرته إلى طلابه هؤلاء مُكَبِّراً، حامداً الله، شاكراً مستكثرًا فضل الله العظيم عليه هاتفًا: (الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر ولله الحمد) فلقد كان صدري مثل صدور هؤلاء صِفْرًا من القرآن أو قريبًا من الصفر!

فكانت لحظة حمدٍ خفيٍ حاضرٍ .. وشكرٍ جليٍ ظاهر، فأبكاه الحمد حياءً من عظيم نعمة الله عليه، وخرّ ساجدًا شكرًا لله على هذا المقام الذي رفعه الله إليه. مستحضرًا أحسن الاستحضار قولَ اللهِ تبارك وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[الشورى].

كيف لا نحتاج نحن أن نتذكر إذا كان الله تبارك وتعالى يُذَكِّر رسولَه ﷺ بحاله قبل القرآن، بحاله قبل النور كما في الآية السابقة؟! ... وكم نحتاج نحن أن يكون حالُنا بعد هذا الفضل العظيم بجمعِ اللهِ القرآنَ لنا في صدورنا مأخوذًا من حال رسول الله ﷺ بعدما منَّ الله عليه بجمع القرآن في صدره ﷺ .. ويكون شُكْرُنا لله على هذه النعمة من جنس شُكْرِه ﷺ ... وكيف أصبح نور القرآن في صدره ﷺ نورًا

للعالمين: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال سبحانه في أول سورة إبراهيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾ [النساء: ١٧٤-١٧٥].

ومن يدري لعل هذا أولُ شعاعٍ في إشراق شمسك وتَلألُؤ نجمك بإذن الله -تعالى- والشمس لن يكون إشراقها أول ما يطلع قرصها كما إذا طلعت في ضُحَاهَا أو توسَّطت سماها.

فيا لحلقة القرآن الأولى ما أعظمَ أثرَها في المسيرة القادمة كلها....

ويا لرسائل حلقة القرآن الأولى ما أعظمَ رسوخَ جذورِها، وما أسرعَ خطفتَها وأوضح صورَها وشخوصَها بل ما أجلى خفاياها.

نعم؛ عاد مُعَلِّم القرآن من رحلته مع القرآن وحفظه إلى نفسه إذ هو يتبوأ الآن مقعد التعليم، والحَمْدُ يملأ جوانحه ولسانه يلهج بـ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤]، إذ لا يجد في الحمد ودرجاته أبلغ من هذهِ الثلاث، فأصْغِ إلى إجابة الله على كل واحدة إذ العبد في صلاته.

(فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي)[1]، فماذا بعد الحمد، بل ماذا بعد الثناء بالحمد، بل ماذا بعد (مجدني عبدي)؟ إنه التمجيد وكفى! وأي صيغة من رب العالمين لقبول الحمد أكبر وأظهر من هذهِ الأجوبة الثلاثة على الآيات الثلاث الأولى... بل أي صورة أعلى في الإخبار بقبول الحمد من أن يباهيَ اللهُ سبحانه بحمد عبده له، فكل حمدٍ في كتاب الله العزيز فهذا الحمد يشمله ويتضمنه ويجمعه أليست هي أم القرآن؟ إذن فإن حَمْدَ أُمِّ القرآن هو أُمُّ الحمد كله.

أليست هي السورة الوحيدة التي سماها الله سبحانه سورة الحمد؟ أليست هي السورة التي لم ينزل في القرآن ولا في الإنجيل ولا في التوراة مثلها؟ أليست هي أم الكتاب؟... فإذا لم تكن هي الجامعة لكل مفردات المعاني الموجودة في الكتاب فماذا يعني كونها (أم الكتاب)؟!

واصل الشيخ حمده وقال: نعم؛ أدركتُ الآن أي نعمة أنا فيها الآن . . وأقول الآن عن نفسي خاصّة وليس عن أي واحدٍ سواي من المسلمين؛ عرفتُ الآن أنني لو لم أحفظ القرآن لكنت محرومًا من أعظم نعمة.

(١) صحيح مسلم (٣٩٥).

ولهذا أعود وأقول: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤].

اليوم أدركت أن الله بعدما وهبني الخير الأول في رحلتي الأولى: ها هو سبحانه يجعل قدمي على الطريق الأطول وهو أن يحقق لي الخيرية الثانية، وبهذا يكون قد جمع لي الخيريتين جميعًا؛ فَبَعْدَ مرحلة تَعَلُّم القرآن جاءت مرحلة تعليمه، وتلك التي قال فيها النبي ﷺ: (خيرُكم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ)[1].

الآن أدركتُ أي مقامٍ بَوَّأني الله عز وجل وأنا لا أدري.

الآن أدركتُ أن كل ما مرّ إنما كان أيام الغرس المبارك، وأما الآن فهي أيام الحصاد المبارك... ومَزِيَّة العمل مع القرآن هي أن كله حصاد من ابتدائه إلى انتهائه، في مرحلة التعلُّم وفي مرحلة التعليم، في دنياه وفي آخرته.

إلا أن حصاد اليوم هو في ذاته أعظم غراس فكما كنتُ أنا غراسًا من غرس مَن سبقنا مِن أهل القرآن فاليوم أغرس أنا بإذن الله في الأجيال الحاضرة والقادمة أكرم غرسٍ على الإطلاق؛ حفظًا للقرآن وعلمًا وخُلُقًا ودعوة وهذا عهد الله الذي سوف أحفظه، ورايته التي لن يخفضها أحد، ولا أزال على هذا ثابتاً ما تردَّد في صدري نفس، وشعاري في هذا: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ؛ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا)[2]... سائلًا الله تعالى أن يبارك فأزيد على ما غرسوا، ولهم الفضل عليَّ بما لهم من السبق، فإذا لم يتحول هؤلاء الطلاب جميعًا

(1) رواه البخاري (٥٠٢٧).

(2) صحيح الأدب المفرد (٤٧٩).

إلى حفظة للقرآن كاملًا... فلا أقل من أن يحملوا غاية، وأمانة، وإدامة، واستقامة.

❁ الجلسة الأولى هي الفسيلة الأولى:

والجلسة الأولى غالباً ما تكون هي الفسيلة الأولى والبذرة الأولى، بل الفكرة الأولى في الرحلة إلى غار حراء حيث انتهت رحلة الغار برحلة (اقرأ) ومن بعدها يأتي ما أوحى الله به كلاماً في رحلات جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ التي لا تنقطع.

فما دام أصل الكلمة الطيبة قد ثبت فلابد أن يرتفع فرعها في السماء بأمر ربها ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [إبراهيم].

فالارتفاع لفسائلك هذه من الأرض إلى السماء وبفروعها قادم، وإيتاؤها ثمرها كل حين بإذن ربها كذلك قادم وعظيم... فليحفظ هذا الطالب عندي أو عند غيري فاللهم وفِّقْه لذلك وللعمل بكتابك، واجعله مشروعًا عظيمًا للقرآن، واجعل لي نصيبًا في هذا المشروع بفضلك يا ذا الفضل العظيم وإن تطاول الزمان وامتدَّ الغرس إلى يوم القيامة.

ألا فلأُمَهِدَنَّ بإذن الله لهؤلاء الطلاب الأرض، ولأُزِيلَنَّ من أمام أعينهم العوائق، ولأُطَهِّرَنَّ لهم البقاع من كل آفة، ألا فلتشرق صدورهم من الآن بتحقق مِنَّةِ الله عليهم، ولتقرب لهم الغاية حتى لكأنها تحققت، فها أنذا أمامكم الآن شاهدٌ على هذا.

وكم من مرة ثقل علينا حفظ المقرر لكل يوم من الأيام فهجمت الوساوس الشيطانية نعوذ بالله منها كي تقفل هذا الباب، ولننصرف من هذا المشروع، حتى إذا

كدنا نطق بهذا القرار.... إذا بالله يَصْرفه بفضله ورعايته ورحمته ونحن لا ندري، فنحن لم نكن ندرك ذلك من قبل ولكنا الآن ندركه ونراه ونعرف سره وتفسيره.

(فالحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) وهذا من رعاية الله سبحانه لكل طالبِ حفظٍ للقرآن صادقًا في طلبه، وكم كان اشتياق النبي ﷺ عظيمًا بل ومنقطع النظير بغير شكٍ لحفظ القرآن أول ما كان ينزل عليه، حتى اتخذ لنفسه الترديد الفوري من القرآن حينما يوحى إليه بالقرآن لكي لا يتفلّت منه أي حرف فنهاه الله عن هذا وضَمِنَ له الحفظ، وقال له سبحانه: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴿١٤﴾ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة: ١٤-١٩]، وجمعه الله في صدره ثابتًا مُرَتَّباً مفصلاً... والله على كل شيء قدير...

ولهذا فإن الذي جمعه في صدر النبي ﷺ هو سبحانه القادر أن يجمعه في صدرك، ومن ضَمِنَ للنبي ﷺ يضمن لك ذلك، والله ذو الفضل العظيم.

وكم أكرمنا الله تبارك وتعالى بما أكرم رسوله ﷺ، وكم أفاض الله عز وجل على رسوله ﷺ خاصة وأفاض رسول الله ﷺ علينا به خاصة؟

وحتى من لم يبتدئ معنا في هذه الرحلة المباركة من طلابنا اليوم أو تخلف بعد الابتداء، فلا أقل من أن نَبني علاقة جديدة وثيقة ما بين القرآن الكريم وبين كل واحدٍ من هؤلاء فتبقى محبة خالدة... محبة عن علم.. محبة قابلة أن تحيي مشروع حفظ القرآن عنده في أي مرحلة من مراحل حياته القادمة.. وإلا فليبق أخاً في الله تجمعنا معه محبة الله تبارك وتعالى.

إيهٍ، ها هي رحلتي مع حفظ القرآن الكريم بفضلِ الله قد انتهت على أحسن وجه وبثمرتها المرجوة، وبهذا أصبح جميع القرآن الكريم في صدري... فهل من أحدٍ غيرنا نحن أمة محمد ﷺ في هذهِ الدنيا يحفظ كتابه المقدس... هذا الحفظ ؟!

فها هو كتاب الله؛ ثلاثون جزءًا في صدري الآن، ستمائة وأربع صفحات كريمات هي جميع صفحات القرآن الكريم منقوشة في صدري، إنها ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية في صدري... ألا ما أطول الطريق حين كنا ننظر له أول يوم ...! من ذلك الموقع! والشيطان يُخَذِّلنا ويهوِّل بلوغ نهاية الطريق علينا... ولكن سرعان ما يذهبها الله من غموم ويعود الطريق سهلًا ميسرًا منيرًا ونحن ما زلنا في الابتداء... أليست هذه آيةً من آيات الله تبارك وتعالى ؟!

وأحيانًا كانت تمرُّ علينا آيات طويلة فنقف ونقف ونقول: كيف عبور بحارها فنتوقف! فإذا بنا بعد هنيهة قد حفظناها بتيسير الله فننظر لها حامدين الله سبحانه مُتعجِّبين من تيسيره حِفظَها.

وأحيانًا ينقطع حفظنا عند آية اشتبهت علينا بأخرى من موضع آخر من نفس السورة وأحيانا من سورة أخرى، وكلما أعدنا التسميع عُدْنا للخطأ في نفس موضع الاشتباه... وهكذا وهكذا حتى يكاد يملُّ الشيخ مِنّا، وإذا بالشيخ جزاه الله خير الجزاء يُفَرِّقُ لنا بين ذاك المتشابه في لَفْظِهِ بِذِكْرِ فارق لا يُنْسى أبدًا وأحيانا يكون الفارق من نفس حروف الآيات، وهكذا يفعل الشيخ في كل مرة... وكنا نقيده أولًا بأول ولا ننساه أبدًا.. أي أن الله جعل تيسير حفظها في ذاتها إلا أننا لم ننتبه لهذا السرِّ لها من قبل... فما أيسرَ كلامَ الله!

ولقد صدق الله سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر].

فتيسير القرآن من القرآن نفسه... هكذا جعله الله، وما يحتاج الأمر إلا إلى صبر قليل يشير إليه التشديد في قوله (مُّدَّكِرٍ) ليثبت الله للصابرين مزيد الأجر، ولا يحتاج إلا إلى عناء قليل لرياضة اللسان على حروفه كما هو الحال في رياضة اللسان على كلمة (مُدَّكر) من تشديد حرفٍ أو ترقيقه... ادَّكِر قليلا وإذا بالتيسير مع الادِّكار، وفي كلمة (مُدَّكر) كذلك علاج ما يصعب حفظه على الطلاب سواءٌ كان تشابهًا بين الآيات أو طولًا للآيات، أو ذكرها أحكامًا مركزة في آيات متجاورة.. فكلمة الادِّكار تعني مزيد تفكر وتدبر واعتبار... فتوقفوا عن الحفظ قليلًا وتفكروا وتدبروا وادَّكروا وسوف تجدون التيسير نورًا عند الادِّكار كما ربطهما الله جميعًا في آية واحدة مرارًا: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر].

كم من مرة عانينا من ربط آية بآية، وكم من مرة توقفنا في نفس الموضع وما استطعنا مجاوزة هذهِ القنطرة فإذا بمعلمنا يربط ما بين الآيتين برباط المعاني الموجودة في نفس الآيتين، فإذا المعاني مترابطة تمام الترابط مُحكمة أعظم الإحكام.

ولا نزال نذكر كل رباطٍ قاله الشيخ لنا فقد حفظناه مع حفظ الآيتين فلا ننساه أبدًا بإذن الله، وصدق الله ومن أصدق من الله حديثًا إذ قال: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر].

ما من خصوصية للنبي ﷺ إلا كان لأمته ﷺ فيها نصيب.. وهو القائل: (يا رب

أمتي.. يا رب أمتي).[1]

فكيف لا يكون لمن يعانون من أمته في حفظ القرآن من فضل الله على رسوله بحفظه نصيب، وهم يسلكون نفس الطريق الكريم، بل هذا هو الواقع ولهذا تجد العازمين على الحفظ الجادين لا ينقطعون إلا ويصلهم الله، ولا يتوقفون إلا ويقدِّمهم الله، ولا يستوحشون حتى يؤنسهم الله... فيواصلون الحفظ ويواصلون وهم لا يشعرون، وأحدنا يعجب اليوم من كثرة الصِّعاب والعقبات التي مرت به ومع هذا أصبح القرآن في نهاية الطريق محفوظًا عن ظهر قلب عنده والحمد لله رب العالمين..

فإرادة النبي ﷺ حفظ القرآن كانت عظيمة ومنقطعة النظير وكانت علامتها هي ترديده وتحريك لسانه مع إقراء جبريل عليه السلام له، ولما كانت هذهِ الإرادة كانت معونة الله بحفظه، ولما كانت إرادة النبي ﷺ حفظ القرآن لا يمكن أن يبلغها أحد مطلقًا فقد جاء العطاء العظيم من ربه الذي لا ينبغي لأحد سواه ﷺ وهو كفالة الله له بحفظه في قلبه من غير أي عناء... وبعض هذهِ الإرادة موجودة في نفس المسلم، فكيف لا يتكفل الله سبحانه له بذلك وهو ذو الفضل العظيم ما دام مواصلًا آخذًا بالأسباب، وكيف لا يتكفل بطالب الحفظ من أمة محمد ﷺ وهو يطلب حفظه لأهله وقومه ولأمته كما كان همّ رسول الله ﷺ كي يفيض عليها من كل ما اختصه الله به.

اليوم أفهم وجهاً آخر، ومعنى جديداً لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل]، هكذا كان شيخنا آنذاك بالنسبة لنا وكل واحد منا لا يشعر

(1) جزء من حديث طويل، أخرجه الإمام مسلم في صحيحه حديث (٢٠٢).

إلا بنفسه، ولسان حال الشيخ يقول: أرأيت كل طالب وعائق الحفظ الذي صعب عليه تجاوُزُه ومع تكرر ذلك أكثر من مرة عند كل طالب على حِدَة، فأنا من كنت أحمل همَّ هؤلاء جميعًا، وكنت أحارب الشيطان في نفس كل واحد وأطرده بفضل الله، وأتحمل إزالة العوائق كلها في أنفسهم جميعًا حتى سارت السفينة واستمرت الحلقة ومدّ الله تبارك وتعالى في عمرها وبارك في غرسها حتى بلغنا المنزل الذي طلبناه..وحفظوا القرآن بفضل الله.

وها قد أصبحتُ شيخَ هؤلاء ،معلمِّهم فأي جهدٍ أنا اليوم سأحمله، فأنا طوال الفترة السابقة ما كنت أحمل إلا هم نفسي وحفظي القرآن حسب جدولي، أما اليوم فأنا أُقيم نفسي مقام كل نفس من نفوس هؤلاء، وأحب لكل واحدٍ من هؤلاء ما أحب لنفسي وما يحبه والدهم لكل واحدٍ منهم.

والآن أَدرك بفهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزمل]، فالقول الثقيل هو القول الثقيل إلا أن موقعي هذا هو الذي جعل القول أثقل، وكلما ارتفع المقام كان القول أثقل لأن الهَمّ أثقل، وحمل هم واحد ليس كحمل هم خمسة أو عشرة، وحمل هم أمرٍ واحد وموضوع واحد ليس مثل الحمل إذا ما تشعبت الهموم وزادت، وحمل هم بلوغ غاية واحدة ليس مثل حمل هم بلوغ غاية كل واحدٍ من هذهِ المجموعة أو تلك، ولذا ما كان ولن يكون أثقل همّاً من همِّ رسول الله ﷺ الذي أنزل الله تبارك وتعالى عليه: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥﴾ [المزمل].

والأمر لو كان مجرد تحفيظ لكان هينًا بإذن الله تبارك وتعالى إنما هو التعليم

والحفظ اليومي والمتابعة وتطبيق الطريقة والتعاهد، وهو إقامة أخلاقهم على القرآن، وهو الإعداد لكل درسٍ من خلال النظر في بعض كتب التفسير، ثم النظر في المواطن التي توقفوا فيها وعجزوا عن حفظها بتسهيلها من باب الادِّكار لأن الله ربط التسهيل بالادِّكار فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [القمر]، ومراجعة بعض المراجع المخصوصة بل هذهِ أكبر ثروة أتحصل عليها لنفسي في هذهِ المرحلة، وتتشعب هذهِ الأمانة حتى تبلغ مبلغًا لا يحتمله بشَر لولا إعانة الله تبارك وتعالى على هذا، أوليس الله سبحانه يقول: إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب].

ومما يزيد الأمر صعوبة والأمانة ثقلا هو هذا الزمان الذي ذهبت فيه الأمانة: (بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ:(أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ)قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:(فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ:(إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)[1].

كيف وهذا هو القول الثقيل ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل:٥].

كان الله في عونك يا مُعَلِّمَ القرآن في هذا الزمان... فما أشدَّ غربتَك، وما أثقلَ أمانتَك، وهل من حصن بعد حصنك... حصن الجيل عندك ... حصن الأمانة، بل

(١) صحيح البخاري (٥٩).

مَن مثلك؟! فإنك إن أديت الأمانة بلغت منزلة الإحسان في تعليم القرآن .. فهل من مقام مثل هذا المقام؟! والنبي ﷺ يقول: (إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ)[1]، ويقول:(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[2]، وهل من شيء في الوجود يليق به وله الإحسان مثل كلام الله القرآن الكريم؟!

لكن من يعاني لأجل القرآن هو من ينير الله له بصيرته فيرى في آيات الله ما لا يراه غيره، ويتفتَّق فِكْره بالعجائب التي لا يعرفها مَن سبقه في ميدانه بسنين طويلة...

نعم ربما لا يشعر بأن القرآن ثقيل من أَخَذَ القرآن تحفيظًا أو إقراء بالمفهوم القائم اليوم للإقراء... أما من حمله وهو متصور لحقوق القرآن العظيمة، وأن حفظ القرآن هو خطوة أولى وعظمى وأن ثمة خطوات وأي خطوات لتحقيق غاية رب العالمين من إنزال القرآن؛ عَلِمَ أيَّ معنىً عظيم في قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ [المزمل:٥].

كم هو الفارق بين مُعَلِّمٍ قصارى ما يريده هو تخريج حافظ متقن وهي غاية عظيمة.. وبين من يسعى لتخريج حافظ من المتقنين وإمام للمتقين: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ [الفرقان].



(1) صحيح مسلم (١٩٥٥).

(2) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨٩٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١١٣).

الكلمة الثانية:

أَعُوذُ باللهِ

مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ

الكلمة الثانية: أَعُوذُ باللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيم

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

❁ أستعيذُ وأعيذُ:

فالأمر من الله تبارك وتعالى واجب الطاعة، والأمر من الله تبارك وتعالى هنا كما هو للفرد فهو للجماعة، وكما هو عند ابتداء القراءة الفردية فهو عند ابتداء الحلقة، فلنتنبه لهذا جيدًا ولا نتهاون في الاستعاذة أبدًا، فإن ما من شيء أضر على الشيطان من القرآن ومن أهل القرآن، وما من شيء أغيظ على الشيطان من منهج يحقق حفظ القرآن والعمل به، لهذا فإن الشياطين يؤزُّ بعضهم أزًّا لتفريق أصحاب الحلقة، وتبثُّ وساوسها بثّاً لتهدّ كيانها وتخذل أصحابها وتحقِّر من شأن حفظ القرآن مرة، وتعظم الأعمال التي تذهب عليه بالتزامه بالحلقة مرة، ولا علاج لشياطين الجن إلا بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

وكم يتهاون الناس بأثر الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم، وخصوصًا إذا كانت قبل قراءة القرآن الكريم، وإبليس لعنة الله عليه يعلم جيدًا أنه لا يَأْمَنُ على أخص صَحْبِهِ إذا استمع للقرآن الكريم أن يهتدي؛ وقصة سورة الجن واضحة وهي قصة الجن في سورة الأحقاف وقيل هما قصتان مختلفتان والله أعلم

وقد قال الله سبحانه في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا

ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ
وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ
كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا
﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ
أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ
قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ
فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ
عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا
﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ
لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجن: ١-١٩].

فواضح من هذهِ الآيات الكريمات أن هؤلاء الجن كانوا شياطين، سمعوا القرآن فآمنوا، لكن العجب من هؤلاء الذين ما صمدوا أمام القرآن هو أنهم ليسوا شياطين فحسب، وإنما رسل إبليس وخاصةُ جنده أرسلهم ليستكشفوا له ما الذي حدث في الأرض حتى مُنِعُوا من السماء

فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (انْطَلَقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: مَا لَكُمْ؟ فَقَالُوا: حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ، قَالُوا: مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَثَ، فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، فَانْظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ

السَّمَاءِ، فَانْصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ، وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلاَةَ الفَجْرِ، فَلَمَّا سَمِعُوا القُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ، فَقَالُوا: هَذَا وَاللهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ، فَهُنَالِكَ حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَقَالُوا: يَا قَوْمَنَا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١-٢]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن] وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ قَوْلُ الجِنِّ) [1].فيا أيها الشيخ: تأكدْ أن وراء كل المشكلات الخفية في الحلقات شيطان رجيم نعوذ بالله منه.

❁ حماية البداية:

إن الشيطان لن يتركَ طالبَ حلقة القرآن أبدًا، وإنه لن يتركه منذ أولِّ لحظةِ سلوكِهِ الطريقَ نحو المسجد، فهو يعرف خطورة البداية الصحيحة جيدًا ويعرف كيف يصرف الناس نعوذ بالله منه، والموفَّق من يوفقه الله ويسلِّمه، ولهذا قال النبي ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ: تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الهِجْرَةِ، قَالَ: تُهَاجِرُ وَتَدَعُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ المُهَاجِرِ كَمَثَلِ الفَرَسِ فِي الطِّوَلِ، فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الجِهَادِ، فَقَالَ: تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ المَرْأَةُ، وَيُقْسَمُ المَالُ، فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، فَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ [2] دَابَّتُهُ كَانَ حَقًّا عَلَى

(1) رواه البخاري في باب الجهر بقراءة صلاة الفجر (٧٧٣)، ورواه مسلم (٤٤٩).

(2) الوقص كسر العنق؛ أي أسقطته فاندق عنقه.

اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ.)[1].

وليس المقصود هذهِ الطرق المذكورة فقط بل كل طرق الخير، ولا خير أعظم من القرآن، ولا قضاء على الشيطان مثل القضاء عليه بالقرآن، ولسوف تظهر لك عقبات من ابتلاء الله لك في طلابك، من حيث تتوقع ومن حيث لا تتوقع فاثبت ولا تتزعزع لكنك سوف تتأكد في كل مرة أن وراءها الشيطان الرجيم نعوذ بالله منه، وتتأكد كم هذا القرآن العظيم خطر على الشيطان.

علِّم الطالب ألا يلتفت إلى تخذيل الشيطان له فيعظِّم في عينه العقبات، ولا يُكْبِر في عينه عمل الشيطان بل يحقره لأنه أحقر حقير، وأضعف من أن يستطيع فعل شيء، فالله عز وجل يقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾ [النساء].

فإن أهمية الاستعاذة بقدر أهمية حماية العبد نفسه وهو يتلقى القرآن الكريم، وهل من شيء بين السماوات والأرض أعظم عند الله تبارك وتعالى من كتابه الكريم، إذن فهل من شيء أحق بالحماية من القرآن الكريم؟ ولهذا قال الله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨﴾ [النحل].

فإذا تأملت هذهِ الآية الكريمة وجدت أن الله سبحانه أَمَرَ أمرًا صريحًا بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وأن الذي يستعيذ إنما هو الإنسان فهو المستعيذ لنفسه وليس للقرآن بل مستعيذ لنفسه عند قراءته القرآن، وذلك لأن القرآن أعظم من أن يمسه الشيطان بأي مساس كما قال الله سبحانه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ

(١) المجتبى المعروف بـ (السنن الصغرى) للنسائي حديث رقم (٣١٥٧).

﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٠].

﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء] وقال تبارك وتعالى: ﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٤-١٩٥].

ولهذا يقول الإنسان طالبًا لنفسه الإعاذة من ربه تبارك وتعالى: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).

❁ ما أَمَرَكَ اللهُ تبارك وتعالى بالاستعاذة إلا ليعيذَك:

والله سبحانه حينما يأمرك بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم فإنما يأمرك ليعيذك، ويطلب منك أن تطلبه ليعطيك، ويسألك أن تسأل ليحفظك، ويعطيك كما أعطى أباك آدم وتاب عليه بعدما ألهمه هو سبحانه دعاء الإجابة، فقال سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ [البقرة:].

وما أجملَ ما قال القائل:

لو لَمْ تُرِدْ نيـلَ ما نرجـو ونطلـبُهُ ** مِن فيضِ جودِكَ ما عَلَّمْتَنَا الطَّلَبَ

❁ مِنْ حكمة موقع المعوذتين:

ولـو تأملنا فـي سـورة الفلـق وسـورة النـاس لوجدنـا عجبًا ذلـك أن اللـه تبـارك وتعالـى أحـاط كتابـه تمـام الإحاطـة مـن الشـيطان الرجيـم ومـن كل شـر بكلماتـه التامـات، بـل أحـاط عبـده الـذي يقـرأ القـرآن تمـام الإحاطـة... وأحـاط علـى وجـه

الخصوص من يختم القرآن تمام الإحاطة من الشيطان الرجيم، وأحاط الحافظ للقرآن، والقرآن الذي أصبح في صدره أعظم الإحاطة من الشيطان الرجيم، كما أحاط المصحف منه.

فإن القارئ يتذكر جيدًا الاستعاذة إذا أراد أن يقرأ القرآن، أما في الختام فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل الاستعاذة لازمة لكل من يختم القرآن، موافقة لأصل الترتيب فإن أصل الترتيب أن يقرأ الإنسان من فاتحة الكتاب ويختم بالناس، ومن يحفظ القرآن فإنه حتى لو ابتدأ من الناس باعتبار الابتداء بالأسهل إلا أنه لابد أن يرجع بعدما يحفظ ويقرأ القرآن مرتبًا بترتيب المصحف وإلا كيف يعتبر خاتمًا للقرآن؟! وكيف يتعاهد حفظه للقرآن بعد ما يحفظه، وكيف يتبع رسول الله ﷺ في مراجعته للقرآن وتعاهده له ... حيث ما كان يترك تسبيع المصحف أبدًا مبتدئًا بأم الكتاب مختتمًا بالمعوذات في ختام المصحف، فَعَنْ أَوْسِ بْنِ حُذَيْفَةَ قَالَ: كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَسْلَمُوا مِنْ ثَقِيفٍ مِنْ بَنِي مَالِكٍ، أَنْزَلَنَا فِي قُبَّةٍ لَهُ، فَكَانَ يَخْتَلِفُ إِلَيْنَا بَيْنَ بُيُوتِهِ وَبَيْنَ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَلَا يَبْرَحُ يُحَدِّثُنَا وَيَشْتَكِي قُرَيْشًا، وَيَشْتَكِي أَهْلَ مَكَّةَ ثُمَّ يَقُولُ: (لَا سَوَاءَ، كُنَّا بِمَكَّةَ مُسْتَذَلِّينَ أَوْ مُسْتَضْعَفِينَ، فَلَمَّا خَرَجْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ كَانَتْ سِجَالُ الْحَرْبِ عَلَيْنَا وَلَنَا)، فَمَكَثَ عَنَّا لَيْلَةً لَمْ يَأْتِنَا حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْنَا بَعْدَ الْعِشَاءِ. قَالَ: قُلْنَا: مَا أَمْكَثَكَ عَنَّا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (طَرَأَ[1] عَلَيَّ حِزْبٌ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ). فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ أَصْبَحْنَا؟ قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ[2] الْقُرْآنَ؟

(1) طرأ: يريد أنه قد أغفله من وقته ثم ذكره فقرأه.

(2) تحزِّبون: من التحزُّب وهو تجزئته واتخاذ كل جزء حزبا له.

قَالُوا: نُحَزِّبُهُ سِتَّ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ سُورَةً، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ سُورَةً، وَحِزْبُ الْـمُفَصَّلِ مِنْ ق حَتَّى تَخْتِمَ[1])، وعندها لابد أن يبتدئ بالاستعاذة في فاتحة الكتاب ولابد أن يختم بالفلق وبالناس والاستعاذة بالفلق والناس هي أعظم استعاذة.

فعن ابن عابسٍ الجُهَنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله ﷺ قال له: (يا ابن عابس، ألا أدلُّك) أو قال: (ألا أخبرك بأفضل ما يتعوّذ به المتعوّذون) قال: بلى يا رسول الله، قال: (قل أعوذ بربّ الفلق، وقل أعوذ بربّ النّاس هاتين السّورتين)[2]

وعن عُقبةَ بن عامِرٍ الْجُهَنِيِّ عن النّبيّ ﷺ قال:(قد أنزل اللهُ عليَّ آياتٍ لَمْ يُرَ مِثلُهنّ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ إلى آخر السّورة وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ إلى آخر السّورة)[3] .

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ رَاكِبٌ فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى قَدَمِهِ، فَقُلْتُ: أَقْرِئْنِي سُورَةَ هُودٍ، أَقْرِئْنِي سُورَةَ يُوسُفَ فَقَالَ:(لَنْ تَقْرَأَ شَيْئًا أَبْلَغَ عِنْدَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)[4] .

(1) أخرجه أبو داود (١٣٩٣)، وابن ماجه (١٣٤٥)، وأحمد (١٩٠٢١) واللفظ له. قال ابن كثير في فضائل القرآن: هذا إسناد حسن، وحسَّنَه العراقي في(تخريج أحاديث الإحياء) (١/ ٢٧٦) .

(2) النسائي (٨/ ٢٥١) وصححه الألباني (٥٠٢٠)، وهو في الصحيحة (١١٠٤).

(3) مسلم (٨١٤).

(4) النسائي (٨/ ٢٥٤) واللفظ له، والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٧٩)، قد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧٢ ٥٧٣) طرقا كثيرة لهذا الحديث ختمها بقوله: فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث.

❁ لا تغضب ... فتوسع الطرق للشيطان نعوذ بالله منه[1] :

وكم يُنْسي الشيطان الإنسان نفسه عهوده، وينسيه كل ما فيه خير له حتى ينسى طريقة الشيطان وخبثه، ويلبس عليه الحق بالباطل.... وهنا يفعل الشيطان فعلته ويوسوس بما يريد في صدره، وإلا كيف أخرج آدم وحواء من الجنة... أم تظنون أن آدم رأى الشيطان في صورته الأولى كشيطان حين قال الله سبحانه لآدم عليه السلام ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾ [طه].

لقد أنساه الشيطان كل شيء فأقدم على الشجرة واقتطف من ثمرها وما إن أكلا حتى تساقطت ثياب الجنة عنهما وأُخْرِجَا من فَوْرِهِمَا بعدما استترا بالأوراق... فهذهِ هي الخطورة ولذا لزم المحفِّظ المربي المكرم أن يعلِّم الطلاب الاستعاذة أولًا، ويذكرهم بها بين الفَيْنَةِ والأخرى ويذكِّرهم إذا حدثت بينهم خصومة أو اختلاف أو جدل كما قال الله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الإسراء].

وما أوسعَ طرُقَ الغضب في مجاري الإنسان للشيطان نعوذ بالله منه!

فعن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:(إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ)فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَقَالَ:(تَعَوَّذْ بِاللهِ

(1) لا بأس أن يقول القائل إذا ورد ذكر الشيطان: لعنه الله، أو لعنة الله عليه، أو نحو ذلك، كما يقول: نعوذ بالله منه، فهذا ورد وهذا ورد، وأما ما ورد من حديث نهي أن يقول الرجل: تعس الشيطان، فإن تعس الشيطان لم تردْ مطلقةً، وإنما مقيدة بمعنى المدح عند ذكر الشيطان لذلك فرح بها، أما(لعنه الله) فإنها لا تفرحه، كيف وقد قالها الله تبارك وتعالى ومعاذ الله أن يُفْرِحَه، بل هي أقسى ما تكون عليه.

مِنَ الشَّيْطَانِ)، فَقَالَ: أَتُرَى بِي بَأْسٌ، أَمَجْنُونٌ أَنَا؟ اذْهَبْ[1]) .

أرأيت إلى أي درجة يتلبس الشيطانُ الإنسان عند الغضب... إنه أنساه حتى رسول الله ﷺ والعياذ بالله، ومنعه من أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، ومثل هذهِ تتكرر في الحلقات بين الطلاب فهم أحوج ما يكونون للوقاية والتعلم والتحذير من الغضب والفتن قبل أن تقع، وأحوج ما يحتاجون إلى التذكير بالاستعاذة إذا ما وقع... وكيف لا يقع بين الطلاب إذا كان يقع بين الأساتذة أحيانًا... إذن فهذا هو العدو الذي لا يؤمن شرُّه أبدًا، ولا يغفل عنه أبدًا.

وليتعلم أهل القرآن سرعة الأوبة إلى الله سبحانه، فالخطأ وارد والإنسان معرّض له في أي وقت، لكن الخطأ الأكبر هو الإصرار على الخطأ، أو أن يُذكّر بالخطأ فلا يرجع ولا يتذكر والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف].

وإنه لنصرٌ حقيقي وعظيم على الشيطان أن يرتقي الطلاب إلى هذهِ المنزلة الرفيعة التي يستحق الواحد منهم أن يصدق عليه قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾كما إنه حصن حصين من الشيطان الرجيم يأوي إليه في كل مرة بمجرد أن يمسه الشيطان أدنى مساس، وبهذا يقطع طمع الشيطان فيه المرة تلو الأخرى حتى ينقطع بإذن الله بالكلية حتى وإن عاد فإنه يعود بائسًا يائسًا وهو حسير.

وهكذا يعوَّد الطالب على عدم الإصرار على الخطأ في كل ما يعرض له من نقاشات وجدال وما إلى ذلك، وهذهِ مسألة كثيرًا ما تقع وتفسد القلوب، ويصرُّ

(1) البخاري الفتح ١٠ (٦٠٤٨) واللفظ له، ومسلم (٢٦١٠).

البعض عليها وقد استبان له الخطأ، ولقد ذم الله سبحانه قومًا بإصرارهم على الباطل، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦﴾ [غافر].

❁ اترك الجدال الباطل وإن كنت مُحِقًا:

وما أكثر ما يدخل الشيطان من مدخل الجدال بين طلاب الحلقات فَيُضَيِّعَ عليهم أوقات التعلم والحفظ، ويُضَيِّع عليهم الجِدِّية في تلقي القرآن، ويوقع بينهم خُلُقًا رديئًا هو خلق تَصَيُّد أخطاء بعضِهم بعضًا، بل يلقي في القلوب نقاطًا سوداء من البعض على البعض، وينتشر بينهم التناصر ظلمًا في الجدال، ويتطور أكثر وأكثر، وربما ترك البعض الحلقات وحِفْظَ القرآن لأجل الجدال وآثاره، وكم حَذَّرَنا الله سبحانه وتعالى ورسوله من الجدال المباح فضلاً عن الحرام.

فعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(مَن تَرَكَ المِراءَ وهو مُبطلٌ بُنِيَ له بيتٌ في رَبَضِ الجنة، ومَن تركه وهو مُحِقٌّ بُني له في وسَطها، ومن حَسَّنَ خُلُقَه بُنِيَ له في أعلاها)[1] .

فالجدال بالباطل هو: التخاصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب[2]، وأما إذا كان الجدال بحق مثل الدعوة إلى الإسلام ويكون بالحسنى فهو أجر وثواب كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ

(1) رواه أبو داود (٤٨٠٢)، وحسنه الألباني.

(2) المصباح المنير للفيومي ص (٥٣).

ظَلَمُواْ مِنْهُمْۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ [العنكبوت].

وإن من المصائب على الحلقات القرآنية هو أن يتعود أبناؤها الجدال... فالجدال هو الخرق الذي يُخرج الإنتاج والبركة والتحصيل إلى الإتلاف، فعن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(ما ضَلَّ قومٌ بعد هُدىً كانوا عليه إلا أُوتوا الجَدَلَ)، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف][1]

ولما كان الجدال بهذا الضرر فإنه يستجلب أخلاقًا قبيحة منها الكذب والمزاح كذبًا، والبهتان، والشهادة زوراً، وكم يخص الشيطان أهل القرآن بالجدال بالباطل، فهو أسلوبه المجرب والذي يأتي بنتيجته الفورية وأخطر ما رأيت من الأحاديث في التحذير والتنفير من الجدال بالنسبة لأهل القرآن خاصة هو حديث أبي هريرة رضى الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال:(المِراء في القرآن كُفْرٌ)[2] .وبهذا يجب أن يُجِلَّ أهل القرآن كلام الله من أن يتجادلوا فيه، فيصبح مثل السلاح الذي يريد كل واحدٍ أن يطعن أخاه به، ويصبح وسيلة يستخدمها المتجادلان ليعلو كل واحد على مقابِلهِ، فهؤلاء يُضَحُّون بالقرآن لأجل أهوائهم وعلو أشخاصهم في أعين الناس والعياذ بالله، فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال:(كنّا جلوساً عند بابِ رسولِ الله ﷺ نتذاكر؛ يَنْزِعُ هذا بآيةٍ، ويَنْزِعُ[3] هذا بآيةٍ، فخرج علينا رسول الله ﷺ كأنَّما تَفَقَّأَ في وجهِهِ حَبُّ

(1) رواه الترمذي (٣٢٥٣)، وابن ماجه (٤٨)، وقال الترمذي حديث صحيح.

(2) رواه أبو داود (٤٦٠٥) وابن حبان في(صحيحه) (١٤٦٤).

(3) أي: يجذب ويأخذ.

الرّمَّانِ، فقال:(يا هؤلاء! أبهذا بعثتم، أم بهذا أُمرتم؟! لا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضُكم رقابَ بعض)(1).

❁ اصبر نفسَك .. تحفظ إرثَك .. وتُعْلِي ذِكْرَك:

يا معلم القرآن الكريم: احرص على طلاب القرآن حرصك على أبنائك بل أشد، واحرسهم من الشيطان الرجيم ما استطعت، فكم من أبٍ فُتِنَ بأبنائه في حياته إلا أنه بعد موته وبعد انطفاء جمرة الحزن عليه طواه النسيان من ذاكرتهم حتى ما عادوا يذكرونه عند ربهم إلا غافلين في دعوتهم، وهم لا يقدِّرون الورطة التي وقع فيها في قَبْرِهِ، وآخرون من الأبناء حين أُغْلِقَتْ صحيفة الأب بموته لم يغرسوا له غراسًا ولا فسيلة واحدة بل ولا حبة، ولم يبنوا له مسجدًا، بل ولم يشاركوا في ثوابه ولا بلبنة مسجد، ولم يحفروا له بئرًا بل ولم يسقوا لأجله عطشانَ، ولم يمنحوا له منيحة من الإبل، بل ولم يسقوا لأجله إناء لبن، بينما هؤلاء الفتية الذين بين يديك هم صَفْوة الذراري المسلمة ساقهم الله إليك وساقك إليهم... فأي مُفَرِّطٍ هذا الذي يفرط في هذهِ الغنيمة؟!

وقد قال الله سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

هؤلاء هم بقيتك من بعدك، هم مشروعك الخالد لارتباطه بكلام الله الخالد، هم غرسك المثمر الذي لا ينقطع أبدًا، هؤلاء هم جابرو كسرِك، ومقيموك على

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٥٤٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

رجلك من ثقل الحساب والذنوب، والمدخرون لك في كل يوم وربما كل لحظة ما تقرُّ به عينك.

ولهذا فلتكن أحرص ما تكون على إعاذتهم بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، فأنت الحارس لهم دون الشيطان الرجيم، قال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٥-٣٦].فعن ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كان النّبيّ ﷺ يُعَوِّذُ الحسن والحسين ويقول:(إنَّ أباكما[1] كانَ يُعَوِّذُ بهما إسماعيلَ وإسحاقَ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التّامّةِ مِنْ كلِّ شيطانٍ وهامّةٍ[2]، ومِنْ كلِّ عينٍ لامّةٍ)[3].

عَلِّمْهُم أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم في كل وقت، وعلمهم الاستعاذة وهم يخطون خطواتهم نحو المسجد لأجل القرآن، وحفظ القرآن وفهم القرآن والعمل بالقرآن... علمهم ذلك جيدًا وليفهموا الاستعاذة جيدًا؛ فهي ليس كلمة وإنما قلب خاف فاستغاث بالله، ولذا تابِعْهُم على المحافظة على الاستعاذة وتابِعْهُم على فهمها وحضور قلوبهم إذا ما قالوها.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، قَالَ:(أَمَا لَوْ قُلْتَ، حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ

(1) أباكما: يريد سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

(2) الهامة: واحدة الهوام وهي الحيات.

(3) البخاري الفتح (٦/ ٣٣٧١).

اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ)[1] .

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ، عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً، ثُمَّ يَقُولُ:(اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ)[2] .

وعن أبي بكر الصّدّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ عَلِّمْنِي مَا أَقُولُ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ قُلْ:(اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي، وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ، وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءًا أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ)[3] .

وعن أمّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: ما خرج النّبيّ ﷺ من بيتي قطّ إلّا رفع طَرْفَه إلى السّماء فقال:(اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ)[4] .

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ شَكَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ مُنْذُ أَسْلَمَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ بِاسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)[5] .

---

(1) صحيح مسلم (٢٧٠٩).

(2) الترمذي (١٧٦٧) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(3) الترمذي (٥/ ٣٥٢٩) واللفظ له وقال: حديث حسن غريب، وأبو داود (٥٠٦٧)، وقال محقق جامع الأصول (٤/ ٢٣٨): إسناده حسن.

(4) أبو داود (٥٠٩٤)، وابن ماجة (٣٨٨٤)، وقال الألباني في صحيح أبي داود ٣ (٤٢٤٨) ص ٩٥٩: صحيح.

(5) صحيح مسلم (٢٢٠٢).

وعنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ﵁ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ[1] مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمْ الْخَلَاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ[2].

قال الحطّاب: وخصّ هذا الموضع بالاستعاذة لوجهين:

الأوّل: بأنّه خلاءٌ، وللشّياطين بقدرة الله تعالى تسلّطٌ بالخلاء ما ليس لهم في الملأ.

الثّاني: أنّ موضع الخلاء قذرٌ يُنَزَّهُ ذِكْرُ اللهِ تعالى فيه عن جريانه على اللّسان، فيغتنم الشّيطان عدم ذكره، لأنّ ذكر الله تعالى يطرده، فأمر بالاستعاذة قبل ذلك ليعقدها عصمةً بينه وبين الشّيطان حتّى يخرج [3].

إنْ تُصَدِّقَاه أخرجكما من الحلقة كما أخرج أبويكما: يا معلم القرآن ويا متعلمه: لا تتهاون بهذه العقبة؛ فإنك إن سلمت من الشيطان فقد سلمت من كل آفة ووصلت برّ الأمان بإذن الله فما شياطين الإنس إلا عباده، وما النفس والدنيا إلا حميره يركبها للدخول إلى نفوس الناس لإفسادهم...وقد قال الله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء]. وإياك أن يأتيك الشيطان بصورة ناصح فتصدقه ويزعم أنه لا يستطيع أن يأتيَ أهلَ القرآنِ أو حُفّاظَ سورةِ البقرة وأنهم في الحصن الحصين، فإنهم إذا أَمنوا وصدقوا دخل وفتك، فقد قال الله تعالى:

(1) الحشوش: مواضع قضاء الحاجة (دورات المياه).

(2) رواه أبو داود (٦) وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(3) الموسوعة الفقهية (١٠/ ٤).

﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩-٢٢].

احذر أن تصدقه في كذبه بأن حلقة القرآن منيعة على الشيطان، نعم هي بإذن الله كذلك، ولكن اعلم أن حرصه على حلقة القرآن، أعظم من حرصه على أهل الدنيا وأنديتهم ومجالسهم، فإن أغلب تلك الأماكن رهن إشارته وربما كانت هي فكرته نعوذ بالله منه .

وليتذكر أهل الحلقات القرآنية جيداً أن الشيطان على إخراجهم من الحلقات أو إفساد حلقاتهم أحرص ما يكون فإن عندهم القرآن العظيم كلام الله تبارك وتعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف]، فلم يكن إخراجهما من الحلقة القرآنية وإنما من الجنة؛ فمَن أبعدُ على الشيطان هل الذي في الحلقة أم الذي في الجنة. إياك أن يدخل إليك الشيطان نعوذ بالله منه من باب إغرارك وإعظامك بنفسك، ورؤيتك لإنجازك وما حفظت... فلتكن ما تكون ولتبلغ ما تبلغ فإن الشيطان لا يمتنع من أحدٍ أبداً، وإنه أحرص ما يكون على رجل أو مجموعة عندهم غنيمة عظيمة ...

وهل من غنيمة أعظم من القرآن! وهل من أناس أخطر عليه من أهل القرآن؟!

فأي الأصحاب أشد على الشيطان أعظم من أصحاب رسول الله ﷺ ومع هذا لم يتركهم ولم يستسلم وأخذ منهم ما استطاع عياذا بالله منه لكن الله سبحانه كان يتوب عليهم، ويقبل منهم استغفارهم، ويرفعهم كما قال سبحانه: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨-٢٦٩].

وقال سبحانه عن أصحاب رسوله ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال].

والحمد لله أن قال سبحانه عن عموم المؤمنين: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [الأعراف].

وكيف يمكن لأهل حلقات القرآن أن يأمنوا الشيطان لعنة الله عليه إذا علموا أنه يحرص أشد الحرص على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ... مع أنه ضامن أنه لن يبلغ منهم مَبالِغه أبداً، لكن هو لا يملك إلا أن يهاجم الحق وأهله والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم رؤوس

الحق في الدنيا، فقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾﴾ [الحج: ٥٢-٥٣]. وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام].

فمن ذا الذي يغتر بعد هذا... و من يأمن؟!، بل إنَّ صاحب حلقة القرآن معلماً كان أم متعلماً لهو أشد ما يكون حرصاً على حراسة ما أعطاه الله تبارك وتعالى من غنيمة لا نظير لها على الإطلاق (فَلْيستعذْ باللَّهِ وَلْيَنْتَهِ).

فليستعذ بالله ولينته: فإنا قد عرفنا من قبل أهمية الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم ولكن هنا أمرٌ ثانٍ ملازم للاستعاذة ذلك هو (فلينته) فإن الشيطان نعوذ بالله منه إذا وسوس فإنما يوسوس بأمرٍ ما ... فما هو ذلك الأمر؟ ذلك الأمر هو مطلوبه منك وهو غاية الوسوسة، فإنه كان غاية وسواسه لآدم وحواء أن يخرجا من الجنة ومع كون ذلك هو مطلوبه ولكنه وسوس لهما ليأكلا من الشجرة على أنها الطريق الوحيد المضمون أن يبقيا في الجنة أبد الآبدين، فقال ربنا تبارك وتعالى: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأعراف].

ومن خلال تلك الوسوسة وصل الشيطان إلى مطلوبه وهو إخراجهما من الجنة. وهكذا فهو لايزال يوسوس لبعض الطلاب وخصوصاً في أول أيامهم مغرياً إياهم

بما اعتادوه من أعمال وألعاب في مثل هذا الوقت الذي يقضونه في الحلقات وفي التحفيظ وفي المراجعة، ويريه بُعْد النهاية، ويُعْظِمُ عليه الخطأ إذا أخطأ أَحدُهم مرة، ويُيَئِّسُه من حافظته إذا كرر خطأه، وهذا موضع يركز عليه الشيطان كثيراً، وهو تربة خصبة لوسواسِهِ مع حَفَظَةِ القرآن الكريم خاصة... ومقصودهُ من كل هذا هو قرار الانسحاب من مشروع التحفيظ والخروج من الحلقة... وهذا ما تمّ من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان ثمرة تلك الوساوس هو الخروج من الجنة... ومِن ثَمَّ كانت أهمية قوله ﷺ:(فلينته)التي بدونها سوف يؤتي الوسواس ثمرته الزقومية، ولكن قطع ذلك الوسواس من جذوره باتباع أمر النبي ﷺ (فلينته)؛ كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولَ: مَنْ خَلَقَ كَذَا وَكَذَا؟ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ[1])؛ فباتباع أمر النبي ﷺ ينقطع إبليس، وتبطل كل وساوسه التي وسوس بها، وتذهب معه إلى الجحيم، ويعود المؤمن أقوى إيماناً، وأمنع تحصيناً، ويستمر الخير ومشاريعه لا تنقطع إلى أن يودع الدنيا مادام محققاً الشطر الثاني لأمر النبي ﷺ المجموع في كلمةٍ واحدة وهي (فلينته)، ولك أن تتصور هذه الفرضية: ماذا لو أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ سمع لوساوس إبليس كما هي لكنه وبعد ما سمع انتهى عن اتخاذ أي خطوة، أي أنه لم يأكل من الشجرة... فما تنفع إبليس كل وساوسه ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب]

ومن هنا نعلم أن وساوس إبليس نعوذ بالله منه إنما هي التمهيد للانحطاط

(1) متفق عليه، البخاري (3276) ومسلم (134).

والتوطئة لمسيرٍ خَلْفَ الشيطان واتباع خطواته اتباعاً فعلياً، ونحن حينما نفترض لو أن أبانا آدم عليه السلام سمع الوسوسة ولكنه انتهى عن اتباع الشيطان نعوذ بالله منه فذلك ليس اعتراضًا على أمر الله أو على أبينا آدم عليه السلام معاذ الله، ولكن ما كان فرضًا لأبينا آدم عليه السلام هو واقع بالنسبة لنا، وما أصبح الاعتراض فيه حرامًا أصبح العمل به واجبًا علينا، وإلا فهل من عبرة عملية أعظم في حقنا من قصة أبينا آدم عليه السلام من الحذر من اتباع الشيطان لعنة الله عليه ولهذا ختم الله القصة في سورة الأعراف فقال سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف].

إن العباد لا يمكنهم إسكات الوساوس الشيطانية لكنهم يملكون الانتهاء، فالانتهاء بأيديهم هم، وهذا من الضعف الذي كتبه الله على الشيطان فهو لا يملك أن يحرك الإنسان خطوة، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء]، ولذا قال النبي ﷺ: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا ومن خلق كذا) فما قال: أخرسوه أو أسكتوه أو نحو ذلك، وإنما قال: (فليستعذ بالله ولينته)، فأنت تملك الاستعاذة تردُّ بها على الوسواس ولا تسكتها، وتملك الانتهاء عن المُضِيِّ مع الشيطان أي أن استماع الوسواس كان مضياً معه بنوع من أنواع المضي النفسي والذهني، ومن أجل هذا قُدِّمَتِ الاستعاذة لأنها السبيل الوحيد والأعظم للقضاء على وسواس إبليس وإطفاء ناره وكله نار، وتبقى الخطوة الثانية في اتباع الشيطان وتحقق مفارقته كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ [الأعراف].

فهولاء هم الذين اتقوا وهم الذين يمسهم طائف من الشيطان، ولكنهم ما إن يتذكروا فيصبروا حتى يفارقوه بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم. وَلْنضربْ مثلا: فإن الشيطان يأتي للطالب يحرك عاطفته نحو ترك الحلقة فليستعذ بالله ولينتهِ فلا يتخذ قرار العاطفة مهما كان الأمر ومهما كلَّف من تكاليف.

وإن الشيطان نعوذ بالله منه يأتي للمتعلم يحاول أن يفسد عليه برنامج الحفظ والتعاهد، فهو لا يقول له اترك أو لا تأخذ بهذا البرنامج وإنما يقول له: لا يشترط أن تكون حريصاً في الحفظ، ولا مستمرًا في تعاهد ما تحفظ، وإذا ما جئت إلى الحفظ لا تكن ملتزماً بالتوقيت، يصوِّر لك أن الوقت متسع وأن التعويض ممكن وزيادة، وينصحك بأنه لا ينبغي للإنسان أن يكون متعاهدًا للبرنامج كأنه مواقيت الصلاة! وكلها تأتي من باب (عليك ليل طويل فارقد)، بل استعذ بالله وانته عن الاستماع للشيطان، وانتهِ عن اتباعه بعد التذكر ولو خطوة واحدة... وسوف يخسأ فوالله الذي لا إله إلا هو ما أضعفَ كيدَه، وما أهون وأوهى نسجَه... وكلما التبس عليك الأمر تذكر: ماذا لو أن أبانا آدم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم وانتهى... ماذا كانت تنفع الشيطان كل وساوسه؟!... فلتحذر من اتباعه خطوة، ولتحذر من أي فكرة بالانسحاب من حفظ القرآن مهما كانت الأفكار سوداوية فإنها الوسواس الشيطانية مادام المنهج واضحاً والقائمون عليه يتقون الله تبارك وتعالى.

يأتيك شيطان جنٍّ يَؤُزُّ شيطان إنس بوسواس لك يقول: إن فهم القرآن أولى من أن تكون حافظاً فقط وكأنك نسخة جديدة من المصحف طبعت في البلد!

فاستعذ بالله وانتهِ، وسينتهي هذا الزور في لحظته، ويكفي أن تجد أن أنصار هذه الفكرة ليسوا من الحفظة، ولو قالو إنهم من الحفظة لكذبوا، وأما إن كانوا منهم حقًّا فإنهم الآن قد نسوا أو انسلخوا.(فانتهِ)عن لقاء هؤلاء و(انتهِ) عن الإنصات لهم، وقد رأينا عقاب الله في هؤلاء وأمثالهم، فلقد بلغوا من العمر مبلغاً يئسوا منه أن يكونوا من الحفظة، فأي حرمان مثل حرمان هؤلاء؟!

يوسوس الشيطان الرجيم نعوذ بالله منه لطالب حفظ كتاب الله أن لا تُحَسِّنَ صوتك بالقرآن لأنك سوف تكون مُرائياً بقراءتك، وإياك أن تفكر أن تقرأ أمام الناس أو تكون إماماً بالناس لأنه طريق الرياء، والمراؤون بالقرآن هم أول من تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة! فاستعذ بالله و انته، وادخل المنافسة في التقرب إلى الله وأعلنها، ففي الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (مَا أَذِنَ[1] اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ[2]) ؛ فكيف لا تظهر أحسن ما عندك، وما معنى(يجهر به)، بل ما معنى(يتغنى بالقرآن)، وليس يغني به، فإن في التغني تفعلًا، أما وساوس الشيطان بأنك مراءٍ إذا ماقرأت القرآن ورتلته ترتيلاً ... فاستعذ بالله وأكمل وتذكر ماذا قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه لرسول الله ﷺ حين قال

(1) والأَذَن: الاستماع، والمعنى: ما استمع الله لشيء كسماعه لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به.

(2) رواه مسلم (٧٩٢).

له:(لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْمَعُ قِرَاءَتَكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)، فَقَالَ: (لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا[1])، ولاشك أنَّ العبادة يجب أن تكون لله وحده خالصة ومع هذا قال أبو موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (لَحَبَّرْتُهُ لَكَ) فما قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: شرك شرك ! بل أَقَرَّهُ، فمن قرأ القرآن ليُخَشِّعَ الناس إنما هو قارئ وداعية إلى الخشوع، ومن أراد أن يرتله ويزينه تحبيبًا بالقرآن فهو يقرأه لله وهو طائع، ومن قرأه ليُعَظِّمَ الناس القرآن فهو معظم شعائر الله وداعية لتعظيم القرآن، ومن قرأه وحسّنه ليقتدي به الجيل ويهتدوا بالقرآن .. فهو في سبيل الله وهو داعية وهو مجاهد بالقرآن جهادًا كبيرًا.

فلا تتردد فأنت داعية بإتقانِكَ حِفظَك، داعية بحسن صوتك، بل بتحسين صوتك بالقرآن، بل إن كان من أحدٍ يجب أن يخاف على نفسه هو من يقصد عدم تحسين صوته بالقرآن مخافة الرياء وهذا الذي نقول له: لم لا تكون من الشاكرين على ما آتاك الله؟ لم لا تدعو إلى الله باتباع أفضل المتسابقين إلى الله المحسِّنين صوتهم بما أنزل الله يتنافسون في هذا عند الله، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ)، والله عزوجل يقول: ﴿وَرَتِّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان].

قدِّم تزيين صوتك بالقرآن وسوف يزيدك الله، حَسِّنْ صوتك بالقرآن أكثر وأكثر. عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ، عَنْ أَبِي الْمَلِيحِ، عَنْ رَجُلٍ، قَالَ كُنْتُ رَدِيفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَعَثَرَتْ دَابَّتُهُ، فَقُلْتُ: تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَقَالَ:(لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ

(1) السنن الكبرى للبيهقي حديث رقم (٤٧٠٨).

إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَعَاظَمَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: بِقُوَّتِي، وَلَكِنْ قُلْ: بِسْمِ اللهِ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ تَصَاغَرَ حَتَّى يَكُونَ مِثْلَ الذُّبَابِ[1]، وأعود فأقول ما قال الله سبحانه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [هود].



(١) رواه أبو داود (٤٩٨٢)، وصححه الألباني.

الكلمة الثالثة

من بيتك إلى بيت الله
لأجل كلام الله
غادياً ورائحاً

الكلمة الثالثة: من بيتك إلى بيت الله لأجل كلام الله غاديًا ورائحًا

❁ من بيتك إلى بيت الله:

أيها المعلِّم والمتعلم: اعلم أنك منذ خروجك من بيتك وأنت في عين الله ورعايته وتخوض في مغفرة الله ورحمته غاديًا ورائحًا، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران]

تأمَّل غُدُوَّ النبي ﷺ ...وكيف سَجَّله الله سبحانه، ثم تأمل كيف ختمه الله بقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾؟!

والسؤال هو: ما حكمة أن يسجل الله تبارك وتعالى غُدُوَّ النبي ﷺ وهو ليس قتالاً فعليّاً...إنما هو الغُدُوُّ في الطريق إلى القتال، وهو المسافة ما بين باب منزله ﷺ إلى موضع الجيش، والله سبحانه يتحدث عن هذهِ المسافة التي ختمها بقوله: ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

وهكذا يسجل الله لك غُدُوَّكَ يا أيها العالم ويا طالب العلم فكلاكما يريد ما يريد المجاهد وهو رضوان الله تبارك وتعالى، كيف وأنت يا معلم القرآن ويا طالب العلم كل يوم في غدوٍّ ورواح لا ينقطع...في رباطٍ على كتاب الله ومرابطة لا تفتر...وهل تشريع الجهاد في أساسه إلا من كتاب الله؟ فَغُدُوُّكَ أيها الحافظ المُعلِّم، ويا أيها المُتعلِّم لكتاب الله معلوم مرصود مسموع مشهود عند الله، بل أنت أيها الغادي في عين الله تبارك وتعالى فإن النبي ﷺ يبين مثالاً للأجر الذي جعله الله على الغُدُوِّ

للقرآن؛ يقول عُقْبَةُ بنُ عامرٍ رضي الله عنه: (خَرَجَ رَسولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ في الصُّفَّةِ، فَقالَ: أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يومٍ إلى بُطْحَانَ، أَوْ إلى العَقِيقِ، فَيَأْتِيَ منه بنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ[1] في غيرِ إثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ[2] ؟ فَقُلْنَا: يا رَسولَ اللهِ، نُحِبُّ ذلكَ، قالَ: أَفلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إلى المَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ له مِن نَاقَتَيْنِ[3]، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ له مِن ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ له مِن أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإبِلِ[4]). وهل ذهاب المتعلم لآية أو آيتين أو أكثر كما في الحديث إلا إلى المسجد، وهل يغدو طالبك إلا ليتعلم آية أو آيتين أو أكثر...كلَّ يومٍ، وهل الناقة الكوماء أو الاثنتين الكوماوين إلا لضرب المثل بأغلى شيء عندهم؟ وهل قول النبي ﷺ(كلَّ يومٍ)إلا إشارة للاستمرارية وهي بعينها المنهجية لحفظ القرآن كاملًا، ولأنها لا تكتمل إلا باكتمال حفظه؟!

وهل العودة بالناقتين الكوماوين في كل مرة، حيث يغدو ويعود بهما إلا لبيان بركة القرآن الفورية على أصحابه، وإنها بركة فورية في الدنيا قبل الآخرة، وأنها في الآخرة أعظم، فهي عند قبضها ناقتين كوماوين مقابل آيتين فكيف بالناقتين الكوماوين بعد المضاعفات المستمرة إلى يوم القيامة.

أيها المعلِّم المكرم: اجعل طالب حفظ القرآن عندك يتحقق كل يوم عند خروجه

(1) الكَوْمَاءُ: النَّاقَةُ العظيمةُ السَّنَامِ، وضَرَبَ المثَلَ بها لأنهَّا مِنْ خِيارِ مالِ العربِ.

(2) أي: لا يحَصُلُ على الناقتَينْ بِإِثْمٍ كَسرقةٍ، أو أنْ يَقطعَ رَحًما بها.

(3) أي الخيْرُ الذي يأتي مِن تَعَلُّم الآيتَينْ أفضلُ عندَ الله مِن الحُصولِ على ناقتَينْ ومِن خيرِهما الذي كان سَيَعودُ عليه منها، وكذلك ثلاثُ آياتٍ أفضلُ مِن ثلاثِ ناقاتٍ، وأيضًا أَربعُ آياتٍ أفضلُ من أربَعِ ناقاتٍ، وقوله: (وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ)، أي: كلَّما زادَ مِن عددِ الآياتِ في عِلمِها أو قِراءتِها، كان له بعَددِ تلك الآياتِ أفضلُ مِن مثلِها مِنَ الإبَلِ.

(4) صحيح مسلم (٨٠٣)، وأبو داود (١٤٥٦).

من بيته شرف هذا الخروج العظيم، وإنَّ شرف مسيره هذا عائد لشرف غايته، وهل من غاية أعظم من القرآن العظيم وهل من غادٍ مثل هذا الغادي؟!

فليغدُ الناس في هذا الزمان على وجوههم إلى أعمالهم وغاياتهم، أما أنت أيها الحافظ وطلابك فلقد غدوتم في شراء أنفسكم، والنبي ﷺ يقول: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا[1]) أيها العالم والمتعلم: كل الخارجين من أبواب بيوتهم يطلبون الوصول إلى أبواب خيرٍ أو أبواب شر أو أبواب بين هذا وهذا... أما أنت وطلابك على وجه الخصوص وطلاب العلم على وجه العموم فأنتم الأفضل من بين هؤلاء وهؤلاء؛ وذلك لقوله ﷺ:(خيركم من تعلم القرآن وعلمه[2])، ولأنك تطلب العلم الذي لا علم فوقه وهو مصدر كل العلوم النافعة وهو بحرها وفيه سرّها، وقد قال النبي ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ)[3] .

فهل من طريق يُلْتَمس فيه العلم مثل طريق القرآن؟! طريق كلام الله وحفظه أولاً، فإذا كان العلم بحرًا فما قيمة ذلك إذا لم يكن فيه كتاب الله؟! وهل يكون علما أصلا ولا يكون عماده كتاب الله، والله تعالى يقول:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي

(1) صحيح مسلم (٢٢٣).
(2) صحيح البخاري (٥٠٢٧).
(3) رواه الترمذي (٢٦٤٦)، وصححه الألباني.

لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف].

هكذا فليعش الطالب اليقين كل يوم إذ هو يسلك هذا الطريق إلى حلقة القرآن أنه إنما يسلك طريقًا إلى الجنة بتسهيل الله له، إذن فإن الطريق بالطريق، والخطوة بالخطوة، كما أنَّ الغُدُوَّ بالغُدُوِّ، والرَّوَاحَ بالرَّوَاحِ، والآيتين بالناقتين، هكذا فليُغْرَس اليقين في قلب طلابك شيئًا فشيئًا ويومًا بعد يوم حتى يستقر اليقين في قلبه فيستوى كل واحدٍ منهم على سوقه وترى ثمرته وهو لَمَّا يَختمِ القرآنَ بعدُ، وذلك من بدايات حفظه المنطلقة بقوة وثبات بإذن الله تبارك وتعالى .

أيها المعلم: بإمكانك أن تعرض هذا بالعرض الذي قلته أو العرض الذي تختاره... لكن لا تتهاون في غرس اليقين والتأكيد عليه من غير إملال ولا إثقال، ومن غير أن يشعر طلابك منك بتكرار.

يا معلم القرآن ويا طالب حفظ القرآن هل تحسب أن خطاك على الأرض لا تترك آثارها شهادةً كلما غدوت إلى المسجد أو رُحْتَ، أم تحسب أن هذه آثاراً جامدة، أم شهادة صامتة، أم تصويرًا بلاغيًا مجردًا، لا والله بل إنها الشهادة الحية الناطقة التي سوف تؤديها الأرض لك يوم تحتاجها، بل سوف تُحَدِّث الأرض عن أخبارها وقصصها ... ويا لها من قصص ويا له من حديث حفظته الأرض ووعته إذ نسيه وغفل عنه حتى أصحابه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة] ؟!

❁ الله تبارك وتعالى يريدك في بيته:

أتحسب هذهِ الشهادة تتعلق بالخطوات دون الأثر وأنها للماشي دون الراكب؛ إذن

فكيف تكون كتابة الآثار والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس].

امشِ ما شئت من الخطى، واطبع ما شئت من آثار مركوبك... فما من شيء من ذلك يضيع عند الله، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وإياك أن تستقذر تراب خطاك على نعلك أو على قدميك أو ساقيك فهذا واللهِ هو التراب الذي لا يساويه قِير[1] الدنيا كلها يوم القيامة، فعن يزيدَ بن أبي مريم قال: لحقني عَباية بنُ رِفاعةَ بنِ رافعٍ وأنا أمشي إلى الجمعة، فقال أَبشِرْ؛ فإنَّ خُطاك هذه في سبيل الله، سمعت أَبَا عَبْسٍ يقول: قال رسول الله ﷺ:(ما اغْبَرَّتْ قَدَما عَبْدٍ في سَبيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النّارُ[2]).

وما التراب وغباره إلا إشارة واضحة لكل ما يتعلق بمشيك في سبيل الله تبارك وتعالى وأنت غادٍ أو رائح حتى ضَبْح أنفاسك؛ كيف والله سبحانه سجل ضَبْح أنفاس الخيل لأنها أثر من آثار انطلاقتها في سبيل الله، كما سجل سبحانه وَهْجَ سنابكها حين انطلاقتها وحين اشتداد سرعتها فقال سبحانه في سورة سماها باسمها فقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾ [العاديات:١-٦]، فكيف لو كان في الطريق خوض في ماء، أو وحل أو أرض رملية رخوة؟!

نعم للذاهب إلى الصلاة في المسجد خطاه التي في كل خطوة واحدة ثلاث فضائل؛ تُكْتَبُ له حسنةٌ، وتُمْحَى عنه سيئةٌ، وتُرْفَعُ له درجةٌ، للذاهبين إلى الصلاة أجرهم وأنت واحد منهم لكنك تنفرد عنهم جميعًا بالذهاب إلى المسجد للصلاة والقرآن.

---

(1) القير أو القار: شيء أسود تطلى به الطرق الممهَّدة.

(2) رواه البخاري في صحيحه (2683).

أيها المعلم: علِّمه أنه ما دام قادمًا إلى المسجد أنه محاط بحماية من الله وضمانة على الله... فليتق الله وليشكر الله، وليقدر ما هو فيه من عطاء الله حق قدره وطوال طريقه، فعن أبي أُمُامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثةٌ كلُّهم ضامنٌ على اللهِ إنْ عاش رُزِق وكُفي وإنْ مات أدخَله اللهُ الجنَّةَ: مَن دخَل بيتَه فسلَّم فهو ضامنٌ على اللهِ، ومَن خرَج إلى المسجدِ فهو ضامنٌ على اللهِ، ومَن خرَج في سبيلِ اللهِ فهو ضامنٌ على اللهِ[1]).

وَعَنْ أَبِي عُثْمَانَ قَالَ: (كَتَبَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ يَا أَخِي لِيَكُنِ الْـمَسْجِدُ بَيْتَكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: الْـمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ[2]).

وعن أَنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (إنَّ اللهَ لَيُنادِي يومَ القيامةِ: أين جِيرَانِي، أين جِيرَانِي؟ قال: فَتقولُ الملائكةُ: رَبَّنا! ومَنْ يَنبغي أنْ يُجَاوِرَكَ؟ فيقولُ: أين عُمَّارُ المَساجِدِ؟[3]) .

فكم من بعيد المنزل عن بيت الله تبارك وتعالى والله سبحانه حباه واصطفاه وقربه إليه منه سبحانه حين سماه جاره، وكم من صاحب بيتٍ قريبِ البيتِ من بيتِ الله وليس له من هذه الجيرة إلا صورتها، ولن تنفعه صورتها، بل جيرته حجة عليه، والله سبحانه قد أبعده عنه حتى ألغاه من جيرته، وما كان له من كرامة الجوار، وخصوصية هذا النداء العظيم يوم الحشر [أين جِيرَانِي]؟!

(1) صحيح ابن حبان (٤٩٩).
(2) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٦١٤٣)، وحسنه الألباني.
(3) السلسلة الصحيحة (٢٧٢٨).

❁ طالب النور:

تَذَكَّرْ وذَكِّرْ بأنك ذاهب إلى أحب البقاع إلى الله؛ ألست أنت الذاهب إلى ربك، وأنك ترجو في هذا الذهاب ما رجاه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ترك أهله في الظلام وسار يطلب النور في الوادي المقدَّس، وأنت تخرج من بيتك وهتافك بربك هو طلب النور لك فتقول: (اللهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وَتَحْتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا، وَخَلْفِي نُورًا، وَعَظِّمْ لِي نُورًا[1]).

(نورًا) هكذا تتكرر هذهِ اللفظة الكريمة في كل مرة، أي: نورًا عظيمًا مطلقًا، نورًا عظيمًا مطلقًا في قلبي، نورًا عظيمًا مطلقًا في بصري، وهكذا في بقية كياني وذاتي، وبجميع الجهات التي حولي... فلماذا الآن؟ لأنك الآن ذاهب إلى مركز النور في الأرض فأنت تطلب النور ليتحقق لك إذ أنت تمشي إلى بيت الله وبهذا يتوافق سعيك ودعاؤك، مشيك برجليك، وهتاف قلبك، ومناشدتُكَ ربَّك، وإن المشي في الظلمات مهلكة وأي مهلكة، والمشي في ظلمات الحياة التي ألبستها بالفتن والدواهي لهو أشد وأعظم خطرًا!، وسبحان الله فقد ورد ذكر النور في سور النور قبل ذكر بيوت الله مباشرة فانظر وتأمل: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ

(1) صحيح مسلم (٧٦٣).

ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾ [النور:٣٥-٣٨].

فكأن سائلًا سأل: أين هذا النور العظيم الذي ذكر في الآية الأولى؟ جاء الجواب بعدها مباشرة: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾.

وأمر آخر عظيم بالنسبة لطلب النور في المسجد لك أنت أيها المعلم وأيها المتعلم كذلك وهو أنك ذاهب للقرآن ولحلقة القرآن والله عز وجل يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء]، فدعاء المشي إلى المسجد ليس للصلاة وحدها وإنما هو بشكل مطلق لكل مريد الذهاب إلى المسجد فكيف وأنت ذاهب لكلام الله لتضعه في صدرك.. وهل مَثَلُ آية النور إلا مثلاً للنور في قلب المؤمن؟



الكلمة الرابعة

الوصول إلى بيت الله[1]

(1) ربما لا يحفظ الطالب في المسجد ولكنه ملتزم بالحفظ ... وهذان مشتركان في كل شيء ... ويبقى المسجد هو الأصل ... ولكلٍ عذره.

الكلمة الرابعة: الوصول إلى بيت الله

❁ **تأمل أولاً:**

عطاءُ اللهِ لِمَن جاءه بيتَه تبارك وتعالى كيف يكون؟!

سؤال: أين مَن يَقْدُرُ بيتَ اللهِ حَقَّ قَدْرِه؟!

نعم قد وصلنا الآن المسجد، لكنني أعتقد أنه لا يكاد يوجد في هذا الزمان من يَقْدُرُ المسجد حق قدره... ومن يعرف ماذا يعني: قد وصلنا الآن إلى المسجد .. وقد دخلنا الآن إلى المسجد ..!

إنه بيت الله! فهل نوفِّي هذه النسبة .. لهذه البقعة حقها ... هل نعطي هذا المصطلح حقهُ، بل هل نحن نفهمه على حقيقته؟! إن مجرد إنكارك النفسي لهذا السؤال، وظنك أنه معروف أي أننا نوفِّيه حقه، هو دليل على إصرارٍ على غفلةٍ عميقة، ورفض مسبق! فلننظر الآن خطوة خطوة لنرى ماذا يعني: بيت الله؟]

لو أنك غدوت إلى بيت أحدِ صَحْبِك، أما كان الواجب عليه أن يقوم بضيافتك؟... فكيف تذهب إلى الله تبارك وتعالى في بيته وهو الذي دعاك إلى بيته ثم لا يضيفك، وكيف يمكن أن تذهب زيارتك هدرًا؟! لكن لما كان تحقق ضيافةِ أهل الدنيا من طعام وإكرام مستحيلاً ادخره الله لمن جاؤوا إليه في بيته في الدنيا، إلى داره هناك وهي الجنة ... وهذهِ والله أكرم مما لو قُدِّم له في الدنيا طعامٌ في المسجد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:(مَنْ غَدَا إِلَى الْـمَسْجِدِ، أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ

لَهُ فِي الْجَنَّةِ نُزُلًا، كُلَّمَا غَدَا، أَوْ رَاحَ)[1] .

وحين يقدم لك تلك الضيافة هناك فإنك تُذَكَّر فَتَذْكُر ليكون أَقرَّ لعينك وأهنأ لقلبك... فكم يفرح الصياد إذا أكل من صيده بخلاف ما لو اشترى مثله أو أحسن منه من السوق جاهزًا.

وهذهِ الضيافة ليست مرة واحدة إنما هما ضيافتان لكل مرة تأتي بها إلى المسجد؛ مرة لقدومك ومرة لرواحك كما قال النبي ﷺ: (كلما غدا أو راح)، كما أن هذهِ الضيافة ليست لكل داخلٍ الجنة... فإنها محسوبة على الغدوة والروحة فمن لم يغدُ إلى المسجد أو يَرُحْ لم يجدها، ومن نقص في المجيء نقصت ضيافته بقدرها وهكذا.

❀ تأمل ثانيًا:

توقف .. اخلع نعليك فإنك في أقدس بقعة على الأرض!

أرأيت الأرض العظيمة كلها من مشرقها إلى مغربها، ومن شمالها إلى جنوبها، هذهِ البقعة من الأرض هي أحب بقعة إلى الله، وهذهِ أحسن بقعة عند الله الذي خلق السماوات والأرض...

ليس بيتي ولا بيتك، ولا هو قصرٌ من قصور أهل القصور، ولا أي مكان آخر على الأرض... بل هو المسجد تحديدًا.

وقد صرح النبي ﷺ بهذا فقال: (أَحَبُّ البِلَادِ إلى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى اللهِ أَسْوَاقُهَا)[2] .

(1) صحيح مسلم (٦٦٩).

(2) رواه مسلم (٦٧١).

وعن جُبير بنِ مُطعِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجُلاً قال: يا رسولَ الله! أيُّ البُلدان أحبُّ إلى الله، وأي البُلدان أبغضُ إلى الله؟ قال:(لا أدري، حتى أسألَ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ)، فأتاه جبريل، فأخبرَه:(أنَّ أحسنَ البِقاع إلى الله المساجدُ، وأبغضَ البِقاع إلى الله الأسواقُ)(1) .

❁ تأمل ثالثًا:

فعند باب بيت الله استعاذة لا نظير لها

ولهذا فإنك عند عتبة بيت الله تستعيذ بالله استعاذة منقطعة النظير لتكون استعاذتك استعاذة لك أنت في بيت الله من أن يقربك شيطان وأنت في بيته، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْـمَسْجِدَ قَالَ:(أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)، قَالَ: أَقَطْ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ: ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ(2).

ونحن إذا رجعنا إلى الاستعاذة من الشيطان الرجيم وجدناها؛(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أو أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أو نحو ذلك)، أما عند دخول المسجد فإنها استعاذة تقشعر لعظمتها الأبدان، وإنها لتُنبئ عن أمرٍ جلل يستحق هذا، وصراع كبير يحتاج هذا السلاح... وكل هذا في المسجد وليس إلا في المسجد... إن هذهِ هي أحب البقاع إلى الله في الأرض، وهي أبغض البقاع إلى الشيطان نعوذ بالله منه، وما هذا إلا لما فيها مما لا يمكن تصوره من النور والهدى والرحمة والخير.

---

(1) أخرجه أبو يعلى في(المسند) (١٣/ ٤٠٠)، والطبراني في(الكبير) (٢/ ١٢٨)، والحاكم (١/ ١٦٦) باختلاف يسير، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح.

(2) أخرجه أبو داود (٤٦٦)، وصححه الألباني.

فمن جاء إلى المسجد محتمياً بصاحب البيت من عدوٍ وخبيث ... فالاستعاذة هنا صريحة بأنها من الشيطان الرجيم.

ولذا فإن الشيطان لا يبغض قادمًا لمكانٍ بغضه من جاء إلى بيت الله، ولا يؤذي الشيطان إنسانًا ويشوش عليه ما استطاع إيذاءه وتشويشه على من دخل المسجد، ولأن المسجد هو أعظم محطة أو مكان يحول الناس من الدنيا إلى الجنة، ولأن في المسجد من الملائكة ما لا يوجد في مكان مثله وكأنه الجنة كما سيأتي معنا بإذن الله فلكأن المسجد في هذهِ الأرض هو الجنة بالنسبة للدار الآخرة، ولذا فإن أخطر مهامِّ الشيطان أن يخرج المسلم بأسرع وقت من المسجد، كما أخرج أبانا آدم من الجنة، فكيف بمن توطَّن المسجد مثلك أنت أيها الحافظ وطلابك طلاب حفظ القرآن... وكم تنتصرون على الشيطان، وكم تعجزونه ببقائكم في بيت الله تبارك وتعالى على كتاب الله، فإن التأخر عن الانصراف في الموطن الذي يحبه الله إنما هو فعل من اتقى وإن كان كلا الأمرين مشروعاً كما قال سبحانه: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣﴾[البقرة].

ولماذا الاستعاذة العظمى هذهِ التي وردتْ بهذهِ الصيغة لم ترد إلا في هذا الموطن؟! لأنك أنت أيها الداخل إلى المسجد حين خرجت من مقرك إنما تريد المسجد... إنما خرجت موجهًا وجهك للذي فطر السماوات والأرض فأنت تستعيذ بالوجه الكريم الذي قصدته، ألا يحول بينك وبينه حائل، ولا يشوِّش على بصيرتك شيطان، ولهذا جاءت الاستعاذة هنا بثلاث ليس مثلها ثلاث على الإطلاق: (بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم).

❀ تأمل رابعًا:

وضعك الآن، فإنك الآن زائرُ الله في بيته

وأما الآن فإنك قد دخلت بيت الله وتخطيت عتبة باب بيته بيمينك... تريد مَنْ؟ لا شك أنك تريد صاحب البيت، فَمَنْ صاحبُ هذا البيت .. مَنْ رَبُّ هذا البيت؟ إنه الله سبحانه وتعالى، فعن سَلْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: (مَنْ تَوَضَّأَ في بيتِه فأحسنَ الوضوءَ ثم زارني في بيتٍ من بيوتي فإيايَ زار وحقٌّ على المَزورِ أن يُكرمَ زائرَه)[1]، (فهو زائر الله) ولم يقل فهو زائر المسجد ولا من في المسجد ولا ملائكة المسجد، دعك من اللغط العقائدي والجدلي، وانظر إلى قول النبي ﷺ، وخذ منه الجلال الذي يفيض على المسجد وعلى مَنْ في المسجد خاصة، بل وعلى مُتلقي هذا اللفظ كما هو الآن.

❀ تأمل خامسًا:

غايتك التي جئت لها .. وما لك عند صاحب البيت سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

فلقد جاء في الحديث:(ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ، يتلون كتابَ اللهِ، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلتْ عليهم السَّكينةُ، وغَشِيَتْهم الرحمةُ، وحفَّتهم الملائكةُ، وذكرهم اللهُ فيمن عندَه)[2] .

وَسُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ ذِكْرُ اللهِ، وَمَا جَلَسَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتَعَاطَوْنَ فِيهِ كِتَابَ اللهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَتَدَارَسُونَهُ، إِلَّا أَظَلَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ

(1) السلسلة الصحيحة (١/ ١٥٨).

(2) السراج المنير في ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير: (١/ ٨٢)، حديث رقم (٢٥٨)، وقال الألباني: صحيح.

بِأَجْنِحَتِهَا، وَكَانُوا أَضْيَافَ اللهِ مَا دَامُوا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يُفِيضوا في حديثٍ غَيْرِهِ [1].

فلماذا تحفُّهم الملائكة بأجنحتها؟ ولماذا تغشاهم الرحمة؟ ولماذا تنزل عليهم السكينة؟ ولماذا يذكرهم الله فيمن عنده؟ والجواب: هو في هذا الحديث لأنهم أضياف الله في بيته، ولأنهم يتلون كلام الله في بيت الله، فإذا اختاروا الكلام في غير كتاب الله لم يصبحوا أضياف الله حتى وإن كانوا في بيته، وعندها تنصرف عنهم الملائكة وترتفع عنهم تلك الرحمة الخاصة وتذهب السكينة، ولا يذكرهم الله فيمن عنده، نعم لداخل المسجد من الخير ما له، ولكن لداخل المسجد مع كلام الله الذي هو مائدة الله شيء آخر يختلف عن كل شيء.

فيا أيها العالم والمتعلم بالقرآن: إنما أنت زائر الله... ضيف الله في بيته فكيف يكون أدب الضيف، وكيف يكون حديث الضيف، وكيف يكون تصرفه ونظرات عينيه، كيف وصاحب البيت يعلم السر وأخفى وهو عليم بذات الصدور.

❁ تأمل سادسًا:

مجتمع بيت الله تعالى الذي من حولك

والآن وقد استقر مقامك في بيت الله تعالى ؛ فهل تعرف من هو المجتمع الذي حولك، كيف هو الجو الذي يحيط بك، فلا شك أن للمساجد ملائكتها... وإذا لم تكن بيوت الله هي مجامع الملائكة في الأرض فلا أدري أين تكون؟!

ولا شك أن للملائكة وظائفها في المسجد ومن ذلك ما يقومون به من تسجيل

(1) رواه مسلم في صحيحه ٢٦٩٩.

القادمين يوم الجمعة، فالنبي ﷺ يقول: (إِذَا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ وَقَفَتِ المَلاَئِكَةُ عَلَى بَابِ المَسْجِدِ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ، وَمَثَلُ المُهَجِّرِ كَمَثَلِ الَّذِي يُهْدِي بَدَنَةً، ثُمَّ كَالَّذِي يُهْدِي بَقَرَةً، ثُمَّ كَبْشًا، ثُمَّ دَجَاجَةً، ثُمَّ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ طَوَوْا صُحُفَهُمْ، وَيَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ)(1).

فهذه ملائكة خاصة لتسجيل القادمين لصلاة الجمعة هذا هو الظاهر لأن الملائكة يزدحمون أكثر إذا كانت الجماعة أكثر حتى لو كان الناس يصلون في فلاة، فكيف إذا كان يوم الجمعة وهو يوم المزيد في الجنة؟! وإذا كان من عادة البشر مزيد الإعداد عند مزيد الضيوف فكيف بضيوف ربنا الأكرام تبارك وتعالى، وهذا فوق أن لكل واحد من الناس ماله من الملائكة.

ولا شك أن لسائر الأيام ملائكتها في بيوت الله، ولليل ملائكته وللنهار ملائكته ... أما هذه البقعة فهي بيت الله تعالى وكفاها هذا التفرد في الاسم وفي الحقيقة من بين كل بقاع الأرض برها وبحرها وجوها ... سهلها ومنخفضاتها ومرتفعاتها، مدنها وقراها وغاباتها وصحاريها ....

بل لو لم يكن في المسجد صلاة ولا جمعة ولا حلقة ولا ذكر ولا شيء ما تركت الملائكة بيت الله... ولهذا أوجب النبي ﷺ مراعاتهم وعدم إسقاطهم من حساباتنا، ولهذا قال النبي ﷺ:(مَن أكلَ بصلًا أو ثُوْمًا فلْيَعتزلْنا، أو فليعتزِلْ مساجِدَنا، وليَقْعُدْ في بيتِهِ)(2)، فلو لم يكن في المسجد أحد ما حلَّ دخول المسجد لمن أكل بصلاً أو ثومًا أو شجرًا خبيثًا.. وهل السجائر إلا دخان ورق شجر التبغ المجفف، وهو

(1) صحيح البخاري (٨٨٧).

(2) أخرجه البخاري (٨٥٥) واللفظ له، ومسلم (٥٦٤).

خبيث ومضر ونفثة دخان أخبث من رائحة البصل والثوم.

❁ تأمل سابعًا:

العلاقات التي سوف ينشئها صاحب البيت سبحانه لك

وليس هذا فحسب بل لملائكة المسجد علاقة وطيدة ولها خصوصيتها مع أحبابهم من أهل المسجد، فعن عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن رسول الله ﷺ قال:(سِتٌّ مجالسَ؛ المؤمنُ ضامنٌ على الله[1] تعالى ما كان في شيءٍ منها: في مسجدِ جماعةٍ[2]، وعندَ مريضٍ، أو في جنازةٍ، أو في بيتِهِ[3]، أو عندَ إمامٍ مُقْسِطٍ يُعَزِّرُهُ ويُوَقِّرُهُ، أو في مَشهدِ جهادٍ.)[4] ؛ فمن أكثر منكم مكثًا في المسجد يا أصحاب الحلقات القرآنية ويا طلاب الحلقات، من أكثر توطنًا للمساجد منكم؟! فلتهنأوا بهذهِ العلاقة العزيزة.

وَلْنتأمَّلْ هذا الخبر من رسول الله ﷺ وكأننا نسمعه لأول مرة ... لنعمل وفق هذا الشعور، وذلك لئلا يقتل عظمة هذهِ البشارة عندنا السماع السابق للخبر، ولئلا يذهب جمالها ونورها التكرار في السماع، وكأن الأمر هو جمع معلومات، أو سبق صحفي!

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال:(إِنَّ لِلْمَسَاجِدِ أَوْتَادًا[5] الْـمَلاَئِكَةُ جُلَسَاؤُهُمْ،

(1) ضامن على الله: أي تكَفَّل اللهُ لهم، أو أنَّه في ضَمانٍ ما وعَده اللهُ به بالجزاءِ حيًّا وميتًا.

(2) في مسجد جماعة: أي وكذلك الَّذي يَروحُ إلى المسجِدِ؛ فإنَّه يَبتَغي فضلَ الله ورِضْوانَه، ومغفرتَه؛ فهو ذو ضَمانٍ على الله ألاَّ يُضِلَّ سعْيَه، ولا يُضيعَ أجرَه؛ فإنْ ماتَ مات في سبيلِ الله؛ لأنَّه خرَجَ لعبادةِ الله ولطاعَتِه، وإنْ رجَعَ فهو مُحصِّلٌ للأجرِ والغَنيمةِ في الآخِرَةِ، وإنْ حصَل له رِزقٌ في الدُّنيا بسببِ هذا العَملِ الصَّالِحِ؛ فهو مِن الأجرِ والثَّوابِ المُعجَّل.

(3) أو في بيته: أي يجلس في بيته تفادياً للشر، كما في حديث معاذ، ولفظه:(أو قعد في بيته؛ فَسَلم، وسَلِمَ الناس منه).

(4) أخرجه عبد بن حميد في(المسند) (٣٣٧)، والبزار كما في(الترغيب والترهيب) للمنذري (١/ ١٣٧)، والطبراني (١٤/ ٦٠) (١٤٦٥٥)، وقال الألباني: حسن لغيره.

(5) يعني: هم روّادها.

إِنْ غَابُوا يَفْتَقِدُونَهُمْ، وَإِنْ مَرِضُوا عَادُوهُمْ، وَإِنْ كَانُوا فِي حَاجَةٍ أَعَانُوهُمْ)[1]، ثمّ قال:(جَلِيسُ الْـمَسْجِدِ عَلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: أَخٍ مُسْتَفَادٍ، أَوْ كَلِمَةٍ مُحْكَمَةٍ، أَوْ رَحْمَةٍ مُنْتَظَرَةٍ[2]).

❁ تأمل ثامنًا:

هل بلغنا المستوى الحقيقي لبيت الله؟!

لما خلق الله سبحانه المحبة في قلب الطفل الرضيع انجذب نحو حجر أمه أولاً فتلك هي الفطرة وتلك هي المحبة التي أنشأتها الأم في قلب صغيرها، فمحبتها هي التي ثوَّرَت في قلب الصغير الحب فلم يعد يملك مقاومة الجاذبية التي تخلع قلبه فيجري وراء أمه باتجاه حُبِّه.

وإذا ما كبر الصغير وأصبح فتى من الفتيان فإنه ربما انجذب نحو بيت جيرانه أو نحو نادٍ من الأندية الثقافية أو الرياضية أو الاجتماعية، فهنا نعلم بأنه ثمة حب نشأ في قلب هذا الفتى نحو هذا المكان أو ذاك وأن السبب هو ذاك النادي وما فيه مما لبى متطلبات الفتى ورغباته، وحين تنشأ المحبة بين طالب حفظ العلم المتعلم القرآن، وبين بيت الله فلتعلم أن صاحب الكتاب العظيم ورب البيت الكريم هو من أنشأ هذه العلاقة في قلب حافظ القرآن فما عاد يقوى على البقاء خارج بيت الله وحلقة القرآن قائمة، وما عاد يصبر على فراق صُحْبَة أصحاب القرآن إذ هم في المسجد وهو في أي مكان في الأرض حتى لو كان بيته، لكن السؤال هو: لو كان

(1) رواه أحمد (٩٤٢٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(2) رواه أحمد (٩٤٢٥)، وقال الألباني: حسن.

بيت فلان أو فلان الذي كنت تحب الذهاب إليه لَـمَّـا كنت صبياً فتيّاً هل كنت تحب الذهاب إليه لو لم يكن في ذاك البيت أهله؟! هل كنت تحب الذهاب لذاك النادي أو غيره لو لم يكن فيه القائمون عليه أو كان مهجورا؟! فلم لا تفهم ذات الأمر مع بيت الله تبارك وتعالى فماذا لو لم يكن صاحب البيت في البيت فما مزية هذا البيت عن سواه؟

وهنا أعود لكون السر في أن هذهِ البقعة أخذت عظمتها فأصبحت أحسن بقاع الأرض وخيرها وأنها مَحَطُّ النور، ومجمع الملائكة، وموقع تنزل الرحمة والسكينة هو شيء واحد فقط وهي كونها بيوت الله، بيوت مَنْ؟ إنها بيوت الله.

فهل نحن البشر وعلى الأخص أهل القرآن عالمين ومعلمين عرفنا لمن نذهب نحن حين نذهب إلى المسجد؟! هل عرفنا جو المسجد وماذا يحيط بنا إذ نحن أكثر الناس مكثًا فيه، وماذا حولنا إذ نحن داخل بيت الله؟! هل عرفنا أن هذهِ الفضائل ليست للتعالي على الخلق أو على بقية العابدين، وأن أعظم الحقوق لأعظم الفضائل وأعظمها كون هذا المسجد بيت الله تعالى ؟!

ولأنه بيت الله يجب أن يأخذ الحق الذي على العبد تجاه ربه؛ الله رب العالمين: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٤﴾ [الحديد]، ولأنه بيت الله فينبغي للعبد أن يتعبد لله في كل تصرف وهو في بيته هكذا علمنا رسول الله ﷺ، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يُصَلِّي لِلنَّاسِ صَلَاةَ الظُّهْرِ، فَتَفَلَ فِي الْقِبْلَةِ وَهُوَ يُصَلِّي لِلنَّاسِ، فَلَمَّا كَانَ صَلَاةُ الْعَصْرِ أَرْسَلَ إِلَى آخَرَ، فَأَشْفَقَ الرَّجُلُ الْأَوَّلُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولُ أَنَزَلَ فِيَّ؟ قَالَ:(لَا، وَلَكِنَّكَ تَفَلْتَ بَيْنَ

يَدَيْكَ، وَأَنْتَ تَؤُمُّ النَّاسَ، فَآذَيْتَ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ)[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:(إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً، فَقُولُوا: لَا رَدَّ اللهُ عَلَيْكَ)[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:(مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي الْـمَسْجِدِ فَلْيَقُلْ لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ فَإِنَّ الْـمَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا)[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ أَتَى الْـمَسْجِدَ كَانَ فِي صَلَاةٍ حَتَّى يَرْجِعَ فَلَا يَقُلْ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ)[4]

وعن كَعْبِ بنِ عُجْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:(إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ خَرَجَ عَامِدًا إِلَى الْـمَسْجِدِ فَلَا يُشَبِّكَنَّ يَدَيْهِ فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ)[5].

ورُوِيَ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنّ النبي ﷺ قال:(لَا تَتَّخِذُوا الْـمَسَاجِدَ طُرُقًا إِلَّا لِذِكْرٍ أَوْ صَلَاةٍ)[6].

وَعن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَكُونُ حَدِيثُهُمْ فِي مَسَاجِدِهِمْ، لَيْسَ للهِ فِيهِمْ حَاجَةٌ)[7].

---

(1) رواه الطبراني في(الكبير) (١٣/ ٤٣) (١٠٤)، وقال الألباني: حسن.

(2) أخرجه الترمذي (١٣٢١)، والدارمي (١٤٠١)، والنسائي في(السنن الكبرى) (١٠٠٠٤) باختلاف يسير، وقال الألباني: صحيح.

(3) أخرجه مسلم (٥٦٨).

(4) رواه ابن خزيمة في(صحيحه) (٤٣٩)، والحاكم (٧٤٤)، وقال:(صحيح على شرطهما)، وقال الألباني: صحيح.

(5) رواه أبو داود (٥٦٢)، وقال الألباني: صحيح.

(6) رواه الطبراني في الكبير (١٣٢١٩)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(7) رواه ابن حِبّان في صحيحه (٦٧٦١)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: أمرنا رسولُ الله ﷺ ببناءِ المساجد في الدُّور[1]، وأن تُنَظَّفَ وتُطَيَّبَ[2].

ولأنه بيت الله وذاك البيت بيتكم فلا يجوز أن تعتنوا بالمسجد عنايتكم ببيوتكم بل أشد وأكثر والله عز وجل يقول:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة]، وشدة الحب تظهر من القلب إلى العمل كلما جاءت الفرصة وقد جاءت الفرصة في خدمة بيت الله في كل صغيرة وكبيرة دون استثناء بل هو السباق في مرضاة الله وإرضائه من خلال خدمة بيته.

ولأنه بيت الله فمن لم يستطع أن يَتْفُلَ إلا في المسجد فَلْيَتْفُلْ في ثيابه ولا يتفل بالمسجد .... لأنه بيت الله.

ولأنهُ بيت الله سأل النبي ﷺ عن المرأة السوداء، وذهب إلى قبرها ليصلي عليها بينما اعتذر عن الصلاة على ابن بنته وقال لابنته في بادئ الأمر اذهبوا فصلوا عليها.

فعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ الله عنه:(أنَّ امرأةً سوداءَ كانتْ تَقُمُّ المسجدَ أو شابًّا ففَقَدَها رسولُ اللهِ ﷺ، فسأَلَ عنها أو عنه فقالوا: مات، قال: أفلا كنتُم آذَنْتُمونى[3] ! قال: فكأنَّهم صَغَّروا أمرَها أو أمرَه فقال: دُلُّوني على قَبرِها، فدَلُّوه، فصلَّى عليها، ثم قال: إنَّ هذه القبورَ مملوءةٌ ظُلمةً على أهلِها، وإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُنوِّرُها لهم بِصَلاتِي عليهم)[4]، فهذِهِ امرأة سوداء كانت متفرغة لهذا الشأن وهي أنها تكنس المسجد

(1) أي: القبائل، وقوله:(وأن تنظف وتطيب)، أمر بذلك لكونها محالًا لحضور الملائكة الكرام.

(2) رواه أحمد (٢٦٣٨٦)، وأبو داود (٤٥٥)، وصححه الألباني.

(3) آذنتموني: أي أعلمتموني أو أخبرتموني.

(4) رواه البخاري (٤٥٨)، ومسلم (٩٥٦) واللفظ له.

ولهذا افتقدها النبي ﷺ مباشرة، ولم يطل الأمر يومًا أو يومين إنما هي فريضة واحدة وما فاتت حتى سأل عنها، بينما كان يغيب بعض الصحابة فلا يسأل عن بعضهم رسول الله ﷺ إلا بعد فترة يسأل عنهم، وأحيانًا يموت البعض فيصلي عليه المسلمون فيما بينهم كما حصل في هذهِ القصة، ولكن كم ممن تفوته الصلاة عليه ولا يذهب إلى قبره فيصلي عليه!، أما هذهِ فلا.. فلماذا كل هذا؟

لا جواب إلا علاقة تلك المرأة السوداء ببيت الله..، فهل أدركنا عظمة هذهِ النسبة؛ (بيت الله)، وهل أدركنا ما يجب علينا نحو من يعمل خادما لبيت الله تبارك وتعالى، وأشرف الوظائف وأشرف الموظفين هم خدام بيت الله، أتدرون لماذا؟ إنه بيت من؟ إنه بيت الله.

فلقد صح في الحديث: (عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ[1] تَدْعُوهُ، وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا، أَوِ ابْنًا لَهَا فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ:(ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا: أَنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ[2] وَلَهُ مَا أَعْطَى[3]، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ[4])، فَعَادَ الرَّسُولُ، فَقَالَ: إِنَّهَا قَدْ أَقْسَمَتْ لَتَأْتِيَنَّهَا، قَالَ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَامَ مَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ

(1) إحدى بناته: هي زينب رضي الله عنها .

(2) لله ما أخذ: معناه الحث على الصبر والتسليم لقضاء الله تعالى، وتقديره: إن هذا الذي أخذ منكم كان له لا لكم فلم يأخذ إلا ما هو له فينبغي أن لا تجزعوا كما لا يجزع من استُرِدَتْ منه وديعة أو عارية.

(3) وله ما أعطى: أي أنَّ ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه بل هو سبحانه وتعالى يفعل فيه ما يشاء.

(4) فلتصبر ولتحتسب: أي اصبروا ولا تجزعوا، فإن كل من مات فقد انقضى أجله المسمى، فمحالٌ تقدُّمه أو تأخُّره عنه، فإذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم.

بْـنُ جَبَـلٍ، وَانْطَلَقْـتُ مَعَهُـمْ، فَرُفِـعَ إِلَيْـهِ الصَّبِـيُّ وَنَفْسُـهُ تَقَعْقَـعُ[1] كَأَنَّهَـا فِـي شَـنَّةٍ، فَفَاضَـتْ عَيْنَـاهُ، فَقَـالَ لَـهُ سَـعْدٌ: مَـا هَـذَا؟ يَـا رَسُـولَ اللهِ قَـالَ: (هَـذِهِ رَحْمَـةٌ جَعَلَهَـا اللـهُ فِـي قُلُـوبِ عِبَـادِهِ، وَإِنَّمَـا يَرْحَـمُ اللـهُ مِـنْ عِبَـادِهِ الرُّحَمَـاءَ)[2] .

فهـذه البنـت وابنهـا ارتبطـا نسـباً بالنبـي ﷺ، وتلـك المـرأة السـوداء ارتبطـت ببيـت اللـه... فـكان الفـارق... إذن فكـم هـو الفـارق بيـن بيتـك وبيـن بيـت اللـه فـي اهتمامـك وخدمتـك وغيرتـك، وتنظيفـك وتطييبـك ومـا إلـى ذلـك؟!

وهكـذا زاد خليلـه إبراهيـم وإسـماعيل عليهما السلام فضـلا وشـرفًا ببيـت اللـه وخدمتـه ولأنـه بيـت اللـه قـال اللـه سـبحانه لأعلـى ذريـة آدم مقامًـا بعـد رسـول اللـه ﷺ وهـو أبـوه خليـل الرحمـن عليه السلام مـع ولـده إسـماعيل عليه السلام: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقـرة]، فهـذا عهـد اللـه إليكمـا، وهـذِهِ الخدمـة خاصـة بكمـا... فإبراهيـم وإسـماعيل يقومـان بـكل مـا يشـمله عهـد التطهيـر وغيـره، مـن مسـحٍ وكنسٍ ورفـعِ أذى ومـا إلـى ذلـك دون اسـتثناء شـيء، فـأي قداسـة لبيـوت كهـذِهِ، ومـن ذا الـذي يسـتنكف مـن القيـام خدمـة لبيـت اللـه تقربًـا إلـى اللـه سـبحانه بعدمـا يسـمع أمـر اللـه سـبحانه لإبراهيـم وإسـماعيل عليهما السلام، نعـم همـا نبيـاه عليهما السلام ولـذا فالأمـر لـم ينتـه بالبنـاء وذلـك لأنـه بيـت اللـه تبـارك وتعالـى .

ولأنه بيت الله فسوف أترك كل واحد وشأنه مع بيت ربه وما يصنع به وما يصنع

(1) ونفسـه تقعقـع: القعقعـة حكايـة حركـة الشيء يُسـمع لـه صـوت، والشـن: القِرْبَـة الباليـة، والمعنـى وروحـه تضطـرب وتتحـرك لهـا صـوت وحشرجـة كصـوت المـاء إذا أُلقـي في القربـة الباليـة.

(2) رواه البخاري (٧٣٧٧)، ومسلم (٩٢٣) واللفظ له.

له، وكيف يقتدي بخليل الرحمن، وابنه إسماعيل عليهما السلام، وبابنهما سيد ولد آدم رسول الله محمد ﷺ.

❁ رفع الصوت في بيت الله!

وإن بعض مَنْ قَلَّ عِلْمُه يتباهى برفع صوته إذا دخل المسجد والإمام يقرأ القرآن جهرًا... فيشوش على الناس ويصبح صوته أعلى من صوت القرآن وهذا أمر خطير عليه وربما حبط عمله بسببه، ولقد قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [الحجرات: ٢]، فلا يشترط أن تشعر في داخلك أن عملك قد أحبطه الله ونسفه كله لكي يكون ذلك حَدَثَ فعلاً، وأنَّى لك أن تشعر؟! أولم يقل الله سبحانه: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾، وهذهِ تجعل المسلم أشد ما يكون حذرًا من الاقتراب من رفع الصوت على صوت كلام الله، وليقطع الداخلون المسجد كل حديث مادام كلام الله عاليًا... فلا كلام إذا حضر كلام الله، ولا صوت مخلوق إذا على صوت كلام الله، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف].

وليكن هذا دأب صاحب القرآن عالماً أو متعلماً في حياته كلها، فنحن إنما نطلب رحمته سبحانه ورحمته منوطة بالاستماع والإنصات، ولم يخص الله سبحانه ذلك بالصلاة بل بالحياة كلها.

ثم في هذه الآية أمران عظيمان مختلفان وليسا بمعنى واحد؛ إنهما الاستماع والإنصات، فقال ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلۡقُرۡءَانُ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

[الأعراف]... فالاستماع معروف وأما الإنصات[1] فقد جاء بعده، فهو أعلى منه درجة وأقوى منه إحكاماً، وأكثر منه وجوباً وإلزاماً، فإن المعلوم عند كل الناس أن الإنسان يمكن أن يستمع لمتحدث آخر إذ هو يتحدث والبعض يستمع إلى اثنين وثلاثة في وقت واحد، ولهذا جاء إحكام الاستماع للقرآن إذ قرئ بالإنصات له وحده دون سواه، فكما أن الله سبحانه لا يشرك في حكمه أحداً فلا يشرك في الاستماع شيئاً مع كتابه أبداً، ولم يكن هذا النوع من الاستماع إلا بالإنصات.



(1) الإنصات: مصدر لفعل أَنصَتَ، وهو الاستماع إلى المتحدِّث بانتباه.

الكلمة الخامسة

يا بنيّ رُفِعَ إليك

عَلَمٌ فَشَمِّرْ إليه[1]

(1) عن عائشة - رضي الله عنها - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ». رواه البخاري (4937).

الكلمة الخامسة: يا بُني رُفِعَ إليك عَلَمٌ فَشَمِّرْ إليه

❁ يا بنيّ رُفِعَ إليك عَلَمٌ فَشَمِّرْ إليه:

يا بني: فلتعلم أن رب العالمين هو من ساقك سَوقًا إلى بيته لا لتصلي الفريضة فحسب كما يسوق إخوانك المؤمنين كل يوم بشكل عام خمس مرات، ولكنه اختصَّك من بين هؤلاء المؤمنين لتستوطن بيته أكثر... فكل من حضر إلى بيته الكريم للصلاة لمَّا انتهت الصلاة أذن الله لهم بالانصراف فانصرفوا، كما قال سبحانه في الحاضرين للجمعة وهي أعظم صلوات الأسبوع: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الجمعة]، أما أنتم فكأنه قيل لكم عن صاحب البيت سبحانه: انتظروا قليلًا فقد أحببت بقاءكم أكثر، امكثوا عندي في بيتي... فلقد اخترت لكم أخصَّ شيءٍ بالنسبة لي.. الشيء الذي لا نظير له في كل خلقي لأنه مني...انتظروا فإني سوف أحدثكم بحديثي ... وهل من حديث أحسن من حديثي: ﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الطور]، وقال سبحانه: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النجم: ٥٩-٦٠]، وقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾[النساء]، لا لتستمعوا إليه فحسب، ولا لتقرأوه من المصاحف الكثيرة في المسجد فقط ثم تتركونه وتنصرفون .. ولكن لتضموه إلى صدوركم .. وفي قلوبكم ..

فلتعودوا إلى أهليكم كل يوم بآية وآيتين وثلاثة أو أكثر، وهكذا باستمرار طوال الليل والنهار حفظًا لكلامي وتثبيتًا... فلا تتوقفوا بعد هذا الاصطفاء حتى تكملوا المهمة، وتواصلوا الطريق حتى منتهاه .. ومنتهاه عندي .. يوم لقائي ومعكم كلامي العظيم.

فانتبهوا لهذهِ الغاية السامية... المتناهية في السمو... وكونوا مع غايتكم هذهِ كالذي رُفع له عَلَمٌ فشمَّر إليه كما كانت عائشة تصف خُلُقَ رسول الله ﷺ فقد سألها سائل: قَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَيْسَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ الْقُرْآنُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ فَبَدَا لِي قِيَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ نَبِيِّ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: أَلَيْسَ تَقْرَأُ هَذِهِ السُّورَةَ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ، وَأَمْسَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ التَّخْفِيفَ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ أَنْ كَانَ فَرِيضَةً، فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ فَبَدَا لِي وَتْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْبِئِينِي عَنْ وَتْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ، وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ لَا يَجْلِسُ فِيهِنَّ إِلَّا عِنْدَ الثَّامِنَةِ، يَجْلِسُ فَيَذْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَدْعُو ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيمًا يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا يُسَلِّمُ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَةً، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَخَذَ اللَّحْمَ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ بَعْدَ مَا سَلَّمَ، فَتِلْكَ تِسْعُ رَكَعَاتٍ يَا بُنَيَّ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلَاةً أَحَبَّ أَنْ يَدُومَ عَلَيْهَا، وَكَانَ إِذَا شَغَلَهُ عَنْ قِيَامِ اللَّيْلِ نَوْمٌ أَوْ مَرَضٌ أَوْ وَجَعٌ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَلَا أَعْلَمُ أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، وَلَا قَامَ لَيْلَةً كَامِلَةً حَتَّى الصَّبَاحِ، وَلَا صَامَ شَهْرًا كَامِلًا غَيْرَ رَمَضَانَ[1].

(1) سنن النسائي رقم (١٦٠١).

والعَلَم هو الجبل، والجبل تراه في الصحراء قريبًا فتشمر للوصول إليه ثم ارتقاءه، ولكن ترى أنك كلما مَشيتَ فلا تصل، وقد جربتُ ذلك يومًا بنفسي فمشيتُ ومشيتُ حتى أوشكتِ الشمسُ على الغروب فعدتُ مضطرًا لأني خشيتُ أن تغرب الشمسُ عليَّ ويظلم الليل وأنا في تلك الصحراء المخيفة... فعشتُ هذا المثل، فما أقربه للناظرين والقاصدين مِنْ عَلَمٍ ولكن ما أعظمها من همّةٍ، وما أعظمه من إصرار، وما أثبته من مشمر، وما أرسخها من قَدَم، وما أطوله وأخطره من طريق، وما أبعدها من غاية...

❁ يا بُنَيَّ: القرآنُ هو غايتُك فكنْ أنتَ المُشَمِّر

يا بني: القرآن هو العَلَم الذي شَمَّرتَ إليه من هذا اليوم .. فتوكل على الله، والله يحبُّك طَوَالَ مسيرِكَ بل يزيدُكَ حبًّا على حبٍّ، وهو القائل: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩﴾ [آل عمران]، بل القرآن أعظم من الجبل، والله يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر].

توكل على الله وانطلق في سبيل الله، والله معك ولن يَتِرَكَ عملَكَ .. وإياك أن تعود بغير القرآن العظيم. فلقد عَلَّمَنا الله سبحانه أن يكون لنا في كل شيء غاية ومقصد حتى مِشْيَتِنَا، قال سبحانه: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان]، كما علّمنا أن يكون لكل فريضة افترضها غاية وذكر لنا تلك الغاية، وعلَّمنا أن لا نعود إلا بالغاية وإن كلفتنا ما كلفتنا، وعلَّمنا أن

لحياتنا غاية فقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات]، وشرع لنا الصلاة وجعل لها غايات فقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ﴾ [طه]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت].

وشرع قيام الليل وجعل له غاية حتى لرسول الله ﷺ خاصة، ولأمته عامة، فقال له: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ٧٩﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ وقد سئل عن قيامه الليل فقال: (أفلا أكون عبداً شكوراً)[1]، وشرع الزكاة وجعل لها غاية فقال سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾ [التوبة]، وجعل غايتها كذلك إغناء الفقراء والمساكين وابن السبيل وفك العاني حتى يتحرر، وإعانة الغارم حتى يرفع عنه غرمه، وكذا عتق العبيد، وإغناء السائلين، وإكفاء الناس عن الحرام، وكفالة المجاهدين، وإن شئت قلت هدف الزكاة هو تطهير المجتمع تطهيرًا كُليًا من الفقر والحاجة، وتحقيق الحرية والقضاء على الرِّق والعبودية، وإغناء كل من يَصْدُق عليه أنه في سبيل الله عن أن يحتاج لشيء لنفسه أو لأهله، والقضاء على الربا وأن لا يتطلع الناس إلى الحرام.

وشرع الله سبحانه وتعالى الحج لعبادته، وبلوغ الناس منزلة الإحسان ولهذا كان آخر آية في تشريع الحج تبين ذلك فقال سبحانه: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ٣٧﴾ [الحج].

---

(1) رواه البخاري (٤٨٣٦).

وشرع الله سبحانه القصاص وجعل له غاية وغايته الحياة الطيبة فقال سبحانه: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة].

وهذهِ بعض الشواهد على أن الله سبحانه جعل في كل شيء غاية ومقصداً، وينبغي للمؤمن أن يكون صبغة الله في كل حياته، ويجعل غايته أولًا ويجعلها واضحة كالعَلَم أي الجبل قبل أن يُقدِّم رجله في أي طريق يَسلكُهُ، ثم إذا انطلق في غايته لا يهنأ حتى يحققها ولا ينقطع حتى يبلغها.. لا يعبأ بالعوائق، ولا يأبه بالعثرات ولا الأحجار التي تعرقله أو تُدحرَج أَمامه أو تُقذَف خلفه، ذلك أن قلبه ونظره مشدود إلى العَلَم الذي شَمَّرَ إليه.

إن تحديد الغاية هو منهج الله تبارك وتعالى في كل شيء حتى في خلقه فهو سبحانه ما خلق شيئًا إلا لحكمة وما خلق الخلق عبثًا ولا لعبًا، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٦-١٨].

وما أبعدَ اللعبَ عن القرآن الكريم... وما أبعد اللاهيين اللاعبين العابثين عن حفظ القرآن الكريم!

يا بني: لا يمكن أن تبلغ غايتك ما لم تُحدِّدْها من الآن، نعم؛ لك أن تستفهم ما تشاء عن الغاية، ولكن إن حدَّدتها لابد أن تنطلق لها في وقتها... والعرب تعيب على من سار بغير غاية بأَنَّهُ سفيهٌ تائه أو راكب تعاسيف...

فإن أردتَ أن تعرف غايتَكَ فَلْتعلمْ أنها الفرصة قد جاءتك إلى حيث أنت، وقد جئتَها إلى حيث هي ... في بيت الله في كتاب الله، فلا شيءَ واللهِ أكرمُ ولا أجلُّ ولا أجمل ولا أعلمُ ولا أحكمُ ولا أعظمُ بركةً من كلام الله ... نعم والله إنها الفرصة فهل تَرُدُّ هذهِ الفرصة...؟!

وهنا أمر مهم يجب أن نعرفه جيدا مزية هذه عن كل الغايات. إن في مزية هذه الغاية العظمى اجتماع غايات عظيمة كثيرة... وأنت حين تبدأ في مشروع حفظ القرآن وهو غايتك فإنما تشرع في ذات الوقت في غايات وغايات وسوف أشير لبعضها هنا مجرد إشارات، فشَمِّرْ لغايتك العظمى هذه وسوف تكون مُشَمِّراً لكل غاية من الغايات القادمة.

❁ مُشَمِّرٌ لغاياتٍ لا حَصْرَ لها في غايتِكَ .. إنك مُشَمِّرٌ مع السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَة

يا ولدي: غايتك من هذهِ الفرصة هي أن يجعلك الله مع السفرة الكرام البررة، فعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ، وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ[1]، وَهُوَ عَلَيْهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ)[2][3]، هذهِ غايتك.. فمن ذا تطلع له هذهِ الغاية في الوجود سواك ... أفتتركها؟![4]

(1) أي: يضبطه ويتفقده ويكرر قراءته حتى لا ينساه.

(2) أجران: لتلاوته ولتحمُّل المشقة فيها.

(3) رواه البخاري (٤٩٣٧).

(4) قد جمعتُ بواعث حفظ القرآن الكريم في كتاب مستقل بعنوان [كيف لا أحفظ القرآن]، فارجع إليه فإن فيه المزيد على هذا.

❁ أنتَ مُشَمِّرٌ لوالِدَيْك

فهل من أحدٍ يستطيع أن يبرَّ وَالِدَيْهِ برَّ حافظ القرآن والعامل به.. ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: (مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالداه حُلَّتينِ لاَ يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولاَنِ: بِمَ كُسِينا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ)[1].

فكم تنفق لتشتري هاتين الحُلَّتَيْنِ والتاجين لوالديك وهل تعرف لهما ثمنًا.. وهل في ذلك اليوم من بيع وشراء؟!

إنك تستطيع شراءهما الآن .. فقدِّمهما لوالديك بالثمن (بحفظ ولدكما القرآن).

❁ أنتَ مُشَمِّرٌ إلى الجَنَّة

فما من ثمنٍ لهذه الغاية إلا حفظ القرآن، ألم يقل النبي ﷺ: (يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا)[2].

❁ أنتَ مُشَمِّرٌ لِسِرِّ ليلة القَدْرِ

بأي شيء تفردتْ ليلة القدر عن ليالي الزمان كله حتى كانت ﴿خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أليس بالقرآن؟! ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ

---

(1) رواه الحاكم (٢٠٨٦)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره.

(2) رواه أبو داود (٢٩١٤)، وقال الألباني: حسن صحيح.

﴿حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ [القـدر: ١-٥].

وهل لك من غاية في هذا المشروع إلا أن تجعل سرّ ليلة القدر في صدرك؟! ألا تستحق هذهِ الغاية أن تُشَمِّرَ لها ولا تتوقف إلا بأن يصبح سِرُّ ليلة القدر في صدرك. فكما أنزل الله تبارك وتعالى القرآن في تلك الليلة فبوركت بإنزاله فيها، فإن إنزال الله تبارك وتعالى القرآن في صدر رسوله ﷺ ثم تثبيتك أنت القرآن في صدرك أمرٌ لا يمكن لبشر إدراك عظمته عند الله أبداً.

❁ أنت مشمِّر للأمان في دار المخاطر

عـن بُرَيْـدَةَ رضي الله عنه قَـالَ: كُنْـتُ جَالِسًـا عِنْدَ النَّبِـيِّ ﷺ فَسَـمِعْتُهُ يَقُولُ: (تَعَلَّمُوا سُـورَةَ الْبَقَـرَةِ؛ فَـإِنَّ أَخْذَهَـا بَرَكَـةٌ وَتَرْكَهَـا حَسْـرَةٌ، وَلَا يَسْـتَطِيعُهَا الْبَطَلَـةُ). قَـالَ: ثُـمَّ سَـكَتَ سَـاعَةً، ثُـمَّ قَـالَ: (تَعَلَّمُـوا سُـورَةَ الْبَقَـرَةِ، وَآلِ عِمْـرَانَ؛ فَإِنَّهُمَـا الزَّهْـرَاوَانِ يُظِـلَّانِ صَـاحِبَهُمَـا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ كَأَنَّهُمَـا غَمَامَتَـانِ أَوْ غَيَايَتَـانِ أَوْ فِرْقَـانِ مِـنْ طَيْرٍ صَـوَافَّ، وَإِنَّ الْقُـرْآنَ يَلْقَـى صَاحِبَـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ حِيـنَ يَنْشَـقُّ عَنْـهُ قَبْـرُهُ كَالرَّجُـلِ الشَّـاحِبِ، فَيَقُـولُ لَـهُ: هَـلْ تَعْرِفُنِـي؟ فَيَقُـولُ: مَـا أَعْرِفُـكَ، فَيَقُـولُ: أَنَـا صَاحِبُـكَ الْقُـرْآنُ الَّـذِي أَظْمَأْتُكَ فِـي الْهَـوَاجِـرِ وَأَسْـهَرْتُ لَيْلَـكَ، وَإِنَّ كُلَّ تَاجِـرٍ مِـنْ وَرَاءِ تِجَارَتِهِ، وَإِنَّـكَ الْيَـوْمَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ تِجَـارَةٍ فَيُعْطَـى الْمُـلْكَ بِيَمِينِهِ، وَالْخُلْدَ بِشِـمَالِهِ، وَيُوضَـعُ عَلَى رَأْسِـهِ تَـاجُ الْوَقَارِ، وَيُكْسَـى وَالِـدَاهُ حُلَّتَيْـنِ لَا يُقَـوَّمُ لَهُمَـا أَهْـلُ الدُّنْيَـا فَيَقُـولَانِ: بِـمَ كُسِـينَا هَـذَا؟ فَيُقَـالُ: بِأَخْـذِ وَلَدِكُمَـا الْقُـرْآنَ. ثُـمَّ يُقَـالُ لَـهُ: اقْـرَأْ وَاصْعَـدْ فِـي دَرَجِ الْجَنَّـةِ وَغُرَفِهَـا، فَهُـوَ فِـي

صُعُـودٍ مَـا دَامَ يَقْـرَأُ، هَـذًّا كَانَ، أَوْ تَرْتِيـلًا)[1] .

❁ أنتَ مُشَمِّرٌ لِيُقَدِّمَكَ اللهُ تبارك وتعالى على الآخرين

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (يؤُمُّ القومَ أقرَؤُهم لكتابِ اللهِ، وأقدَمُهم قراءةً، فإن كانوا في القراءةِ سواءً فَلْيؤُمَّهم أقدَمُهم هجرةً، فإن كانوا في الهجرةِ سواءً فَلْيؤُمَّهم أكبَرُهم سِنًّا، ولا يُؤَمُّ الرَّجُلُ في بيتِهِ ولا في سُلطانِهِ ولا يُجلَسُ على تكرمتِهِ[2] إلاَّ بإذنِهِ)[3] .

❁ أنتَ مُشَمِّرٌ لِتتقدمَ في البَرْزَخ

عن جابر رضي الله عنه: (أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يجمع بين الرَّجلُينِ من قتلى أُحُدٍ في ثوبٍ واحدٍ، ثم يَقولُ: أيُّهُم أكثَرُ أخذًا لِلْقُرْآنِ؟ فإذا أُشيرَ لهُ إلى أحدهما قدَّمهُ في اللَّحْدِ، وقال: أنا شهيدٌ علَى هؤلاء وأمرَ بدَفْنِهم في دمائِهِم، ولم يُصلِّ عليهم، ولم يُغسِّلْهم)[4] .

❁ أنتَ مُشَمِّرٌ للالتحاقِ برسولِ الله ﷺ

فاللهَ اللهَ في بلوغ غايتك، ألم يقل اللهُ لرسولِهِ ﷺ مُتكفِّلًا بجمعه في صدره ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة]، فاجمعه في صدرك واحفظه عن ظهرِ قلب والتحق برسول الله ﷺ إمام الحافظين ﷺ.

---

(1) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩٥٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغَنَوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في(تفسيره) ١/ ٦٢، ولبعضه شواهد يصح بها.

(2) التكرمة: الفراش والبساط الخاص بصاحب المنزل.

(3) أخرجه مسلم رقم (٦٧٣)، وأبو داود (٥٨٢)، واللفظ له.

(4) رواه البخاري (١٣٤٧).

الكلمة السادسة

﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾

الكلمة السادسة: ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾

﴿ وَلَـٰكِن كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ﴾

قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَـٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ ٤٤ ﴾ [المائدة].

❁ ولادة الربانيين

ليست الأُسوة الحسنة بإلقاء تعليمات على معلِّم القرآن فينفذها ثم يُحاسَبُ عليها من قبل المشرفين على حلقات تحفيظ القرآن الكريم....

فهذهِ الطريقة لو كانت مع أي مشرفٍ أو إداريٍ فلن تكون مع مُعلِّم القرآن، هذا هو المفترض .. فإنَّ معلم القرآن قد نبت من القرآن الكريم، وسُقيت بذرته من هذا الماء النازل من السماء وهو القرآن الكريم، وطُبِخَ طعامُ نَبْتِه على حرارة القرآن ونوره، واشتدَّ سوقه في جوِّ القرآن وسُوَرِهِ وآياته، وتكاليفها وشدائدها وثقلها ورحماتها، كما قال سبحانه في المثل الذي ضربه سبحانه لنزول القرآن: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَـٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧ ﴾ [الرعد].

وهكذا نزل هذا الماء المطهَّر من السماء على قلب مُعَلِّمِ القرآن إذ لم يكن في

قلبه شيء وكان قلبه بورًا خربًا كما قال النبي ﷺ: (إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ[1] شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ[2])[3]، هكذا كان قبل القرآن، فنزل القرآن في قلبه شيئًا فشيئًا ويومًا بعد يوم، وهو يحفظه ويفهمه الفهم الواضح السهل المُيسَّر، وهو يسأل عما لم يفهمه، وقلبه يعيشه ويستنير به فيتزكَّى كل يوم أكثر وأكثر، ويشهد اليوم ما لم يشهده بالأمس، وينتقل قلبه اليوم إلى ما لم ينتقل إليه بالأمس، ويعيش اليوم في مواطن لَمْ يرتقِ للعيش فيها بالأمس.

وإلا ماذا يملك قلبٌ ينزل عليه كلام الله كل يوم، ويقرؤه بالليل والنهار، ويخلو به عن الناس ليحفظه أكثر مما يخلو بأي أحدٍ من الناس، ويتهجَّد به في الليل بِخَلْوَةٍ مع ربه، ويقوم به في السنن الرواتب للصلوات في النهار وفي الليل..

ماذا يملك عبدٌ يأخذه ربه سبحانه ليريه أفعاله في خلقه في كل مكان، يريه ملكوته في السماوات العلى، وفي الأرض وما تحت الثرى، وفيما بين السماء والأرض، وهو سبحانه يريه ذلك في قلبه فسائل الإيمان واليقين ويريه أن ذلك كله هو فعل الله الحكيم الخبير، والعزيز الحكيم، والسميع البصير، فهل يملك القلب المتتبع للأحداث إلا أن يعمر ويستنير مُعَظِّمًا لربه سبحانه مُسَبِّحًا حامدًا لله رب العالمين.

وماذا يملك عبدٌ ينطلق مع كلام الله تبارك وتعالى في رحلة في هذهِ الأرض عبر الأزمان الماضية في قراها وحواضرها وأقوامها.. مع أنبياء الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وهم يعانون ما يعانون من أولئك البعداء الأجلاف، العدوانيين... وهكذا يُصْنع العبد

(1) ليس في جوفه شيء من القرآن: أي لا يحفظ شيئاً من القرآن.

(2) البيت الخرب: الخالي من الخير والسكان.

(3) رواه الترمذي (٢٩١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بهذا القرآن.. كما صُنعت الأمة كلها من قبل بهذا القرآن..

فليست الرحلة مع القرآن رحلة مع أي كتاب، ولا هي رحلة لبلد .. إنها رحلة مع كلام الله .. مع الله تبارك وتعالى في كتابه.

وهو في كل هذا وغير هذا يجد الأخلاق مبثوثة في كل شيء في القرآن، لهذا يجدها في أسماء الله الحسنى، ومن أسماء الله الحسنى، ومن تعبُّداتِنا لأسماء الله الحسنى.. ويجدها في صنيع الله سبحانه مع خلقه، كما يجدها في أخلاق المرسلين عليهم السلام، ويجدها في أخلاق سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، كما يجدها في وصايا رب العالمين لعباده المؤمنين، وفي ذَمِّ الله سبحانه لأخلاق المذمومين، ويجد نفسه يتمثَّل بها وهو يدري، فكيف لا يكون في نهاية الأمر مَجْمعًا عظيمًا للأخلاق الحسنة فإذا به قدوة حسنة ... لهذا كانوا هم الربانيين.

لذلك لم أجد لمعلمي القرآن من وصفٍ أحسن من (الربانيين)، فهم الربانيون الذين سُقوا ونشأوا واستوى عودهم واشتدَّ بكتاب رب العالمين .. أي أن الله سبحانه هو من رَبَّاهم بهذا القرآن الكريم.

ولأن الله سبحانه هو مَنْ رَبَّى رسول الله ﷺ بالقرآن العظيم، وهو سيِّد ولد آدم عليه السلام فقد كان خُلُقُه القرآن.

❁ لهذا كانوا هم الربانيين

وإذا تأملت القرآن وجدت أن اسم (الرَّبّ) لله سبحانه غير وارد منفردًا مستقلًا، بل لابد أن يضاف إلى شيء من خَلقِه أو يضاف له شيء من خَلْقِه مثل رَبِّ العرش

العظيم ..، ومثل قوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فالرَّبَّانِيُّون والرِّبِّيُّون منسوبون أشرف نسبة، ونسبتهم هنا إلى ذات الكلمة، والمنتهى في الاثنين أنهم منسوبون إلى رب العالمين رب كل شيء ومليكه رب العرش العظيم... وهل بعد الله من منتهى، هو تنزيل ربهم كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ١٩٥﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

وأهل القرآن هم الربانيون: لأن الكتاب الذي حفظوه كان أول ما نزل منه على رسوله ﷺ هو (ربك) كما قال سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣﴾ [العلق: ١-٣]، فما أحسن هذا الشرف وهو أن ينسب رسوله ﷺ إليه نسبة مباشرة وواضحة وصريحة، وفي كلمةٍ واحدة لا كلمتين (رَبِّكَ) (وَرَبُّكَ)، ويؤكد النسبة إلى ربه مرتين، ثم يختم الله سبحانه القرآن كله باسم الرب كذلك في الآية الأولى للسورة الخاتمة من الناس قال سبحانه: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣﴾ [الناس:١-٣]، وقبلها ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق]، وهكذا إذن فهو الاسم المرتبط أقوى ارتباط بالخَلْقِ مباشرة بل لا يُذكَر إلا مع الخَلْقِ.. ولهذا كانت الآية الأولى في الفاتحة بعد البسملة هي: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفاتحة]، فأول كلمة في نزول القرآن هي ﴿بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ وأول كلمة في ترتيب القرآن كذلك هي الرب ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ ولهذا كان المقابل لهذا الارتباط الإلهي ارتباطاً لنوعٍ خاص من البشر بربهم وهو الربانيون ومَنِ اختار لهم هذا الاسم هو الله رب العالمين.

❁ الرَّبَّانِيُّون وحِفْظُ القرآن

وهؤلاء الربانيون في الأمم السابقة هم أوثق الناس ارتباطًا وعلمًا وعملًا بالكتب السابقة التي أُنزلت عليهم كما سيأتي معنا ذلك عن التوراة في الآية القادمة، وهم في أمة محمد ﷺ أوثق الناس ارتباطًا بالقرآن الكريم لأنه كلام رب العالمين... نعم إن الربانيين لا ينحصرون في الحفظة إلا أن الحفظة إن استووا مع القدوات الآخرين في العمل بالقرآن فقد زادوا عليهم بحفظ كلام ربهم عن ظهر قلب فأصبح كلامُ ربِّهم جزءًا من كيانهم كما أنَّ اسمَ الربِّ جزءٌ لا يتجزَّأ من اسمهم فإن أول الربانيين هو كلمة (الرب).

ثم إنهم يجمعون بين كلام رب العالمين وثمرته، فلا يمكن فصلهما عن بعضهما أبدًا، فالرَّبَّانِيُّ هو الأُتْرُجَّةُ بحق حيث لا يمكن فصل الأترجة عن رائحتها أو طعمها، كما قال النبي ﷺ: (مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لاَ رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لاَ يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ، لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ)[1].

فإن الله عزَّ وجلَّ حين أنزل كلامَهُ تبارك وتعالى فقد حفظه في أجواف طاهرة في عبادٍ من عباده فأصبح جزءا من كيانهم لا ينفكُّ عنهم في دنياهم قبل قبرهم، وفي حشرهم، وعند لقائهم ربهم، وعند دخولهم الجنة؛ وقد ورد في الحديث الذي مرَّ

(١) رواه البخاري (٥٤٢٧).

معنا: (إنَّ الذي ليس في جوفِه شيءٌ من القرآنِ كالبيتِ الْخَرِبِ[1])، فكيف لا يصبح العمار في قلوبهم وقد أصبح القرآن كاملًا في صدورهم؟!

وتظهر الخصوصية ما بين أهل القرآن وبين ربهم سبحانه في قول النبي ﷺ: (أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ)[2]، وأي خصوصية مع رب العالمين أوثق وأشد من خصوصية الربانيين؟! فخصوصية الربانيين لفظًا ومعنىً، الأحرف ومؤدَّاها ... فهل عرفنا لِمَ كان (أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ)؟

ولنتأمل ثانية أكثر لتظهر دقة الارتباط ما بين: (الربانيين وحفظ القرآن العظيم) يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

فالله سبحانه يُحَدِّثُ أهل القرآن عن كتابٍ سبق وأنزله، ومَوْقِفِ أفضل الناس من تلك الأمة من ذلك الكتاب الذي أنزله الله سبحانه عليهم آنذاك.. ليعيَ الموقفَ أهلُ القرآنِ الكريم، فالكتاب الذي أنزله عليهم هو التوراة، وهؤلاء المذكورون في الآية هم الذي استُحْفِظُوا عليها فحفظوها ما شاء الله لهم أن يحفظوها ثم ذهب حفظهم لها وغَيَّروا وبَدَّلوا، وزال حفظهم لها بحكمهم بها فما عادوا يحكمون بها، وزال حفظهم لها كمنهج حياة كاملة، ثم زال حفظهم لها حفظ النصوص عن

(1) رواه الترمذي (٢٩١٣)، وقال هذا حديث حسن صحيح.

(2) رواه الحاكم (٢٠٤٦)، وابن ماجه (٢١٥)، والنسائي (٧٩٧٧)، وأحمد (١٢٢٧٩)، وصحَّحه الألباني.

ظهر قلب وبقيت في القراطيس، ثم زال حفظهم لها حتى في القراطيس حيث بدَّلوا وغيَّروا وحَرَّفوا منها ما حرّفوا.

وبقيتم أنتم يا أمة القرآن، وقد تكفَّل الله بحفظ كتابه الكريم لا يملك أحدٌ تغييره ولا تبديله ولا الإتيان بمثله أبدًا... لكن بِمَنْ حفظ الله رب العالمين كتابه الكريم...؟ حفظه برسول الله ﷺ وبالخلفاء الراشدين ثم بِمَنْ سار على دربهم إلى يوم القيامة، فلما ذهبت الخلافة ذهب الحفظ الأعظم وهو حفظ الحكم الذي قال الله سبحانه فيه في الآية الكريمة السابقة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ فلما ذهب حفظ القرآن الكريم بإقامة حكمه بالكُلِّيَّةِ من الأمة منذ ذهاب آخر خلافة إسلامية، وذهب حفظهُ كمنهج عام للأمة في كل شئونها، لم يبقَ اليوم إلا حفظ الكتاب في صدور الحفظة.. أليس هذا هو الواقع... إذن فالحصن الأخير في الحفظ إنما هو حفظه في القراطيس وهذا يكون بالمسلمين وبغير المسلمين كما نشاهد طباعة القرآن الكريم في بعض بلاد الغرب وهي من أفخر الطباعات... أما الحفظ الأخير الخاص بأهل الإيمان، المتبقي إلى هذا الزمان الذي انفردت به أمة القرآن عن كل الأمم السابقة وأهل الكتب السابقة والأديان إنما هو حفظ القرآن عن ظهر قلب، فهل عرفنا وجه الشاهد من الآية الكريمة عن حَفَظَةِ القرآن الكريم في هذا الزمان؟ هل عرفنا لماذا الحفظة في هذا الزمان هم بقية الربانيين اضطرارًا، ذلك لأنه لم يبقَ ممن استُحْفِظُوا كتاب الله فحفظوه إلا الربانيون. وهنا يأتي سؤال يقول: هل الحفظة هم وحدهم الربانيون والربيون دون سواهم من العلماء والدعاة إلى الله...؟!

والجواب: لا يقول هذا عاقل؛ وإنما موطن (الربانيون) هم أهل القرآن وأعلى أهل القرآن من جمعوا حِفْظَ القرآن وعِلْمه والعمل به.

ثم كيف يكون المرء ربانيًا ما لم يكن من أهل القرآن... كيف والأمة كلها نَشْء القرآن... لأن رسول الله ﷺ نشْء القرآن العظيم، ألم يقل الله سبحانه وتعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود]، وقال سبحانه: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩]، وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى].

والرباني يدور حيثما دار أصل نسبته... ولذا كان الرباني عابدًا لله مُتعبِّدًا لله في كل مناحي الحياة، وكل أعمال الحياة، وشرح هذا الأمر وبيان الأحكام فيه يحتاج إلى مجلدات، فهو مُتعبِّد لربه سبحانه حيث تجلَّى سبحانه في أي اسم أو أي منحى، أو أي زمان أو على أي خلق من خلقه سبحانه ...

فللرباني مع كل ما يذكر منسوبًا إلى ربه تعبُّد، وله مع كل منسوب حضور وإحسان، فانظر إلى أي شيء تكون هذهِ النسبة العظيمة، إنها نسبة كل مخلوق إلى ربه سبحانه، فالله سبحانه هو رب السماوات والأرض، والله سبحانه هو رب العرش الكريم، والله سبحانه هو رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، والله سبحانه

هو رب كل شيء ومليكه، والله سبحانه هو رب العالمين... إذن فإن للربانيين تعبدًا في كل شيء، وعبادتهم تشمل كل شيء، فكل ما ذكر الرب منسوبًا إلى شيء كان عند الربانيين له حق ومقتضى وَتَعَبُّدٌ، وكل ما ذكر شيء منسوب لرب العالمين كان للرباني تعبد، كما قال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

❁ عشر خصائص للربانيين من آية المائدة الكريمة وحدها:

ما زال البعض لم يتصور ماذا يعني الرباني.. ماذا يعني أن يتحول الحفظة المعلِّمين إلى ربانيين... ومازالوا لم يتصوروا أهمية هذا الأمر في حياة الأمة وإحيائها!

هو أن يتحول الجيل القادم من الانشغال بالتفاهات والتوسُّع في المباحات إلى حفظ القرآن الكريم، ويتحول الحفظة في الأمة إلى ربانيين... وتتحول الحافظات من المؤمنات إلى ربانيات... وبهذا تعود الربانية إلى أعظم أمة.. فتعود الأمة إلى وضعها الطبيعي؛ إلى الربانية في كل شيء وكل منحى وأينما تكون وحيثما تكون.. فهل تصورت ذلك؟!

فَمِنْ هذا الحصن الأعظم وهو الحصن الأخير الذي بقي يعود الإسلام حين تعود الربانية للإسلام؛ من القرآن تحديدًا ومن حملته تنفيذًا... فهل تصورت ذلك؟

إن الربانيين هم مَنْ ذُكِروا بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الآية الكريمة ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، نعم بعد الأنبياء مباشرة وقبل العلماء، فما الأحبار إلا العلماء الكبار، الصالحون وليس علماء السوء، لأنهم مذكورون هنا في أفضل عملٍ وأعظم عمل على الإطلاق وهو العمل الشامل بكتاب الله.. وأما ذكر الذين هادوا فما هو بمدحٍ ولا ذمٍّ هنا لأنهم مذكورون كمحكومين بالتوراة.

كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾

إذن أليس في عودة الربانيين في أمة محمد ﷺ عودة الكنز المفقود للأمة.. أليس فيه وضع اليد على زر تشغيل إعادة الحياة للأمة بإذن الله.. أليس فيه تشغيل زر النور الذي تستنير به صدور الأمة وتستنير به حياة الأمة ثم الأمم الأخرى.

هذا العنصر في الأمة لا يقبل التغيير ولا التبديل ولا التنازل.. فمن دخل هذا السجل فكتب عند الله ربانيًا فلن يمحوه من سجل الله أحد، أتدري لماذا هذهِ الخصوصية للربانيين؟ لأن الربانية نسبة العبد إلى ربه سبحانه، فإن الرباني لا يزيغ أبدًا بعد أن استحقَّ هذهِ النسبة، فمن ذا يستطيع أن يمحو نسبة نسبها الله سبحانه إليه، فإذا كانت نسبة العباد بعضهم إلى بعض مثل فلان بن فلان لا يستطيع أن يمحوها أحدٌ حتى المرض أو الفقر أو حتى الموت فالموت لا يُغيِّر كون فلان ابن فلان، فكيف يستطيع جن أو إنس أن يُغيِّر نسبة الربانيين إلى ربهم تبارك وتعالى

وهي نسبتهم لفظًا وحقيقة؟! ومن هذهِ النسبة جاء هذا الاسم الكريم(الربانيون)فهل أشرف من هذا المنتهى في النَّسبِ منتهى؟! ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ ﴾ [النجم]، بينما المنتهى في الانتسابات الأخرى في الإسلام جميعًا إلى أعمال مثل أن تقول: المصلين، الصائمين، المتصدقين أو المجاهدين، المعتكفين أو حتى المتقين، المحسنين، الأوابين، أو القائمين المتهجدين فكل هؤلاء الكرام ورغم مقامهم عند الله سبحانه إلا أن نسبتهم إلى أعمالهم أما الربانيون فنسبتهم إلى ربهم... فمن مثل الربانيين ثباتا؟!

ثم إن هؤلاء الكرام جميعًا بالنسبة للربانيين يعتبرون أجزاء، كلٌّ حسب عمله أما الربانيون فهم الشاملون لكل الأعمال، **وهذا هو الأمر الثاني**.

وأمر ثالث: هو أن كل صنف من هؤلاء الكرام إذا ما ارتقى وارتقى أصبح ربانيًا... فليس كل مُصَلٍّ ربَّانِيّاً، ولا كل صائم ربانياً وهكذا قل في بقية الأعمال، لكن الرباني هو الذي استحق هذا الاسم فقد شمل الأعمال كلها وبلغ ذراها، حتى لو قلت: الموحّدين، فإنها لا تؤدي معنى الربانيين لأن الموحدين ليس مصطلحًا ثبت تسميته في الكتاب أو السنة، ثم إن معنى الموحدين أي كل المسلمين؛ ففيهم العاصي وفيهم مَنْ فيه بعض شعب النفاق، وفيهم الإمام.. والرباني هو ذروة جميع الذرى وخلاصة أهل الإسلام.

وأمرٌ رابع في الربانيين: هو أن الرباني لا يزال يزداد تقرُّبًا واقترابًا إلى ربه سبحانه ... وهكذا هو أبد الدهر، وما هذا إلا لعلاقته بالقرآن، فإذا ما حفظ كلام ربه سبحانه فقد أصبح مُلْزَمًا بقراءته وتعاهده على الدوام طوال حياته... كيف والقرآن يزيده

إيمانًا كلما قرأه كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ [الأنفال].

وأمر خامس: هو أن الربانيين يتصفون بالثبات على الحق مهما اشتدت الفتن، وحمى الوطيس، ودارت الأعين واحمرَّت الحِدَق كما قال الله سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ۝١٤٦ ﴾ [آل عمران]، فمن ثبت مع النبيين هذا الثبات، كان ثباتهُ في ما دونها من مواقف أهون وأخف وأولى، فالله عز وجل والنبي ﷺ يقول: (كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً)[1]

وهنا لفتة أخرى هي أن الله سبحانه خصَّ (الربانيين) بالثبات مع النبيين، وإلا فليس جيش النبيين كله من الرِّبِّيِّين، ولهذا حين هُزِمَ المسلمون في أول حروب الردة ضد مسيلمة الكذاب واجتاح المرتدون صفوف المسلمين حتى دخلوا خيمة خالد بن الوليد، وتزحزح الجيش من مواقعه، ثبت الربيون حق الثبات وهم أهل القرآن والذين يسمونهم (القُرَّاء)؛ هذا هو فهم الصحابة رضى الله عنهم للقُرَّاء وللمعنى العظيم الذي يحملونه من بينهم جميعًا رضى الله عنهم، ولهذا خصَّهم النبي ﷺ بالنداء حين فرَّ الناس عنه في غزوة حُنَيْنٍ بسورة البقرة وفي رواية بسورة آل عمران وغيرها.

وأمر سادس: هو أنَّ عودة الأمة مرهون بعودتهم، وعِزَّ الأمة مرهون بوفرتهم والله على كل شيء قدير وهو أرحم الراحمين، ثم أعد النظر في هذهِ الآية الكريمة

(١) رواه النسائي (٢٠٥٣)، وصححه الألباني.

فإنها توضح أكثر مَنْ هم الربانيون؟ فالله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ [آل عمران]، فالربانيون أو الربيون هم صناعة الرب سبحانه وتعالى بنفسه، ذلك أنهم أكثر ما يكونون في عصور الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولذا قال سبحانه: ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ فهم في عصور التشريع يكثرون وهم على يد رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أكثر ما ينشأون، وهل يتلقى رسل الله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إلا من الله تبارك وتعالى، فجَوُّ القُرب هذا هو الجَوُّ الذي ينشأون به ويترعرعون فيه ويكثرون... ولهذا كان أصحاب رسول الله ﷺ هم الربانيين حقًا، بل هم خير الربانيين على الإطلاق في هذهِ الأمة وفي الأمم الأخرى، ولكن ما زالت هذهِ الأمة تبعث بالربانيين إلى الناس، وهي قادرة اليوم أن تبعث بِرِبِّيِّنَ كثير بإذن ربها وذلك لأن معجزة رسول الله ﷺ ما زالت قائمة وهي هذا القرآن، فإذا كان النبيون صنعوا بما أنزل الله عليهم من كتب سابقة ربيين كثيرًا، فإن ما هو أعظم من التوراة موجود في هذهِ الأمة، وما كان مرجعًا وموجهًا لرسول الله ﷺ نفسه موجود كذلك في هذهِ الأمة.. وقد جاء دوره وهو الدور الذي لا نظير له أبدًا في صناعة الربيين.

وأمر سابع: وهو أنهم لا ينعزلون عن الأمة ولا ينعزلون في الأمة عن العمل الصالح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... وأعظم الأمر بالمعروف هو الإنكار باليد وهو أعلاه، وأعلى الإنكار باليد القتال في سبيل الله، فقد قال سبحانه: ﴿ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ فالربيون إذن قاتلوا حين جاء دور القتال مع نبيهم ولم يخذلوه ولم يُسْلِموه، ولم يتخلَّفوا في المساجد والمعابد، ولم ينعزلوا في الكهوف والصومعات

والأَدْيرة كما هو الفهم السلبي عن الربانيين لدي كثيرين من أبناء هذهِ الأمة من أن الربيين عباد منعزلون، بل هم عند المواجهة والمصاولة والمناجزة هم السابقون إلى نحر العدو قبل غيرهم، وهم المُقَدِّمينَ الأرواح استعجالًا لعِزِّ الإسلام وإرضاءً لربهم فما عند الرِّبِّيِّ من شيء أحب إليه من أن يلتحق بربه... وهو يهتف:

رَكْضًا إلى الله بغير زادِ .. إلا التُّقَى وعَمَلَ المَعَادِ

وأحسن منه ما قاله رسول الله ﷺ في كلماته وهو يتقدم نحو العدو مظهرًا نفسه: (أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ المُطَّلِبْ)[1] .

وأمر ثامن: وهو أن الربانيين صبورون فصبرهم منقطع النظير، تأمل الآية؛ فالله سبحانه لم يتوقف عند ذكر قتالهم في سبيل الله بل أشار إلى صبرهم عند اللقاء، فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، وكما قال خير ربانيي الأنصار أصحاب رسول الله ﷺ حين استشارهم النبي ﷺ وهم في مواجهة العدو لغزوة بدر العظمى وتكلم المهاجرون ولا يزال النبي ﷺ يقول: أشيروا عليَّ أيها الناس فقال سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:(أَجَلْ)، فَقَالَ: فَقَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ. فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا يَتَخَلَّفُ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُرِيَكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ، فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، ونَشَّطه ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ:

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٤).

(سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي الْآنَ أَنْظُرُ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ)[1] .

فتأمل كيف قال الله سبحانه في بيان حال الربيين: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، وبين قول سعد بن معاذ رضي الله عنه: (إِنَّا لصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ).

وأمر تاسع: هو أنه لَمْ ينتهِ عمل الربيين عند القتال والصبر في القتال وإنما بيَّن سبحانه إنهم لا يضعفون حتى لو انهزموا وحتى لو قُتِلَ منهم مَنْ قُتِلَ.. فهم في إقدام على العدو دائم لأنهم في إقبال على الله دائم، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟﴾.

ثم قال سبحانه في وصفٍ جديد لهم ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟﴾ أي ما خضعوا لأعدائهم فطلبوا أن يكونوا تحت أيديهم، فالربانيون أعظم الناس نفرة من الاستكانة والخضوع لعدو من أعداء الله... فأي إباء هذا الإباء.

والأمر العاشر: وهو أن الربانيين في منزلة الإحسان وليس هذا فحسب وإنما هذا ما ظهر للناس من عظيم بلاء الربيين وإنما ثَمَّ أمر قلبي لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى ذلك أنهم يفعلون كل هذا، ويقدِّمون الثبات بل يقدمون أرواحهم ودماءهم من منزلة الإحسان... حيث إنهم يفعلون ذلك كله لله كأنهم يرون الله تبارك وتعالى وهل الإحسان إلا أن تعبد الله كأنك تراه؟ وهل استحقوا هذا الاسم من الله تبارك وتعالى إلا لأنهم بلغوا حقيقته، واستحقوا أعلاه، واستغرقوا عمومه ومفرداته، فمن أقرب وأحق بالرب سبحانه من الربانيين في الأمة؟!

---

(1) رواه الطبري في تفسيره (١١/ ٤١).

❁ مصدر ربانية خير أبناء الأمة:

المصدر الأول: تجليات معاني أسماء الله الحسنى:

إن أسماء الله الحسنى هي الله تبارك وتعالى فإذا ناديته سبحانه بأي اسم فقد ناديته هو سبحانه، وإذا حلفت بأي اسم من أسماء الله الحسنى فقد حلفت بالله لا بسواه.

إن أسماء الله الحسنى إذا طافت مع آيات الله على القلب كان لها بحسب الحال الذي هي فيه ربانية تسمو على أهواء البشر، وتسمو على ردود أفعالهم وانفعالاتهم فتسمو بهم دائما وأبدا. إنهم هناك حيث يحب الله ويرضى دائما وأبداً، فتعظيمهم الحق هو تعظيمهم لله سبحانه، فما عادوا يفرِّقون بين أسماء الله الحسنى وبين الله تبارك وتعالى كما يفرِّق المتجادلون بأسماء الله الحسنى على قواعد صرفت قلوبهم وقلوب طلابهم وقلوب من تأثَّر بهم فانصرفوا عن الله حين انصرفوا عن أسماء الله الحسنى.

هكذا تمرُّ أمام أعين الناس وتمرُّ على أسماعهم (أسماء الله الحسنى) فيقرؤونها ويسمعونها دون أن يهتزَّ لها القلب، أو تعصف لها الأحاسيس أو تتنزل سيِّيء الأخلاق من قلوب أصحابها... إنه لا مجال فإما أن تكون القلوب ليست هي القلوب أو معاذ الله أن تكون أسماء الله الحسنى ليست هي أسماء الله الحسنى تعالى الله عن ذلك. إن هذه الفكرة وأمثالها تنفض الربانيين نفضًا... فالله هو ربهم وهم عبيده الربانيون الذين يعرفونه حقا، وكل ما هم عليه من خير فهو من ربهم

تبارك وتعالى خَلْقاً وإيماناً وتغيُّرًا وخُلُقًا... نعم هكذا هم الربانيون؛ فكل ما عندهم من الله وبالله ولله وحده لا شريك له.

وأعظم كل شيء هو أسماء الله الحسنى.. وكل اسم من أسماء الله الحسنى هو الله تبارك وتعالى كما أن (الله) اسم من أسماء الله الحسنى فلا مكان في هذا المجال عند الربانيين من تهاون أو توانٍ أو تراخٍ بل هو الحق المبين... الحق في كل اسم من أسماء الله الحسنى، والحق في أن كل اسم من أسماء الله هو الحق المبين.

هكذا الربانيون؛ لأن عملهم من ربهم تبارك وتعالى وعملهم وحياتهم وكل شيء عندهم هو من رب العالمين سبحانه وتعالى، فكونهم يعتقدون أن الله حق وأن أسماء الله حق، وأن أسماء الله هي الله تبارك رب العالمين، فثقل الحق وعظمته هو الذي جعل معتقدهم راسخاً لا يتزحزح... تعتذر عن حمله السموات والأرض ولا يعتذرون هم، تنوء بحمله الجبال ولا ينوؤون، تتزحزح الجبال ولا يتزحزحون، ومثالاً على هذا فإنهم يدفعون أعظم المخاطر بأسماء الله الحسنى دفعًا حقيقياً، وهكذا هم يتلقون قول النبي ﷺ:(مَنْ قَالَ فِي أَوَّلِ يَوْمِهِ، أَوْ فِي أَوَّلِ لَيْلَتِهِ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، أَوْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ)[1] .

ولسان حال الرباني وهو يستعيذ باسم ربه قائلاً (مع اسمه) يهتف من أعماق قلبه: (وأنا يا رب مع اسمك ... مع اسمك في الأرض وفي السماء ... مع اسمك فلا تتركني بغير مَعِيَّتِكَ)، والرباني إذا استغاث بالله فإنه يستغيث استغاثة لا يعلم

(١) رواه أحمد في مسنده (١/ ٥١٥) حديث رقم (٤٧٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

بعظمتها ولا ثقل الحق فيها إلا الله تبارك وتعالى استغاثة يضجُّ لأجلها جند الله في كل مكان له ... كلٌ يرجو أن يأذن الله أن يجعل نصرة ذلك الرباني المستغيث على أيديهم، ولقد ذكر الله سبحانه عن استغاثة خير الربانيين في هذه الأمة رسول الله ﷺ في بدر، كما ذكر استغاثة الربانيين وقتالهم مع أنبيائهم من قبل، فقال سبحانه: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران].

وقال سبحانه عن الربانيين البدريين: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفا]، ولقد فصَّل الله تبارك وتعالى تنزُّل الملائكة على الربانيين في بدر فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَـٰثَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[آل عمران: ١٢٣-١٢٥]، فانظر كم مرة ذكر الله سبحانه كلمة (رب) في هذه الآيات وهي آيات الإغاثة، ثم انظر كيف أنه في كل مرة ينسب الرب سبحانه إلى عباده فيُشَرِّفهم أعظم التشريف حين يقول سبحانه: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ [آل عمران] وهل جاء اسمهم (الربانيين) إلا من اسمه (رب العالمين) تبارك وتعالى... وإلا لِمَ كانوا هم وحدهم الربانيين؟! فليس بين الربانيين وبين الله واسطة في الانتساب ولهذا لم يقل سبحانه: (فاستجاب لكم رب العالمين)، ولا قال: (استجاب لكم رب السموات والأرض)، ولكنه تبارك وتعالى قال في سورة الأنفال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾، وقال في آل عمران: ﴿أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم﴾، وقال: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم﴾ ؛ أنا أتحدث عنك فأنت رباني وأنت من

الربانيين.. فالربانيون ليسوا حزباً ولا فرقة.

❁ المصدر الثاني لربانيتهم: هو كلام الله الكريم

أنا أتحدث إليك أيها المسلم أينما كنت فأنت مسلم وبمقدورك أن تكون ربانيا كما ذكر ربك تبارك وتعالى لكن حديثي الخاص إلى الذين لا ينبغي لهم إلا أن يكونوا ربانيين وهم(مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)[1]، فأولئك هم الذين لا ينبغي لهم إلا أن يكونوا الربانيين بحق، ذلك أن هؤلاء هم أقرب الناس إلى الوحي المباشر بل كأنهم المتلقون للوحي مباشرة من الكتاب، فالله تبارك وتعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فأنت يا رسول الله ﷺ حين تتلو الكتاب إنما تتلو ما أوحي إليك فما أوحي إليك هو في هذا الكتاب، وأنت يا متعلم هذا الكتاب ومعلمه إنما تتلقى الوحي حينما تقرأ هذا الكتاب فما المكتوب الكريم أمام عينيك إلا انطباع الوحي... الوحي الذي انطبع في صدر رسول الله ﷺ ومنه إلى الكتابة، فالكتابة لم تغير من الحقيقة شيئا، والحقيقة هي أن الوحي من صدر رسول الله ﷺ إلى صدرك بَعُدَ الزمان أو اقترب كما كان الوحي من جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى رسول الله ﷺ.

إذا قرأ القرآن ووجد اسم الله علم أن هذا الكتاب أوحي من الله فمهما حاولنا التفريق من جهات عديدة إلا أن حقيقته أن هذا القرآن وحي من عند الله، فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء]، مع أن الإنذار لا يصل إلى المشركين مباشرة من الوحي إنما من

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٧).

رسول الله ﷺ، وهكذا من يحفظ القرآن وينذر بالقرآن فهو إنما ينذر بالوحي...

هذه الحقيقة من أسرار الربانية التي صبغت حياة أهل القرآن عالمين ومُتعلِّمين... إنه الوحي الذي يعايشونه، بل هو أعظم من الوحي إنه كلام الله تبارك وتعالى فالوحي عظيم إلا أن سر عظمته أنه من عند الله، وأنه حمل كلام الله...فسر عظمة الوحي هنا هو كون المنقول كلام الله.. كلام ربهم تبارك وتعالى.

إن الربانيين يعلمون قدر هذا الأمر تمام العلم ويعرفونه أكثر من غيرهم، ولهذا فهم في سموٍّ دائم وعروج مُطَّرِد وزيادة إيمان لا تنقطع لأنهم لا ينقطعون عن قراءة القرآن دائما وأبدًا فهم دائمو التلاوة والترديد حفظًا وتعاهدًا للقرآن الكريم، وما داموا يقرأون القرآن فهم دائمو التدبر والتفكُّر والادِّكار، وما دام المرء كذلك فهو في مزيد دائماً وأبداً لأن الله سبحانه وتعالى قد قال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنفال: ١-٣].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩]، إذاً فالربانيون هم أهل كلام الله هم صحب كلام الله، بل هم أهل الله وخاصته كما قال النبي ﷺ:(أهل القرآن هم أهل الله وخاصته)[1] .

(١) رواه الحاكم (٢٠٤٦)، وابن ماجه (٢١٥)، والنسائي (٧٩٧٧)، وأحمد (١٢٢٧٩)، وصحَّحه الألباني.

❁ المصدر الثالث: اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك:

وبعد هذا التجلِّي لعظمة القرآن الكريم في سنا من ومضة سريعة يظهر تحت سماء هذه العظمة اللامتناهية عبد بلغ من الضعف والتضاعف والنحول والاضمحلال المنتهى تعبُّداً ورقةً ... ينادي ربَّه يقول: (اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي)[1] .

فهل رأيت أسماء الله الحسنى جمعها رسول الله ﷺ في موضع مثل هذا الموضع؟! هل رأيت استقراءً لأسماء الله الحسنى مثل هذا الاستقراء ؟! هل ترك رسول الله ﷺ شيئاً من أسماء الله الحسنى لم يسأل به (أسأَلُكَ بكلِّ اسمٍ هو لكَ)؟! هل فَصَّلَ رسول الله ﷺ في أسماء الله الحسنى مثل هذا التفصيل المنقطع النظير: (سمَّيْتَ به نفسَكَ، أو أنزَلْتَه في كتابِكَ، أو علَّمْتَه أحَدًا مِن خَلْقِكَ، أوِ استأْثَرْتَ به في عِلمِ الغيبِ عندَكَ)؟! فهذا والله هو المنتهى من الحشد لأسماء الله الحسنى.

فلأجل أي شيء كان هذا السؤال الذي لم يُسبَق ولم يُلحَق بمثله؟! إنه لأجل كلام الله سبحانه لأجل هذا القرآن الكريم الذي لم يُسْبَقْ ولم يُلْحَقْ بمثله أبداً... ألا ترى أن المطلوب لمَّا تناهى في العظمة وهو (القرآن العظيم) تناهى لأجله الرجاء في الوسيلة فلا وسيلة مثلها في دعاء آخر أبدًا.

(١) رواه أحمد (٣٧١٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح.

ولكن الطلب ليس هو أن أقرأ القرآن فحسب، ولا أحفظ القرآن فحسب، ولا أحب القرآن فحسب، إنما هو (أن تجعل القرآن ربيع قلبي)ربيعاً لا خريفَ بعده أبداً، وربيعاً ملازماً لا فراقَ بعده أبداً، وربيعاً مثمراً لا انقطاعَ لثمره أبداً، وربيعاً يكون ثمره أن يصبح خُلُقي القرآن في كل شيء أبداً، وربيعاً فلا مجال في قلبي للشيطان نعوذ بالله منه أبداً، ولا نصيب في جوفي للخراب والبوار أبدًا.

ربيع قلبي فأُصْبِحُ كالأترجة لما طاب جوفها ما ملكت إمساك طيبها عن تغلغل عَبَقِها إلى جوف الناس وصدورهم. لا يملكون ردَّها فهي تجري مع النَّفَس.

ربيع قلبي: فَمِنْ هذا القلب تستقي القلوب ربيعها ونورها وبركتها وهداها، لأن نور هذا القلب القرآن العظيم، ومن ربيع هذا القلب تثمر القلوب الأخرى لأن منه تزرع فتخصب فتثمر، ومن ربيع هذا القلب يفيض الخير على كل مكان، ويسقي كل جدب، ويغاث كل مستغيث للهدى في صحراء الدنيا ... فإذا صلح قلب الإنسان صلح جسده كلُّه، وإذا صلح قلب الحيّ صلح الحيّ كله، وإذا صلح قلب المجتمع صلح المجتمع كله، وإذا صلح قلب البلد صلح البلد كله، وإذا صلح قلب الأمة صلحت الأمة كلها، وهكذا. وهكذا الأمر في النور... فالربيع والنور لا يفترقان أبداً.

ونور صدري: فهذا ربيع منير وليس ربيعاً مظلماً معتماً موحشًا مقفرًا أبدًا، حتى لو كان ربيعاً أخضر، فما أجمل الربيع والنور معاً!

ونور صدري: فاجعل يا رب نور قلبي يتعدَّى قلبي ويفيض حتى يملأ ما حوله وهو صدري، فإذا تَعَدَّاه تعدَّى إلى كل شيء ولا يمسكه شيء، ولا يمنعه حجاب.

ونور صدري: فاجعله يا رب كالنور لما أوقد في الزجاجة المباركة بالقرآن أصبحت كالكوكب الدُّرِّيِّ نوره يصل إلى كل أحد ويقتدي به في ظلمة الليل كل أحد، ولكن لا يطاله أي أحد، ربيع قلبي: فيتوهج نوراً، وهداية، ورحمة لكل الخلق، لا أملك إلا أن يشرق وتشرق به طرق الناس المظلمة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام].

وجلاء حزني وذهاب همي: يا رب لا أملك ردَّ الأحزان عن نفسي وأنا في دار الأحزان ؟! لكني يا رب يا من رزقتني القرآن الكريم اجعل هذا القرآن نافياً لكل الأحزان، فلا يستطيع حزنٌ الاستقرار في قلبي لأن القرآن قد جعلته ربّي ربيعه. إن الحزن من الشيطان، كما قال سبحانه: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [المجادلة]، وهذا العبد تربية القرآن ... لذا سرعان ما ينقضُّ نور القرآن بشهاب مبين على الشيطان وجنده ويطهر منه القلب ويغسل آثاره ويزيل ظلامه، فيا رب لِمَ أحزن وعندي القرآن ...

وجلاء حزني: لم يكن هذا بطريقة غير الطريقة التي مضت في كل هذا الطلب العظيم ... فإن القرآن العظيم قد فَعَلَ فِعْلَهُ، بل ملك على العبد كل شيء حين ملك قلبه ... فلم يَعُدْ في القلب إلهٌ إلا الله سبحانه فالكل ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان]، فَلِمَ الحزن إذاً، لم الحزن والأحزان طارئة بينما القلب حوَّله الله فجعله شيئاً آخر، قد أصبح حمى الله لا يقربه أحد، ولا يتعدى حدوده أحد لأن القرآن قد غدا ربيعه ... فاليقين قد رسَّخه

الله سبحانه بالقرآن فلا يزول لو زالت السماوات والأرض والجبال لأن القرآن أعظم من كل مخلوق فهو كلام الله، ولو تلوَّنت الأيام وأهلها وأظلمت الدنيا من مشارقها ومغاربها من حوله، لأن نور القرآن قد جعله الله يملأ صدره ومن ذا الذي يُطْفِئُ نور الله؟!

وجلاء حزني: وقد أجمع كل من أُصيب بِهَمٍّ وفتح القرآن الكريم وقرأ وجد فَرَجه بين عينيه، وطار حزنه من لحظته حتى إنه يتساءل: ما الذي تغيَّر من حولي؟ ما الذي تَبَدَّلَ؟ ... بل أين ما أحزنني؟ ... أين ما أهمَّني؟ ... لم يجد لذلك أثراً! ولهذا جاء بعد هذا الدعاء النتيجة التي أخبر بها رسول الله ﷺ: (إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا).

(إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا): في ابتداء هذا الحديث قال النبي ﷺ: (مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ) فما الذي أزال همه؟! ... ماذا طلب العبد في هذا الدعاء حتى كان تحقق ذاك المطلوب زوال همه ...؟! لقد طلب كل شيء.

نعم إنها كلمات لا يثبت أمامها أي همّ لأي عبدٍ من العباد ...والناس في أحزانهم وهمومهم درجات ودرجات ... لكن أعلاهم مرتبة هم أولئك الذين يحزنهم ما يصيب دينهم من مصائب وأحزان، ولما كنا في الزمان الذي أصبح فيه أعظم المصابين هو الإسلام، حيث لم يُصَبْ الإسلام بمثل هذا المصاب على الإطلاق، وأعظم مصاب الإسلام إنما هو في القرآن نفسه حيث أجمعت دول العالم كلها ودول العالم الإسلامي معها على هجران القرآن منهج حياة، تبين لنا على وجه

اليقين أن هذا الدعاء أنسب ما يكون لحالنا اليوم، بل كأنه قد فُصِّلَ لنا تفصيلاً ... ولحالنا هذا الذي نحن الآن فيه تدقيقًا وتحقيقًا، وإلا فإن لإزالة الهموم المجردة أدعية أخرى واضحة ومباشرة مثل: (اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)[1]، ودعاء: (اللهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرامِكَ، وأغْنني بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ)[2] وغيرهما من الأدعية، أما هذا الدعاء فلقد كانت غاية المطلوب هو القرآن ... وهذا ما دلَّنا على أن تهجير القرآن بعد هجرانه هو الهمُّ نفسه، وهو الحزن الذي لا حزن مثله، ومن ثَمَّ كان الرجاء الذي ليس مثله رجاء بأسماء الله الحسنى كلها في وقت واحد ... إنه لا شك المطلوب ليس مثله مطلوب ... وهل من شيء في هذه الحياة مما بين السماء والأرض أعظم من القرآن الكريم؟! ... وهل من مفقود أخطر وأضرَّ من فقد القرآن الكريم كإمام؟! ... فهل من همٍّ لا ينبغي لمؤمن أن ينساه أو يقدِّم عليه أيَّ همٍ من الهموم سواه... ولذا كان الواجب على كل مؤمن مهموم بالقرآن محزون بتهجير القرآن من سُدَّةِ الحياة أن يَدْعُوَ بهذا الدعاء العظيم، ويجعله له ورداً في الصباح والمساء، واستغاثة واضطراراً في الليل والنهار، فإذا ما اجتمع العباد على هذا فلقد حَقَّ وعد الله ومن أوفى بعهده من الله (إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحًا)، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

فما دام القرآنُ وحيًا أوحاه الله فإنه لا سلطان لأحد على وحي الله، ولا طاقة لأحدٍ بوحي الله، ولا مُبدِّل لكلمات الله، وإنه باقٍ أبد الآبدين كما أنزله الله لأنه وحي الله..

(1) رواه أبو داود، وقال الألباني: صحيح.

(2) رواه الترمذي (٣٥٦٣) واللفظ له وقال:(حديث حسن غريب)، والحاكم وقال:(صحيح الإسناد)، وحسنه الألباني.

وهكذا جاء قوله ﷺ في الحديث:(وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تابعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1]، فرجاء رسول الله ﷺ متحقق لا شك في ذلك، ورجاؤه ﷺ أكبر من أن يقول: يؤمن عليه البشر أو أكثرهم! فالتبع أوسع من ذلك؛ إنهم الثقلان الجن والإنس ليس في عهده وإنما إلى يوم القيامة ... فإنه لا يُرْجَى للشيء الواقع، إنما الرجاء لما هو قادم من بعده .. وما هو قادم لا يتوقف إلا بقيام الساعة ...

فهل بعد هذا من دليل على حفظ القرآن، وعلى ثمرته، وأن ثمرته العظمى قادمة، وأن ثمرته في الجن كما هي في الإنس، وأن إعجازه سوف يظهر وإلا كيف يُؤْمِنُ عليه البشر؟! بل يكون ﷺ أكثرهم تبعًا ...

فَلْيَبْشُرِ الثقلان بما لا طاقة للعصر الحاضر ولا شياطينه به، وَلْيَبْشُرُوا بتحقق وعده سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت].

❁ المصدر الرابع: قصص الأنبياء عليهم السلام:

فقد قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

إن فترة نزول الوحي هي الجو الذي ينشأ فيه الربانيون، ولهذا ينبغي فهم الطبيعة التي ينشأ بها الربانيون، فأساتذتهم ومُرَبُّوهم هم الأنبياء عليهم السلام والوحي هو الكتاب الذي أُنزل على كل نبي من الأنبياء عليهم السلام إذن فجو الوحي هو الأنسب لنشأتهم

(١) أخرجه البخاري (٧٢٧٤) ومسلم (١٥٢).

وذلك لاقترابهم من الله تبارك وتعالى فهو ربهم الذي منه كان شرف انتسابهم وليس من سواه لأنهم هم الربيون والربانيون.

وهكذا يصنع القرآنُ الكريمُ قلبَ الحافظ والمُتحفِّظ، العالم والمُتعلِّم ... صناعة جديدة، ومن ثم يصنع أخلاقه الظاهرة فتكون راسخة رسوخ القلب في بدنه، ورسوخ القلب في حياته، فهل من حياةٍ بغير قلب؟! إذن فهل من حافظ للقرآن بغير خُلُق حسن؟!

إن كل ما في كتاب الله من مواضيع هي مصدر لربانيتهم لأنه حديث رب العالمين ... وهل القرآن إلا حديث الله سبحانه ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر]، حتى قصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ .. والتي فيها الخروج من الجنة .. فإنها مجمع كل ما سيحدث لذرية آدم إلى قيام الساعة، كما كان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مجمع الذرية إلى قيام الساعة، وكيف لا تكون مصدرًا للربَّانِيَّة وفيها انطلاق الوجود بالسجود، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟

إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا
مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ
عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ
حِينٖ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ
فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة: ٣٠-٣٩].

هذه السجدة العظيمة الكبيرة الجامعة التي هي أكرم نقطة يطبعها الإنسان على الأرض بأعضائه السبعة تحت السماوات السبعة وفوق الأرضين السبعة... فإذا بها أعظم نقطة... فبالسجدة ظهرت مكانة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته، فأي إكرام لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أجل وأجمل وأبهى وأعظم من أن يُسْتَقْبَلَ إلى العالم الجديد بعد نفخ الروح حَيّاً وإقامته من عالم العدم بالسجود، حيث يفتح عينيه على الكائنات جميعاً وأولهم وسادتهم ملائكة الله وجميعهم سجود له... إعلاماً بحضور الخليفة الذي نُفِخَتْ فيه الروح هذه اللحظة.

وبالسجدة أُفرز الوجود والموجودات، وبالسجدة انطلق التحدي وسارت ركائب أهل الجنة وركائب أهل النار... هكذا كانت السجدة حدّاً فاصلاً عند الابتداء وهكذا كانت السجدة حدّاً فاصلاً عند الختام فقد كانت السجدة عند السورة الأولى التي أنزلت على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الرسول خاتم الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا، وأمته مسك ختام الأمم، ولم يرفض أبو جهل السجود فحسب ولكنه نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السجود عند الكعبة... فكانت السجدة ... وكانت السجدة ولازالت

ولن تزول النقطة الجامعة لكل الموجودات التي خلقها الله إلا إبليس وجنده كما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج]، فليس من صورة للخضوع الكامل والاستسلام الكامل والعبودية المطلقة لله رب العالمين مثل السجدة والسجود فكان التعبير بها عن طاعة الوجود وعبوديته لله رب العالمين ... ولا يتَّحد الثقلان مع الوجود كله في هذا الاستسلام الكامل إلا بإقامة ما أنزل الله تبارك وتعالى ... وليس فقط بجعل الجبهة على الأرض وحدها ... إنه القرآن الذي يقيم الحياة كاملة لله رب العالمين .. والذي به يجتمع الخلق والأمر.

❁ من مصادر ربانيتهم: السجود

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ سجدة التلاوة وكأنها من التلاوة

لقد جَعَلَ اللهُ السجدةَ عنوانَ الاستجابة الفورية التي رفضها إبليس نعوذ بالله منه، لتكون هي الجواب الفوري لكل سامع للقرآن وقارئ إذا قرأ هذه الآية قارئ، وإذا استجاب العبد وسجد فقد استجاب وأطاع في كل شيء لأن كل استجابة دون وضع الرأس في الأرض من حيث الخضوع وذلك هو أرفع مقام، فالسجدة في القرآن حد فاصل، وقد كان أمر الله لرسوله ﷺ بالسجود له سبحانه قولاً فاصلاً، وضمانًا وأمانًا وحسمًا، فاستمع ماذا قال الله سبحانه: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ

﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾ [العلق: ٩-١٩]، وهكذا يجتمع ابتداء الأمة بالسجدة في السورة التي ابتدأ بها إخراج هذا الأمة الكريمة مع كون هذه السجدة هي ختام السجدات في القرآن جميعا فليس من سجدة في القرآن بعد السجدة التي في سورة ﴿ٱقْرَأْ﴾ فهي ختام السجدات في القرآن كله فيالها من أمة ما أعظمها! إذ يفتتح الله تبارك وتعالى إخراجها للوجود بسجدة، ولتكون السجدة هي روح الإنقاذ متى ما هَوَتِ الأمة إلى أسفل سافلين .. فإن إحياءها من العدم أعظم وأكبر من علاجها من المرض. أَوَليست هي خير أمة أخرجت للناس؟! والحديث يطول في السجدة، ولماذا السجدة؟ وماذا في السجدة؟ ولكن لننتقل إلى سجدة التلاوة العظيمة.

فإنَّ سجدة التلاوة نقطة نور وسط نور ظاهرة القرآن العظيم كله.. إنها لحظة تتوقف فيها أنت عن مواصلة قراءة القرآن ويتوقف من يسمع القرآن منك... وتتصل فيها بالله تبارك وتعالى اتصالاً فعلياً، وتستجيب استجابة عملية لا نظير لها على الإطلاق وكأنك جزء من المعاني العظمى التي تُلِيَتْ في الآيات فكانت المعاني فيوضًا من العظمة إثر فيوض، وأنوارًا من الجمال والجلال إثر أنوار، وكان المنتهى لتلك المعاني العظمى أن تَسْجد، وكنت أنت أيها القارئ والسامع كذلك تسجد، وكأنك معنىً من تلك المعاني التي انبثقت نورًا وجلالًا وجمالًا من كلمات الله .. فخررتَ لله ساجدًا وخَرَّ من سمع السجدة لله ساجدًا حتى وإن لم يدرك هذه المعاني العظيمة فإنه قد أدرك السجدة نفسها، وليس عدمُ معرفةِ الناس بهذه المعاني والمعاني القادمة للسجدة حُجَّةً أو قاعدةً نحاكم لها المعاني الجديدة والعظيمة،

بل يجب أن نستفيق من الغفلة وينجلي عن القلوب الران، وتستنير القلوب بنور السجدة العظيمة سجدة التلاوة وتفقه ما تفعل.

إن سجدة التلاوة لا تُشْرَع قُبَيْلَ القراءة ولا بُعَيْدَها ولكنها جزء لا يتجزَّأ من تلاوة القرآن.. ولو أن القارئ أو السامع كان متدبِّراً للآيات التي تسبقها، وكانت كلمات الله قد أخذت منه مأخذها، فإن الآيات حين تصل إلى السجدة يكون قد نضج تفكُّره وتدبُّره ومعايشته، واستوى خشوعه وكمل ويكون قد وصل قلبه اضطرارًا إلى السجدة.... فإنه يهبُّ بنفسه من هيئته حيثما تكون وكيفما تكون ليخرَّ ساجدًا لله رب العالمين كما قال سبحانه عن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ٢٤﴾ [ص]، والتجارب مع آيات الله عجيبة وهي واردة في ذلك وفيما دون ذلك، فالآيات تسوقك وتنضج خشوعك حتى تبلغ بك ودون شعور منك هذا المبلغ الأعلى والأعظم، فكيف وقد شرعه الله تبارك وتعالى ؟!

ويستوي في موضوع سجدة التلاوة القارئ والسامع، ويستوي في الاستجابة للسجدة أن يكون المستمع واحدًا أو أعدادًا لا تُعَدُّ ولا تُحْصَى، فإنَّ الجميع يُشرَع لهم أن يسجدوا من فَورهم لله رب العالمين.

وأمر هذه السجدة عظيم وينبغي للإنسان أن يتدبَّره، وكلما تدبَّره وجد فيها عجباً، وإذا سجدها وجد في سجدتها عجباً، وهكذا فإنها رباط يربط الله سبحانه به هذا الإنسان بخلقه جميعاً من قمة الارتباط بالله رب العالمين، فإن الإنسان إذا أُمِرَ بالسجدة شُرِعَ له أن يسجد هذه السجدة ولا يُشْرَع له أن يقف أو يقعد أو يصلي ركعتين، بل هي السجدة وحدها وهي أقرب أحوال الصلاة إلى الله تعالى وذراها،

والنبي ﷺ يقول: (أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)[1] .

والإنسان لا يمكن أن يعيش معاني السجدة بالسجدة وحدها ... فلابد لمن أراد بلوغ القمة أن يعرج إليها بمعراجها .. ولابد لمن أراد معايشة السجدة أن يعايش الآيات الكريمة وتجلِّياتها وأجواءها قبل أن يَشْرُعَ في السجدة ذاتها.

ثم هو إذا ما جاءت السجدة انفصل العبد عن كل شيء وكل ارتباط وهبَّ ليلتحق بالوجود من حوله، وهرع ليسجد مع مَنْ حوله والذي يهوي ساجدًا لله رب العالمين سجود طاعة واستجابة هكذا هو حال الوجود كله من حوله من شجر وحجر وخشب وكل شيء، كما ورد في الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُنِي اللَّيْلَةَ وَأَنَا نَائِمٌ كَأَنِّي كُنْتُ أُصَلِّي خَلْفَ شَجَرَةٍ، فَسَجَدْتُ فَسَجَدَتِ الشَّجَرَةُ لِسُجُودِي، فَسَمِعْتُهَا وَهِيَ تَقُولُ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لِي بِهَا عِنْدَكَ أَجْرًا، وَضَعْ عَنِّي بِهَا وِزْرًا، وَاجْعَلْهَا لِي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وَتَقَبَّلْهَا مِنِّي كَمَا تَقَبَّلْتَهَا مِنْ عَبْدِكَ دَاوُدَ قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَ لِي جَدُّكَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (فَقَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ سَجْدَةً ثُمَّ سَجَدَ)، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَقُولُ مِثْلَ مَا أَخْبَرَهُ الرَّجُلُ عَنْ قَوْلِ الشَّجَرَةِ[2].

وهكذا آيات الله تُثْبِتُ هذا السجود الكلي للكون، وما سجود الإنسان التكليفي هذا إلا تكليف وتشريف، وإشارة إلى سجود الكون كله، وسجود الوجود الدائم الذي لا ينقطع لحظة والذي معناه استجابته لله رب العرش العظيم منذ أن خلق الله الوجود وعرض عليه ذلك، فقال سبحانه: ﴿ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ

(1) صحيح مسلم (٤٨٢).

(2) أخرجه الترمذي (٣٤٢٤)، وقال الألباني: حسن.

ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ
فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا
وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ
فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾
[فصلت: ٩-١٢].

وكما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

إلا بعض الناس هم الذين لا يسجدون، وأما إبليس وجنده من الجن فهؤلاء دخلوا في قوله سبحانه: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾، ولما كان تخلُّف المؤمن عن إخوانه المؤمنين لا يليق، ولا عن أعضاء الوجود الساجدين كان الأفضل للمؤمنين عدم تأخيرها كما هو الراجح من أقوال العلماء، ولو للوضوء لها، أو للبحث عن القبلة، أو تبديل الثياب غير الطاهرة، أو النزول عن دابته، أو نحو ذلك، بل شرع له أن يهويَ مِن فَوره ساجداً لله رب العالمين فور أن جاءته الإشارة، كما كان شأن الملائكة حين أمرهم الله سبحانه وأمر الوجود بالسجود لآدم لما نُفِخَت فيه الروح: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الحجر].

وكل سجدة يسجدها الساجد لرب العالمين يُعَذَّبُ بها الشيطان أَيَّما عذاب، ويندب حظه على ترك السجود وعلى استجابة ذرية آدم للسجود لله رب العالمين، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:(إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي، يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي كُرَيْبٍ: يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ

فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ)[1] .

فمن ذا الذي يتهاون بالسجدة بعد مقامها العظيم عند رب العالمين والنبي ﷺ يقول:(عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً، إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً)[2] .

السجدة تحت العرش: ولكل سجدة مذاقها ولكل سجدة أثرها ووطؤها الخاص على القلب، وإن شئت فقل: كل سجدة تربط قلب العبد بربه تبارك وتعالى برباط عبودية مخصوص، وكل سجدة تربط المُلْكَ كله بما فيه المؤمن...

فهي تربط قارئ القرآن برباط السجدة العظمى ما بينه وبين أكرم خلق الله على الله، وأقرب خلق الله إلى الله، وهم الذين سَمَّاهم الله سبحانه ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤-٢٠٦]، فماذا ترى الساجد وقد ساقته الآيات سوقاً إلا أن يكون مع ﴿ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ مع الذين عند الله بسجدته، ومع الذين هم عند الله بسجودهم الدائم وهو بسجوده الدائم وعبوديته الشاملة، مُثْبِتاً ذلك الحال المستمر بهذه السجدة التي خُتِمَت بها سورة الأعراف المباركة.

ويصعب عليَّ الآن جدًا أن أبيِّن المقصود الذي يعنينا نحن أهل هذا الزمان بكل

(1) رواه مسلم (٨١).

(2) رواه مسلم (٤٨٨).

سجدة من السجدات التي في القرآن، وليست الصعوبة إلا من مخافة فتنة الناس بخطاب جديد يعادونه جهلا وهو الحق، ويكفي أن تعلم أن جميع السور التي ورد فيها السجود إنما كانت تتحدث عن القرآن الكريم وعن إقامته في العالمين بكل تفاصيله.

وبما أن الاستجابة في السجدة استجابة في كل ما أمر الله به عباده المكلَّفين منهم وغير المكلَّفين أي شاملة للأحياء وغير الأحياء بشكل مطلق: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [فصلت]، فإن أعظم المكلَّفين هم الناس، وهل حياة الإنسان إلا خَلْقُه وخُلُقُه وحياته فكان أعظم ما تشير له السجدة في حياة الإنسان هو خُلُقَه.

وأخيرًا فلا تعجب إذا ما رأيت ارتباط أخلاق عباد الرحمن المُفصَّلة بالسجدة التي ذُكرت قبلها، وجاءت الأخلاق تفريعاً عليها فتأمل ماذا قال الله سبحانه:
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾
ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ
بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا
۩ ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى
جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ
يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟
وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ

ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ
ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ
ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ
إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ
إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا
مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ
ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا
وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾
[الفرقان: ٥٨-٧٧].

إنها مثل السجدة التي في سورة مريم حيث ذَكَرَ اللهُ سبحانه أكرم عباده من ذرية آدم، ثم ذَكَرَ سجودهم لله سبحانه بعد ذلك.

فيا لَلعجب كيف يصنع القرآن الكريم الربانيين من خلال السجدة التي تعمُّ الوجود كله، فإن الإنسان وباستجابته لله رب العالمين بجميع أجزاء حياته قد أصبح قطعة من هذا الكون المنظور وغير المنظور يكشفه رب العالمين لقارئ القرآن فلا يملك القلب نفسه، ولا يملك إلا أن يسجد فوق أرضٍ مِنْ تحته ساجدة وسماوات من فوقه ساجدة، وكائنات من كل مكان وكل ما حوله ساجد، فلا يملك إلا أن يسجد... هذه هي حقيقة هذا المشهد الكوني العظيم الذي يعيشه قارئ القرآن ويراه بقلبه رؤيا العِيان.



الكلمة السابعة

صناعة الأخلاق بالقرآن

الكلمة السابعة: صناعة الأخلاق بالقرآن

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾

أصل كل خُلُقٍ في الباطن: قضية مهمة نغفل عنها نحن رغم أنها القضية المحورية في تكوين الأَخلاق وتأسيسها وظهورها.. تلك هي أن الأخلاق ليست مَظاهرَ على الناس فحسب، وليست هي أرقامًا ولا أحرفًا ولا تلقينًا ولا محفوظاتٍ تُحفظ.

إن الأخلاق ليست قانونًا يُفرَض على الناس ويصدر به حكم قضائي ملزم، ويتابعه شُرَطٌ وعساكر، ويقضي به قضاة وتُفتَح لمخالفته سجون وما إلى ذلك.

إنه لا يمكن أن يجتمع حفظ القرآن وسوء الخُلُق في قلب رجل واحد. ولا يمكن أن يبلغ رجل أن يصبح من الرَّبَّانِيِّين الرِّبِّيِّين ما لم يكن الله تعالى هو من ربَّاه وأدَّبه. ولا يمكن أن يُصلِح القرآن ظاهر رجل دون أن يصلح قلبه ونفسه أولًا.

فإن الخُلُق إيمان، وشُعَب الإيمان جلُّها أخلاق، وإن موطن الإيمان هو القلب: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [الحجرات:].

ثم إن أصل الأخلاق لابد أن ينبت في القلب نباتًا، وبعده يخرج من القلب على مظاهر أصحابه وهيئاتهم إخراجًا.

وإن أصل النور وأوله لابد أن يشرق به الصدر، ومن الباطن يشرق أخلاقًا حسنة على تصرفات الناس قال الله سبحانه: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن

رَّبِّهِۦٓۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ [الزمر].

وهكذا فإن أصل الرحمة لا يكون إلا بالقلب ثم تبعث الرحمة أخلاقًا ظاهرة، ورحمة غامرة، وأحكامًا رفيقة، وتصرفات وثيقة، كما قال الله سبحانه لرسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ [آل عمران].

وبناء على هذا الأصل العظيم يتقرر عندنا أن أصل الإنفاق كرم القلب وكرم النفس وهذا لا يمكن أن يكون إلا من الله سبحانه لأنَّ الشُّحَّ غِلٌّ وقيد لا يمكن الخلاص منه والفكاك منه إلا بالله تعالى، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ [الحشر].

وإن أصل الشجاعة في القلب، فالثبات ثبات القلب، ورباطة الجأش في القلب، والإقدام إقدام القلب وهذا لا يملكه إلا الله سبحانه: ﴿إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴿١١﴾ [الأنفال].

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ عَنۡهُم بِبَطۡنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعۡدِ أَنۡ أَظۡفَرَكُمۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ [الفتح].

وقال سبحانه للمؤمنين: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة].

وقال سبحانه: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [التوبة].

وإن أصل السكينة والطمأنينة يُنزِلها الله سبحانه في القلب ومن القلب تسري إلى أعضاء صاحبها وتجلِّله، كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [الفتح]، وقال سبحانه: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح].

وإن الإحسان هو أعلى منازل الإيمان، وإن الإحسان هو أعلى مراتب العمل، فإحسان الإيمان هو أن تعبد الله كأنك تراه، وإحسان العمل أن تتقن العمل غاية الإتقان وهذهِ من هذا وأصل هذهِ الظاهرة للناس هو إحسان القلب.

وإنَّ البِرَّ بِرُّ القلوب أولًا ثم تأتي كل أعمال البر بعد ذلك، ولهذا نفى الله سبحانه عن ذات الأماكن المقدسة أو التوجُّه نحو أقدس بيت لله على الأرض البر، وذلك حين يكون الأمر مجرَّدًا عن الإيمان، إنما البر الإيمان، وموطن الإيمان هو القلب، ولهذا ابتدأ بالإيمان أولًا ثم ذكر مجموع أعمال البر الأخرى، فقال سبحانه: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ

فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة].

وقال سبحانه: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة].

ولو تأمَّلنا قليلاً في أول سورة الحجرات لعلمنا ما للمظاهر من ارتباط بالقلب وأن الإيمان هو المصدر والمنبع، قال الله سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [الحجرات: ١-٥].

وجماع هذا قول النبي ﷺ: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ[1])، ومن شكَّ في هذهِ الحقيقة العظيمة فَلْيُجِبْ؛ أيمكن أن يدخل أي خير لقلب جعل الله عليه أقفالاً أو ختم عليه أو لعنه؟ قال الله سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف]، وقال الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ [محمد].

إذن؛ لابد أن ترسخ هذهِ الحقيقة جيدًا في أفهامنا، لئلا نُضَيِّعَ الوقت بمطالباتنا أبناءَنا وطلابَنا بالأخلاق الحسنة بصيغة الأمر والنهي والضرب والإهانة والإذلال وما إلى ذلك...

وذلك لأن الأمر أمر القلب... ولهذا كان المرجع هو القرآن لأن القرآن كلام رب العالمين وهو الهدى والنور والرحمة... فكان هو أقصر طريق.. بل هو الطريق الذي لا طريق سواه إلى القلب، ومن ثَمَّ كان خُلُق رسول الله ﷺ القرآن، فهذا هو مصدر أخلاق الأمة حيث يعيد رسول الله ﷺ الأمر كله إلى حقيقته وهو القرآن... فمصدركم الظاهر والباطن أيتها الأمة القرآن.

لكن الأمر الذي يجب أن نتنبَّه له ويُخطِئ المربُّون في بحثه وفهمه وهو البحث عن الأخلاق في القرآن ومحاولة تعدادها وحصرها وفهرستها لبيان أخلاق القرآن!

القرآن يقذف الخُلُقَ الحَسَنَ نورًا تلقائيًا في القلب.. لا تتفحَّص وتُعَدِّد فماذا على من لم يعرف الفهرسة؛ كيف تأدَّبوا كيف بلغوا ما بلغوا من حُسن الخُلُق؟!

وهنا يأتي السؤال: ألم يرد في الحديث الصحيح عن القرآن قوله: (أَنَا صَاحِبُكَ الْقُرْآنُ)[1]، أوليس الصاحب ساحباً فماذا استفدت من صحبة القرآن العظيم الذي صَحِبْتَه في كل وقتٍ حتى في منامك؛ في ليلك ونهارك، في صومك وإفطارك، في شغلك وفراغك..؟!

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٢٩٥٠)، وحسَّنه ابن حجر العسقلاني في المطالب العالية (١٤/ ٣٢٤) حديث رقم (٣٤٧٨).

يا بني: إن الظاهر هو أنك أنت الذي تقرأ القرآن الكريم والحقيقة هي أن القرآن الكريم هو مَنْ يصنعك... هو من يُغيِّرك من داخلك... هو من يُعَمِّر قلبك.. هو من يشرح صدرك.. هو من ينير ظلمة جوفك.. هو من يشدُّ على نفسك ويرهبها ويخيفها وهو من يرقِّقها ويُلَيِّنُها كما يظهر أثر هذا على جسدك، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر].

فإذا كان هذا هو حال الجسد المادي وهذا بعض أثر القرآن عليه.. فكيف أثره على النفس نفسها؟!

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ١-٩]، فما هذا الوطء؟.. وعلى أي شيء يكون الوطء؟

إنه وطء كلام الله تبارك وتعالى على عبده القائم الليل، على قلبه ومن ثَمَّ على حياته، على خُلُقِه، إذن فالقرآن يُغيِّر مركز التغيير نفسه.. فماذا تنتظر من عبدٍ قد تَغيَّر قلبه والنبي ﷺ يقول: (أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ)[1] .

(1) تقدم تخريجه.

يمكن أن يكون القرآن بغير وطء على القلب؛ أي بغير تغييرٍ للقلب وللعبد وللحياة، فكيف بحياة من حفظ القرآن، وكم هي المسافة كبيرة والرحلة طويلة من ابتداء انطلاقة مشروعها مشروع حفظ القرآن وحتى إتمام حفظه بإتقان كاملًا؟ ولذا فإن لم تجد للقرآن وطأ على قلب حافظ القرآن فاعلم أن القرآن لم يبلغ قلبه ولا وصل إليه، والوطء على القلب يظهر أول ما يظهر وأعظم ما يظهر في خُلُقِه.

ولهذا فإن النبي ﷺ هو سيد الحافظين للقرآن وسيد العالمين المُعلِّمين، وكان سيد القائمين الليل وكان وكان وكان...

كان هو من تمثَّل فيه خُلُق القرآن كاملاً تامّاً تماماً، كما أنه لم يكن عنده أي خُلُقٍ إلا خلق القرآن، ولهذا سمى الله سبحانه القرآن بأنه عظيم كما قال رسول الله ﷺ: (أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي)[1] والحديث مشهور وصحيح وفي مقابل هذا كان متناسقاً مع كون القرآن عظيماً أن جاء خُلق النبي ﷺ بشهادة رب العالمين له بأنه خلق عظيم فقال سبحانه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم].

إذن فالكمال الذي بلغه النبي ﷺ في خُلُقِه إنما هو من المصدر الوحيد له في الأخلاق وهو القرآن العظيم، وإذا رجعنا إلى القرآن وجدنا أن القرآن العظيم هو المصدر الوحيد لخُلُقِ النبي ﷺ العظيم، وأنه لابد أن يبلغ هذا المبلغ ما دام القرآن هو مصدر خُلُق كل مسلم من المسلمين وأما تَلَقِّي ظاهر الأخلاق فظاهرها ومظهرها إنما هو من رسول الله ﷺ، فالرسول ﷺ هو صورة الخُلُق القرآني وهو أكرم صورة، أما صناعة خُلُقك فلابد أن يكون من القرآن، لأن القرآن يصنع المصدر.. يصنع

(1) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٨٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح.

القلب وصناعة القلب هي الأساس، ومن ثَمَّ كان صناعة خُلُق رسول الله ﷺ من القرآن وبالقرآن، والناس من بعد رسول الله ﷺ درجات متفاوتة.

وأول نقطة في صناعة القرآن العظيم الخُلُق كله لأنه حديث الله تبارك وتعالى الذي ينزل إلى القلب مباشرة، فماذا تنتظر من قلب نزل فيه القرآن مباشرة، ماذا تنتظر من ظلمة أشرق عليها النور كله، ماذا تنتظر من أرضٍ بور نزل عليها الماء من السماء حتى ارتوت، ماذا تنتظر من سيئات الأخلاق وقد نزل كلام الله عليها... هكذا يطيب القلب بالقرآن العظيم ويلين ويَرِقُّ ويصلح للحرث والزرع.

وإنك ما تكاد تمرّ بآية إلا يخبر الله سبحانه عباده بشيء عنه سبحانه ... فالله يُعَرِّف عباده سبحانه بنفسه في هذا القرآن، ومن ذا الذي يملك أن يتحدث بكلمة واحدة عن الله، ومن ذا الذي عنده من علم عن الله، أو من وصية، لكن ومع كل هذا فإن القرآن شيء آخر لا نظير له مطلقًا فهنا تلقي الإيمان من مصدر الإيمان ومصدر الأركان فمرة يقول في أول السورة: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾[آل عمران]، ومرة يقول في أول الآية: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ [البقرة]، ومرة يكون ختام الحدث وذروة الأمر في آخر الآية وكلها ذُرَى وكلها عظيمة فيقول سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر].

ويمرُّ الكثيرون بأسماء الله الحسنى مرورًا سريعًا دون أن يستوقفوا قلوبهم الطائرة خطفًا عند أعظم ما في القرآن وكله عظيم لحظة تذكُّر وادِّكار وتأمُّل. ولك في كل مرة يريك الله سبحانه فيها شيئاً من دلائل عظمته سبحانه، ويريك

تجلِّيَّات أسماء الله الحسنى، ومقتضياتها ويشهدك ما يشاء سبحانه أن تُسَبِّحَ الله مُعَظِّماً بكل قلبك وفكرك، ولذا كان ﷺ إذا مرّ بآية تسبيح سبَّح، وهذهِ العظمة وبعدها ستجد أن قلبك يخضع خضوعاً لربه وينكسر بين يديه ويمتلئ خشية ومهابة وتذلُّلاً لله رب العالمين وهذا أمر لازم دون أن يكتبه قلمك أو يتحدث به لسانك، فقلبك يعرف مَنْ ربه.. وهكذا يبدأ مركز التغيير بالتغيُّر ويبدأ فيه الصلاح والنور والعمار فإذا ما حدثت له هذهِ الحالة اللازمة الملازمة كان الانتقال للخطوة الأخرى لا إرادياً عند كل أحد وهو يستمع إلى قول الله في ختام قوله: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾ [البقرة].

ومن تجليات أسمائه الحسنى على عباده مثلاً أنه إذا سمع العبد قول ربه سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ [البقرة]، فلا يملك العبد هنا إلا أن يقول ما قال الله سبحانه: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، أَبَعْدَ الأربعة أشهر قطيعة وخصومة وفيها ما فيها من ذنوب في جنب الله قبل أن تكون في حق الآخر ومع هذا فإنكم إذ فئتم فإن الله لا يغفرها لكم فحسب، ولكنه يرحمكم... فهل يسع العباد بعد هذا إلا أن يتناسوا ويتصافحوا ويتسامحوا ويعيشوا حياة جديدة عنوانها المغفرة بل الرحمة، أرأيت كيف تنبت الأخلاق؟!

ويمرُّ الحافظ بموقف المُنفِق المانِّ بنفقته ويقرأ تعقيب الله تبارك وتعالى عليه بقوله: ﴿ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ [البقرة]، فما لكم تضجرون من إلحاح المحتاج أَلِأَنَّكم أغنياء ولا وقت لديكم، ومن ثَمَّ فلا حكم لديكم، فالله سبحانه غني وحليم يحلم عليهم ويحب دعاءهم

وإلحاحهم، والله الغني وأنتم الفقراء إلى الله، وما غِنَى غَنِيِّكُمْ إلا من غناه سبحانه فلم أخذتم الغِنى وتركتم الحِلْم؟! ألا ما أقبح الغنى بغير خلق الحلم! والله سبحانه غني وإن شكرتم وأعطيتم بارك لكم وزادكم وهو القائل سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فكم سيتغير خُلُق هذا وأمثاله بعد فهم المعنى العظيم لخطاب الله سبحانه عباده بأسمائه الحسنى في هذا الموقف.

❁ صناعة خُلُق الحافظ من قصص الأنبياء عليهم السلام:

هل من عظمة لفردٍ خلقه الله سبحانه من نسل آدم عليه السلام مثل أن يذكره الله سبحانه في القرآن العظيم ويذكره ويعظِّم شأنه، ويذكره ويقصُّ على الخلق قصته، ويذكره ويُسمِّيه باسمه ويسمي قومه، وربما حدَّد فترته الزمنية، وهو حين يقصُّ قصته يرسل من كل موقفٍ من مواقفه رسائل لهذِهِ الأمة الكريمة على الله، فلكأن كل المرسلين قد أُرسلوا إلى هذِهِ الأمة بإرسال رسول الله ﷺ إليهم، ولذا كانت كل حسنات الأنبياء عليهم السلام وكل أخلاقهم العظيمة مُقَدَّمَةً لهذِهِ الأمة والأعظم من ذلك أنها مُقَدَّمَة بكلام الله .. خالصة من غير شوائب، رحمة من غير عقاب، عبرة لسلوك الصراط المستقيم الذي قادته هم الأنبياء عليهم السلام قال الله سبحانه: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة]، أي أرسلنا للأمم السابقة مثلما أرسلنا لكم.. فأعطوا هذا الأمر حقه.

والحمد لله رب العالمين فإن الله سبحانه يذكر الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم ويذكر

مواقفهم وأخلاقهم ويخاطب رسوله ﷺ بعد ذلك بوجوب الاقتداء بهم... في معرض إجلال وتعظيم لهم من ربهم تبارك وتعالى فكان هذا العرض العظيم فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢-٩٢].

وكفى الأنبياء عليهم السلام عظمة أن يأمر الله سبحانه رسوله ﷺ بأن يقتدي بهم لأنهم يمثّلون هدى الله الذي تطلبه أنت في كل شيء، ويدلُّه الله عليه وعلى مرجعه في هدى الأنبياء عليهم السلام ألا إنه هذا القرآن ولذا قال بعد هذا العرض العظيم مباشرة: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ [الأنعام: ٩٢]، والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليسوا مجرد أمثلة رمزية في الخلق، ولا صوراً مثالية في الآداب، بل هم أصفى الخلق وأنقاهم قلوباً، وأشدهم لله خشية، وأعظمهم تعظيماً لله رب العالمين، وأشدهم تذلُّلاً وإشفاقاً، وأكثرهم تجلُّداً وصبراً، ووالله إن القلم ليعجز عن كل تعبير يفي بحق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ويظهر ما خفي من شأنهم في قلوبهم ذلك الأمر العظيم الذي كان هو الأساس في كل ما ظهر من صبر وعبادة وتواضع وإكرام وعفو وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر ونحو ذلك.

فماذا قال الله في موقف الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ فَضَّلۡنَا بَعۡضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعۡضٖۖ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٣-٥٧].

وكم هي الرحلة عظيمة مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في تلك الأزمان الداثرة وتلك الأقوام الغابرة، بل كم وكم يكشف رب العالمين سبحانه حياة الأنبياء الإيمانية، ويُظهِر مناجاتهم وتزلُّفاتهم ودعواتهم وإفضاءاتهم لله رب العالمين وكم يُظهِر سبحانه الوجه الآخر لحالهم ذلك ومطالباتهم وإلحاحاتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ

ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ
إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ
لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي
ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ
مُدۡبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ
فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ
﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ
يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ
﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ
ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ
كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ
﴿٧١﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ
يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ
لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعۡمَلُ
ٱلۡخَبَٰٓئِثَۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ
﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ
﴿٧٧﴾ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ

شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ
يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ
بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ
وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ
ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ
ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ
﴿٨٥﴾ وَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ فِي رَحۡمَتِنَآۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا
فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ
مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾
وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ
وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ
وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا
فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ
وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٤٨-٩٢].

أو بعد كل هذا يبقى استثناءات في حياة بعض الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يتوقف عندها الاقتداء، نعم إن الذي يحكم على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وعلى غير الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وعلى الخلق كافة هو الله رب العالمين: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾ [الرعد].

الله تبارك وتعالى الذي قال: ﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ

لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ
إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ
وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ
طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ
بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ
﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا
وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ
عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ
﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن
دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ
مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ
وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ
﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ
رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٩-١٢٠].

❁ الله وحده هو من يُصَفِّي أخلاق الأنبياء ومواقفهم ويقدمها لنا في القرآن:

نعم إنك أيها المسلم ويا أيها الحافظ العالم والمتعلم لن تجد أحدًا يستطيع تقييم خلق الأنبياء عليهم السلام أبدًا.. كيف وفيهم رسول الله سيد ولد آدم ﷺ، لكنك في هذا القرآن تأخذ الأخلاق كاملة صافية مُصَفَّاة، قد نفى الله عنها ما لا يريده سبحانه فالله سبحانه وتعالى لا يجامل أحدًا على حساب أمة محمد ﷺ حتى لو كان هو رسول الله ﷺ، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ [عبس: ١-٤]،

واستثنى عند ذكر خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة]، واستثنى سبحانه استعجال يونس عليه السلام فخاطب رسوله محمدًا ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القلم: ٤٨-٥٠].

وأَدَّبَ سبحانه وتعالى رسوله زكريا عليه السلام حين تجاوز في طلبه إلى أن أصبح يطلب الدليل المادي بعد الدليل المادي وكان الواجب الاستسلام فكان أن ختم الله على فمه فلم يستطع بعدها أن يتكلم بكلمة لمدة ثلاثة أيام، فقال سبحانه

في سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا ٤ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ٦ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ٩ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ [مريم: ١-١١].

وهكذا كان الأمر مع داود عليه السلام حين رغب في زواج زوجة وزيره وقد كان عنده تسع وتسعون زوجة فقصَّ الله قصته العجيبة: ﴿۞وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ۩ ٢٤﴾ [ص: ٢١-٢٤].

واستثنى سبحانه انشغال سليمان عن ذكر ربه بالصافنات الجياد حين عُرِضْنَ عليه، فقال سبحانه: ﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا

لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٣٥﴾﴾ [ص: ٣١-٣٥].

حتى رسول الله ﷺ، فلقد ردّ الله تبارك وتعالى بعض ما وعد به المشركين فكان من أقوى ما رده الله سبحانه وبأقوى عبارة حين وعدهم بمجلسٍ غير مجلس المسلمين الضعفاء فكان الحكم من الله، والله يحكم لا مُعقِّب لحكمه وهو سريع الحساب، فقال سبحانه: ﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾ [الكهف: ٢٧-٢٩].

ولاطفه الله سبحانه بالعفو أولاً ثم صحّح له، فقال له: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: ٤٣-٤٥].

فهل يوجد هذا النقاء في أي كتاب أو صحيفة غير القرآن الكريم.. إنه خلاصة أخلاق سادة الأخلاق في ذرية آدم وهم الأنبياء عليهم السلام، وهنا نفهم عظمة خُلُق النبي ﷺ حين تقول عائشة: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ[1])، فمن ذا أحق بهذا الخُلُق من

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤٦٠١)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

القُـرَّاء؛ علمـاء القـرآن وحفَّاظه وطلابـه المُتعلِّمين في حلقاته.

❁ ضبط منظومة الأخلاق:

وبعد إصلاح القلوب وعمارها بالإيمان بالله تبارك وتعالى، وبمعاني وتجليات أسماء الله الحسنى، وبقصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يأتي الضابط للأخلاق لئلا تَشُطَّ يمينًا أو شمالًا إفراطًا أو تفريطًا وهو الترغيب والترهيب هو الحارس الأمين للصراط المستقيم...

ولذا كان الترغيب والترهيب يدخل كل مدخل في الإنسان فيجعله على الصراط المستقيم في كل حالاته.. لذا فإن الترغيب والترهيب يدخل حتى في النوايا، والظنون.

فإنه لا دين على هذهِ الأرض اليوم يعبد الله تبارك وتعالى وحده لا شريك له إلا دينك دين الإسلام ليس خيار لك أن تكون كريمًا أو لا تكون، أو تكون وفيًّا أو لا تكون، أو تكون جارًا صالحًا أو لا تكون، أو تكون خيِّرًا أو لا تكون؛ فإن مُتعلِّم القرآن ومُعلِّمه لابد أن يختار بين خُلُقين متقابلين في كل مرة، وإنه لا يملك إلا أن يختار أحسن الخُلُق، وكم تهاون أناس في الحرص على اختيار أحسن الأخلاق لقول البعض: إن هذا الخلق سُنَّة، أو أن هذا مستحب، وكان الواجب أن تكون كلمة السُّنَّة والمستحب دافعًا حقيقيًا أن يلتحق الرجل برسول الله ﷺ من خلال سُنَّتِه ومزيد الحرص عليه ومزيد الأخذ بِسُنَّتِه كل يوم أكثر وأكثر، بل إن النبي ﷺ يجعل المسلم بين خيارين واضحين، ومع هذا يتهاون البعض فيها .. فقالوا: إن هذا للتهديد فقط! فكم نتهاون في تضييف الضيف! وكم نتهاون في إغاثة الملهوف! وكم ....والنبي

ﷺ يقول: (وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ)[1]، وقوله ﷺ: (وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللهِ لاَ يُؤْمِنُ) قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: (الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ[2])[3]، وقال رسول الله ﷺ: (من كان لهُ شَعْرٌ، فليُكرِمْهُ)[4]، وقال ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ[5]، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لاَ ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ)[6]، وقوله ﷺ: (مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ[7])، وقال ﷺ: (مَنْ لَمْ يَدْعُ اللهَ سُبْحَانَهُ، غَضِبَ عَلَيْهِ[8])، وقال ﷺ: (مَنْ نَفَّسَ عَنْ غَرِيمِهِ أَوْ مَحَا عَنْهُ كَانَ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[9].

❁ ضبط النية عند التخلق بالأخلاق:

ولا أحد من أهل الأرض يبتغي وجه الله تبارك وتعالى سواك أيها المسلم المُخْلِص ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾﴾ [البقرة]، فلا تغفل عن ميزتك العظمى، وكأنك في كل خُلُق وكل مرة وكل مشهد تشهد الله سبحانه وتعالى وتقول: يا رب لا أفعل هذا إلا لوجهك الكريم، لا أتنازل عن حقي إلا لوجهك الكريم، لا أصبر على هذا الأذى إلا لأجلك، لا أصلح هذهِ الخصومة إلا لك، لا أواصل دفع هذهِ الصدقة لمن أساء إليّ

(1) رواه البخاري (٦٠١٨).

(2) أي: شره.

(3) رواه البخاري (٥٦٧٠).

(4) رواه أبو داود (٤١٦٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(5) من كان معه فضل ظهر: أي زيادة ما يُركَب على ظهره من الدواب.

(6) رواه مسلم (١٧٢٨).

(7) رواه أحمد (١١٧٠٣)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

(8) رواه ابن ماجة (٣٨٢٧)، وقال الألباني: حسن.

(9) رواه أحمد (٢٢٥٥٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

إلا لوجهك الكريم، لا أصل رحمي وقد قطعوني إلا لوجهك الكريم .... فَلْيذهبِ الناسُ بمظاهر الأخلاق، ولأظفر برضوانك ربي وبما حَسَّنت من خُلُقي...

كثيراً ما يغفل المؤمنون عن استحضار النية في الأخلاق لأن الأخلاق تغطي الحياة كلها... ومطاردة النفس بالمجاهدة على هذا، وتثبيت النية في النفس بالمجاهدة في تفاصيل الحياة أمر يحتاج إلى متابعة مستمرة، ومطاردة دائمة حتى تستقر النية فتصبح وكأنها جزء من العمل، ويصبح القلب متوهِّجاً بنيته دائماً، متجهاً إلى ربه سبحانه وتعالى وإلى وجههِ الكريم في كل حالاته وكل تقلُّباته فهو المراد والمطلوب الأوحد سبحانه وتعالى في كل عمل وكل حال بالغُدُوِّ والعَشِيِّ كما قال سبحانه عن سادتنا وأئمتنا أصحاب رسول الله ﷺ، فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام].

إذن فلابد من هذهِ المجاهدة الخفية لندرك هذهِ المنزلة الكبرى عند كل خُلُق من أخلاقنا وتستقر في هذا المقام قلوبنا وهي إرادة وجهه تبارك وتعالى بالغداة والعشي. إن الإنسان لا يأثم إلا إذا أراد بأعماله رياء الناس، لكن هل ننتظر حتى نقعد على شفا الحفرة الخطيرة هذهِ؟! ولا علاج للرياء ووساوس النفوس مثل أن تقدَّم النية الصالحة لله عند ابتداء كل عمل، ولا شأن لك بعد ذلك بما يداخل نفسك من وساوس الشيطان، فاستعذ بالله وزد مضاءً وإقدامًا، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزمر: ١١-١٢].

والإخلاص في عبادة الله أمر الله الذي ينطلق عند ابتداء كل عبادة، والخُلُق من أعظم العبادات، والأمر ليس مقتصرًا على عمل واحد وعبادة معينة بل الأمر أن يكون المسلم أول المسلمين، فإن المسابقة إلى الله صفة العبد الرباني الملازمة له، ولو تُرِكَ الأمرُ في حدود الآية الأولى لارتبط الإخلاص بحدود العبادة، ولكن الله سبحانه جعله أمرًا صريحًا مرتبطًا بالمسلم نفسه، وبما أن كل مسلم يقرؤها فكل مسلم مقصود بها، وهو لا يزال يخاطب نفسه بخطاب الله تبارك وتعالى له، ومن ثَمَّ فهو لا يزال يتقدم في كل عمل من أعماله، وفي ليلِهِ ونهارِهِ لأن يبلغ مقام أن يكون أول المسلمين، وهذهِ يمكن أن تتحقق باعتبارات كثيرة.

وحتى لو كان المقصود بقوله سبحانه: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾[الزمر]

رسول الله ﷺ فإن المطلوب من كل مسلمٍ أن يكون أولًا فيما يستطيع، والمطلوب منه السعي الدائم لأن يبلغ هذا المبلغ العظيم، ومن المعلوم قطعًا أنه لا أحد يمكن أن ينافس رسول الله ﷺ على الأولية معاذ الله من هذا الظن الشيطاني ومن ثَمَّ كان الأول فيما بعده، والأول حسب المبادرة، والأول حسب زمان المخاطب، والأول حسب العمل، والأول في المجتمع الذي هو فيه، والمجموعة التي حوله، وما إلى ذلك...

❁ ضبط اللسان بالتزام التي هي أحسن:

وماذا بعد حسن النية من حسن القول؟!وماذا يليق بمن عنده أحسن الكلام وأحسن الحديث وأحسن القصص إلا أن يلتزم بأحسن القول إذا قال وأحسن الحديث إذا تحدث، وأحسن القصص إذا قص، وأحسن الجواب إذا أجاب،

وأحسن التحية إذا ألقى التحية، وأحسن الإصلاح إذا أصلح ... كل ذلك مراعاةً لما عنده، فعنده كلام الله تبارك وتعالى، وليجلَّ كلام الله أن يجمع معه ضدَّه من سوء حديث وسوء قول ... فإن حسن خُلُق رسول الله ﷺ يعود إلى مصدره... وهل من مصدر لأخلاق رسول الله ﷺ إلا القرآن الكريم.. فأي نور على نور مثل هذا، وأي نورٍ نبع من نور مثل هذا، فَعَنْ يَزِيدَ بْنِ بَابَنُوسَ قَالَ: دَخَلْنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْنَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! مَا كَانَ خُلق رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟ قَالَتْ: كَانَ خُلُقُه الْقُرْآنَ، تَقْرَؤُونَ سُورَةَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَتِ: اقْرَأْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾. قال يزيد: فقرأ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾... إِلَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ [المؤمنون: ١-٥].

قَالَتْ: هَكَذَا كَانَ خُلُقُ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1]، وإن حُسن الخُلُق يكون في القول وقد أمرنا الله سبحانه أمرًا بحسن القول، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ۝٨٣﴾ [البقرة].

وأَمَرَ الله أحسن الناس خُلُقًا وهو رسول الله ﷺ أن يأمرنا بحسن القول، فقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ۝٥٣﴾ [الإسراء]،

فالله سبحانه يوصى أحب خَلْقه إليه ﷺ، ويُسجِّل هذهِ الوصية منه سبحانه في كتابه، أن يُبَلِّغَ أمره هذا لأحبابه الذين جعل نسبتهم إليه بقوله (عِبَادِي)، وهذهِ أشرف

(١) ضعيف الأدب المفرد للإمام البخاري (٤٨)، قال الألباني: ضعيف.

نسبة بين العبد وربه سبحانه، لأنها أشرف وأعلى وأكرم مقامات ذكرها الله سبحانه لأشرف خلقه وأرقى الحالات التي يكون فيها رسول الله ﷺ، فقال سبحانه عنه حين كان في المعراج: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم].

وقال عنه حين كان يوحى إليه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾﴾ [الكهف: ١-٢].

ولهذا جاءت هذهِ الوصية بهذهِ الخصوصية فقال سبحانه: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء]،

فأنت أيها المسلم عامة ويا أيها الحافظ خاصة لا تفتأ تُعْرَضُ أمامك في مواقف كثيرة من حياتك أجوبة وأقوال، فقول سيء، وقول مقبول، وقول حسن، وقول أحسن، وقول التي هي أحسن... فلا خيار لأهل القرآن خاصة وأهل الإسلام عامة إلا التي هي أحسن، والتي هي أحسن هي أبلغ عبارة في منازل الإحسان في القول وفي الاستقرار في هذهِ المنزلة التي تليق بأهل القرآن ذلك أن مصدر خُلُق صاحب القرآن هو القرآن والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم]، فلا يليق بصاحب القرآن إلا الخُلُق العظيم والذي منه أحسن القول وقول التي هي أحسن، وإنه حين يختار التي هي أحسن من القول فإنه أبعد ما يكون آنذاك عن الشيطان وأبعد ما يكون عن نزغ الشيطان، فإنه سيوقع الشيطان في شرّ أعماله فلا يستطيع أن ينزغ، فبأي شيء ينزغ والقول حصين بالإحسان؟!

إن الإنسان ليقف أمام خصومٍ لدينه فيحاجُّهم ويحاجُّونه فيغلي دمه عليهم

ويصوِّر له الشيطان وجوب الانتقام منهم ولو بإهانتهم أو احتقارهم، وتُظْلِمُ الدنيا بين عينيه فيتذكر عندها أن صاحب الحق المطلق ومن أَنْزَل الدين يأمره بالحسنى فيقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٣-٣٥].

فالقول الأحسن أمر الله، وهو ما يحبه الله تعالى، وهو الذي تتفتَّح له القلوب عند الدعوة، والابتسامة المشرقة جزء من القول الأحسن عند القول الأحسن، وخفض الصوت مع قوة الحُجَّة هي أبلغ، فهي تبلغ بالقول الأحسن مداه الأبعد في القلوب حتى لو كانت قلوب معاندة بل قلوب حاقدة.

وكم رأينا بأعيننا أمثلة في الواقع نبعت مما قال الله تبارك وتعالى ورأينا أن أوثق العلاقات كانت من قبل أشد الخصومات، فتحوَّلت إلى صداقة حميمة وتحوَّل صاحبها إلى وَلِيٍّ حميم والسر هو القول الأحسن، وهو الجواب الأحسن لمن توقَّع الجواب الأسوأ.

وأشد من هذا يصنع القول الأحسن فيمن هو أشد من هذا خصومة وهم المجادلون من أهل الكتاب حيث يقول الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت]،

إذن فإن قول التي هي أحسن هو خُلُق مستمر عند المسلم لا يستطيع أن يتخلَّى

عنه أبدًا إلا في ظروف استثنائية وسرعان ما يعود إليه بعد ذهاب الاستثناء.

يا صاحبي: إن من يسبق الأقران الصالحين هو من يغلب النفوس وأهواءها، ويخمد وساوس الشيطان في صدور أصحابها حتى وإن ظن الناس أو قال له الشيطان: إن قرارك هذا هضم للنفس، وإذلال لها، وتنازل عن حقها، وإعزاز للخصم، وما إلى ذلك هو من يسبق إلى القول الأحسن حين يزايد الناس بالقول الأسوأ.

لابد لأهل القرآن أن يعتادوا على هذا.. لابد من الدُّرْبَةِ والمجاهدة...

﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت].

﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف].

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى].

﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة].

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النور].

﴿ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾[الفتح]، إنه التطهير لما بقي في النفس..

﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة].

وفي فترة من الفترات بلغ بي الغيظ مبلغًا والعياذ بالله مع أخٍ في الله حتى هممت بل عزمت على أن أستخدم يدي وبكل عنف في مواجهته، ورأيت أني لابُدَّ أن أفعل ذلك حتى يتوقف عند حده وقلة أدبه معي أمام الناس، ومرت عليَّ ليلة عصيبة لم أستطع فيها كبح جماح نفسي، بل كل فكرة تتفجَّر عن أكبر منها، وجاء السَّحَر وبقي الحال على ما هو عليه، فدعوت الله هذه المرة بطلب الفرج، فلم أستطع أن أصلي كما ينبغي ولا أكتب تلك الليلة في التأليف كما كنت أكتب ... فإذا بي وأنا أتوضأ أتلقَّى الحل إذ كانت السحابة الطيبة تصب عليَّ فتُطهِّرني وتُطيِّبني ظاهرًا وباطنًا ...

فكأنني أرى بعيني قول الله تعالى: ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المائدة]،

فقلت: إي والله هذا هو الحل مع أخي وليكن ما يكون، هذا هو ما يريده الله منا وإلا لِمَ عرضه علينا سبحانه، وشعرت يومها أنها كانت فترة اختبار من الله؛

وكم سعدت بقراري هذا، وكم جنى عليَّ من ثمار الخير، ولقد وسّعت النظر بعدها فوجدت أنها حقيقة بأن يجعلها الله في أول أيام الدنيا، وأول الإخوة وأول الأبناء لتبقى نبراسًا لآخر أمة، ولآخر الدنيا، فهذا أخ طلب وجه الله الكريم وخاف لقاءه منذ أول أيام ذرية آدم على الأرض وهو إذ ذاك أبعد ما يكون زمانًا من الدار الآخرة بالنسبة لجميع الأجيال والأمم، فكيف بنا ونحن آخر الأمم. ثم إن هذا التنازل الذي تنازله ليس بعده تنازل على الإطلاق .. فهو تنازل عن دمه وروحه وحياته كلها .. إذن فالتنازل عن ما سواها من الحقوق أهون بغير شك، ولا شيء يقارن بقيمة الروح، وعندها تعرف أنه لا شيء أسهل في حل الخلافات مع الإخوة والأحبَّة إذا اشتدت من هذا الموقف، وأن هذا الاستعداد النفسي كفيل بإفشال كيد الشيطان مهما كان، وأن الإنسان لن يبلغ شعورًا بالانتصار مثل هذا الشعور ... وقد قال النبي ﷺ في حديث الفتن: فَعَنْ خَالِدِ بْنِ عُرْفُطَةَ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ:(يَا خَالِدُ إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَحْدَاثٌ وَفِتَنٌ وَاخْتِلَافٌ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ عَبْدَ اللهِ الْـمَقْتُولَ لَا الْقَاتِلَ فَافْعَلْ)[1] .

❁ اضبط ميزان خُلقك من ذرة، ومن رذاذ:

طبيعة في نفس الإنسان أن تعتزَّ بنفسها ومن هذا الباب ينفخ الشيطان فيها فيريها أنها أفضل وأعلى من غيرها.. وهكذا يدخل إلى نفس طالب حفظ القرآن... فيُحقِّر في عينه بعض إخوانه في الحلقات، فهذا غير أصيل وأنا آصل منه، وهو فقير وأنا أغنى منه، وأبي مسئول على أبيه، أو أعلى من أبيه، أو أنه غير مواطن، أو أنَّ فيه عيوباً

(١) رواه أحمد (٢٢٤٩٩)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

خَلْقية كذا وكذا، فتكون نتيجة ذلك هو أن يستكبر عليه فانظر كيف يدمِّر الكِبْر غاية الحافظ وطالب الحفظ خاصة والناس عامة، قال الله سبحانه: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ [الأعراف].

ألَـمْ تـأتِ لتحفـظ القـرآن وليجمعـه الله سبحانه لك فـي صدرك... فمـن يجمعه لـك إذ تعهَّـد اللـه أن يصرفـه عنك فقـال: (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ)، كل هـذا بالكبر الذي داخلـه وكأنـك تـرى الآيات تأتي لكل مَنْ حولك وتسـتقر فـي صدورهم إلا صدرك فلـه الحرمـان لأن فيـه كبـرًا والكبـر والقـرآن لا يجتمعـان، ولا تـزال آيـات اللـه تأتـي بخيراتهـا علـى قلـوب طالبـي الحفـظ والحافظيـن فتُطهِّرهـم وتُنقِّيهـم، وتنيرهـم.. ويعيشـون فـي ظلالهـا، لكـن اللـه سـبحانه يصرفهـا عـن قلـوب آخريـن فـلا مجـال لأن تدخلهـا لأنهـم مُتكبِّـرون، كما قال سـبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ [غافر].

لأن الله لا يحب المُتكبِّر كما قال سبحانه: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل]، ولو نظرنا في سكان جهنم من الأقوام السابقين فإنا لا نكاد نجد منهم قومًا إلا وقد اتصفوا بالكبر كما قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت]، ومن قبلهم قوم نوح فقال سبحانه: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ

وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾ [نوح]، وهكذا فرعون وقومه وغيرهم وغيرهم.

لكن إياك أن تقول نحن مستثنَون فإن ذرة كبر واحدة في قلبك كفيلة بأن تحرمك دخول الجنة لأن الجنة دار الله تبارك وتعالى، قال النبي ﷺ:(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ:(إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ[1])، هكذا يأتي هذا الترهيب العظيم لِيُقَوِّمَ مسيرة طالب الحفظ والحافظ فيطهِّرهما من ذرَّة الكبر، وينقِّيهما منها إن وُجِدَت، ويسدُّ عليهما الأبواب أن تدخل من أي مدخل.

وإن ذنبًا اشتركت فيه الأمم الهالكة السابقة في النار لهو ذنب عظيم، وبئس الصحب هؤلاء، وبئس المثوى مثواهم وبئس المصير مصيرهم، وهذا المصير الخطير يجعل الحافظ وطالب الحفظ في مراقبة دائمة لأخلاقه فما أصغرها من ذرة وما أعظم خطرها، ولهذا فهو لا يتهاون بأصغر تصرُّف فيه رائحة للكبر، أو أي طريق يُفضي إلى الكبر مثل الاستهزاء بالآخرين والسخرية، والغيبة، ولقد ذكر الله تبارك وتعالى منظومة من الآداب هي في غاية الأهمية لطلاب الحلقات القرآنية.

فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ

(١) رواه مسلم حديث رقم (٩١).

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٣)﴾ [الحجرات: ١٠-١٣].

❁ خُلُق الموقف هو من يُقدِّم صاحبه .. فكن هناك: حسن الخلق:

عن أَبي الدَّرْدَاءَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ[1])[2].

وفي رواية: (وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةَ صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ)[3].

وعن أبي هُرَيرةَ رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ فَقَالَ: (تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ)، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ؟ فَقَالَ: (الفَمُ وَالفَرْجُ)[4].

وعن أَنَسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أَكْمَلُ المؤمِنينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً)[5].

وعن عُميرِ بن قَتادةَ رضي الله عنه أَنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أيُّ الصلاةِ أفْضَلُ؟ قال: (طولُ القُنوتِ). قال: فأيُّ الصدقة أفْضَلُ؟ قال: (جُهْدُ المُقِلِّ). قال: أيُّ المؤمنينَ أكْمَلُ إيماناً؟ قال: (أحْسَنُهم خُلُقاً)[6].

---

(1) (البذيء) بالذال المعجمة ممدوداً: هو المتكلِّم بالفُحْشِ ورديء الكلام.

(2) رواه الترمذي (٢٠٠٢)، وصحَّحه الألباني.

(3) رواه الترمذي (٢٠٠٣)، وصحَّحه الألباني.

(4) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وحسَّنه الألباني.

(5) رواه أبو يعلى في مسنده حديث رقم (٤٢٤٠)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(6) رواه الطبراني في الأوسط حديث رقم (٨١٢٣)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

وعن أُمِّ سَلَمَةَ قالت:(ما ماتَ رسولُ الله ﷺ حتى كان أكْثَرُ صَلاتِه وهو جالِسٌ، وكانَ أحبَّ العَملِ إليهِ ما داوَمَ عليه العَبْدُ وإنْ كان شَيْئاً يَسيراً)[1] .

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:(حقُّ المسْلمِ على المسلمِ خمْسٌ: ردُّ السلامِ، وعيادَةُ المريضِ، واتِّباعُ الجَنائز، وإجابَةُ الدعْوةِ، وتشْميتُ العاطِسِ)[2] .

وفي رواية لمسلم:(حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ). قِيلَ: وما هُنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال:(إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه، وإذا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وإذا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَه، وإذا عَطِسَ فَحَمِدَ اللهَ فشمِّتْهُ، وإذا مَرِضَ فعُدْهُ، وإذا مَاتَ فاتَّبِعْهُ)[3] .

اجعل رسول الله ﷺ بين عينيك .. فماذا تراه سيحكم لك في هذه المواقف؟ اجعل رسول الله ﷺ حكمًا بينك وبين مقابلك ... فماذا تراه سيحكم؟ بل اجعل رسول الله ﷺ بدلاً عنك في كل موقف ... فما تراه سوف يصنع؟ وأي قرار سيتخذ...

هنا يظهر حقيقة إن كان أحدنا قد التزم فعليًا بقول الله عز وجل:﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾**﴾ [الأحزاب].

وهنا تتجلى فوق السفاسف، وتعلو فوق اتباع الهوى، وتُبْكِي الشيطان وتُخْزِيه ... حين تتوقف في كل مرة وعند كل موقف مستسلمًا راضيًا بحكم رسول الله ﷺ .

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٣٦) حديث رقم (٣١٧٥).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٥٥) حديث رقم (٣٤٦٧).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٥٥) حديث رقم (٣٤٦٧).

❀ الموقف الأول: خلق أمتنا الحياء .. ولا خيار سواه

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَياءِ). قَالَ: قُلْنَا: يا نبيَّ اللهِ! إنَّا لَنَسْتَحِي والحمدُ للهِ. قال:(ليسَ ذلك، ولكنَّ الاستحياءَ مِنَ اللهِ حقَّ الحياءِ؛ أنْ تَحْفَظَ الرأسَ وما وَعَى، وتحفظَ البَطْنَ وما حَوَى، وتَذْكُرَ المَوْتَ والبِلى، ومَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدنيا، فَمَنْ فَعَلَ ذلك فَقَدْ اسْتَحْيا مِنَ اللهِ حَقَّ الحَياءِ)[1] .

❀ الموقف الثاني: اداء الحق لصاحبه والنفس طيبة

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ يتقاضاهُ، فأغْلَظَ له، فَهَمَّ به أصحابُه، فقالَ رسولُ الله ﷺ:(دعوهُ؛ فإنَّ لصاحِبِ الحقِّ مقالاً). ثم قال:(أَعْطوهُ سِنّاً مثلَ سِنِّهِ). قالوا: يا رسول الله! لَا نجِدُ إلا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ، قال:(أَعطوهُ، فإنَّ خيرَكم أحسنُكُم قضاءً)[2] .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: استسلف النبيُّ ﷺ مِنْ رجلٍ مِنَ الأنْصارِ أربعين صاعاً، فاحْتاج الأنصاريُّ، فأتاهُ، فقال رسولُ الله ﷺ:(ما جاءَنا شيء). فقال الرجلُ، وأراد أنْ يتكلَّم؛ فقال رسولُ الله ﷺ:(لا تقلْ إلا خيراً، فأنا خيرُ مَنْ تُسَلِّفُ)، فأعطاهُ أرْبعين فَضلاً، وأربعينَ لِسَلَفِه، فأعطاهُ ثمانين [3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يتقاضاه قدِ اسْتَسْلفَ منه شطرَ

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣١٩) حديث رقم (١٧٢٤).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٢٨) حديث رقم (١٧٥٢).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٢٩) حديث رقم (١٧٥٤).

وَسْق[1]، فأَعْطاه وَسْقاً[2]، فقال: (نِصفُ وَسْقٍ لك، ونصفُ وسْقٍ منْ عِندي). ثمَّ جاءَ صاحبُ الوسْقِ يتَقاضاهُ، فأعطاهُ وَسْقَيْنِ، فقال رسول الله ﷺ: (وسْقٌ لك، وَوَسْقٌ مِنْ عِندي)[3] .

❁ الموقف الثالث: الاختيار ما بين الإقالة أو اللؤم!

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (مَنْ أقالَ مُسلِماً بَيْعَتَهُ؛ أقالَه اللهُ عَثْرتَه يومَ القِيامَةِ)[4] .

❁ الموقف الرابع: هل تجامل أم تنصح؟

عن أبي سِبَاعٍ قال: اشْتَرَيْتُ نَاقَةً مِنْ دَارِ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ فَلَمَّا خَرَجْتُ بِهَا أَدْرَكَنِي وَاثِلَةُ وَهُوَ يَجُرُّ إِزَارَهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ اشْتَرَيْتَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: بَيَّنَ لَكَ مَا فِيهَا؟ قُلْتُ: وَمَا فِيهَا، إِنَّهَا لَسَمِينَةٌ ظَاهِرَةُ الصِّحَّةِ؟ قَالَ: أَرَدْتَ بِهَا سَفَرًا أَوْ أَرَدْتَ بِهَا لَحْمًا؟ قُلْتُ: أَرَدْتُ بِهَا الْحَجَّ. قَالَ: فَارْتَجِعْهَا. فَقَالَ صَاحِبُهَا: مَا أَرَدْتَ إِلَّا هَذَا أَصْلَحَكَ اللهُ تُفْسِدُ عَلَيَّ؟! قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيعَ شَيْئًا، إِلَّا بَيَّنَ مَا فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ عَلِمَ ذَلِكَ إِلَّا بَيَّنَهُ)[5] .

❁ الموقف الخامس: الرضا بالرزق أم الربح بالحلف الكاذب؟

عن أبي ذرّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبيَّ ﷺ قال: (ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ

---

(1) شطر وسق: أي نصف وسق.

(2) الوَسْق: بفتح الواو وسكون السين المهملة: ستون صاعاً، وقيل: حمل بعير.

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٢٩) حديث رقم (١٧٥٥).

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٣١) حديث رقم (١٧٥٨).

(5) أخرجه الحاكم حديث رقم (٢١٥٧)، وقال الألباني: حسن لغيره.

إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارًا، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:(الْمُسْبِلُ، وَالْـمَنَّانُ، وَالْـمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ)[1] .

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: اخْتَصَم رجلانِ إلى النبيِّ ﷺ في أرضٍ أحدُهما مِنْ حَضْرمَوْتَ، قال: فجَعلَ يمينَ أَحَدِهِما، فضجَّ الآخَرُ وقال: إذاً يَذْهَبُ بأرضي. فقال:(إنْ هُو اقْتَطَعها بيمينِه ظُلْماً، كانَ مِمَّن لا ينظُر اللهُ إليه يومَ القيامَة، ولا يُزكِّيهِ، ولهُ عذابٌ أَليمٌ). قال: وورِعَ الآخرُ فرَدَّها[2].

وعن عبد الرحمن بن عوفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال:(اليمينُ الفاجِرَةُ تُذهِبُ المالَ أَوْ تَذهبُ بِالمالِ)[3] .

❁ الموقف السادس: أنكون مع حدِّ الله أم نشفع لإلغائه؟

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال:(مَنْ حالَتْ شفاعتُه دونَ حَدٍّ مِنْ حدودِ الله؛ فقد ضادَّ اللهَ في أمرِهِ، ومَنْ ماتَ وعليه دَيْنٌ فليسَ ثَمَّ دينارٌ ولا درهمٌ، ولكنَّها الحسناتُ والسَّيئاتُ، ومَنْ خَاصَمَ في باطلٍ وهو يعلمُ، لَمْ يزَلْ في سَخَطِ اللهِ حتى يَنزِعَ، ومَنْ قالَ في مؤْمِنٍ ما ليسَ فيه حُبِسَ في رَدْغَةِ[4] الخَبالِ، حتَّى يأْتيَ بالمخرَجِ مِمَّا قالَ)[5] .

---

(1) رواه مسلم حديث رقم (١٠٦).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٦٥) حديث رقم (١٨٢٩).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٦٨) حديث رقم (١٨٣٥).

(4) رَدْغَة بسكون الدال وفتحها: طين ووحل كثير، وجاء تفسيرها في طريق أخرى عن ابن عمر عند أحمد بلفظ:(عصارة أهل النار).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٥٣) حديث رقم (١٨٠٩).

❁ الموقف الثامن: أتكون مع صاحب الحق أم مع من تحب؟

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا يُعْطَى الضَّعِيفُ فِيهَا حَقَّهُ غَيْرَ مُتَعْتَعٍ)(1) .

ورواه ابن ماجه بقصة، ولفظه قال: جاء أعرابيٌ إلى النبيّ ﷺ يتَقاضاه ديْناً كان عليه، فاشْتَدَّ عليهِ حتَّى قال: أُحَرِّجُ عليكَ إلا قَضَيتَني. فانْتَهرَهُ أصْحابُه، فقالوا: وَيْحَكَ! تَدْري مَنْ تُكَلِّمُ؟ فقال: إنِّي أطلُبُ حقِّي. فقال النبيَّ ﷺ:(هلا معَ صاحِبِ الحقِّ كنتُم؟(. ثمَّ أرسلَ إلى خَوْلةَ بنتِ قيْسٍ فقالَ لها:(إنْ كان عندكِ تَمْرٌ فأقْرِضينا حتى يأتِيَنا تمرٌ فنقْضيَكِ). فقالتْ: نعَم، بأبي أنتَ وأمي يا رسولَ اللهِ! فأَقْرَضَتْه، فقَضى الأعرابيَّ وأطْعَمَهُ. فقال: أوْفَيْتَ أوْفَى اللهُ لكَ. فقال:(أولئكَ خِيارُ الناسِ؛ إنَّه لا قُدِّسَتْ أُمَّةٌ لا يأخذُ الضعيفُ فيها حقَّه غير مُتَعْتَعٍ)(2) .

❁ الموقف التاسع: هل تصبر احتسابًا أم تضجر؟

عَنْ حَارِثَةَ بْنِ مُضَرِّبٍ، قَالَ: أَتَيْنَا خَبَّابًا، نَعُودُهُ وَقَدْ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: لَقَدْ تَطَاوَلَ مَرَضِي، وَلَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:(لَا تَمَنَّوْا المَوْتَ)، لَتَمَنَّيْتُ وَقَالَ:(يُؤْجَرُ الرَّجُلُ فِي نَفَقَتِهِ كُلِّهَا إِلَّا التُّرَابَ)أَوْ قَالَ:(فِي البِنَاءِ)(3) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:(لا يموتُ لأَحدٍ مِنَ المسلمينَ ثلاثَةٌ مِنَ الوَلَد فتَمسَّه النارُ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ)(4).

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٥٨) حديث رقم (١٨١٨)، وقوله (غير متعتَع) أي غير مُترَدَّدٍ فيه.

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٣٥٨٣٥٩) حديث رقم (١٨١٨).

(3) رواه الترمذي حديث رقم (٢٤٣٨)، وصحَّحه الألباني.

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٤٠) حديث رقم (١٩٩٤)، وقوله (إلا تحِلَّة القَسَم) إشارة إلى قوله تعالي: (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يموتُ بينهُما ثلاثةٌ مِنَ الولَدِ لمْ يَبْلُغوا الحِنْثَ؛ إلا أدْخلَهُما اللُّه الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إيَّاهُمْ)[1] .

وعن معاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يُتَوَفَّى لَهُمَا ثَلَاثَةٌ إِلَّا أَدْخَلَهُمَا اللهُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمَا). فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَوِ اثْنَانِ؟ قَالَ: (أَوِ اثْنَانِ). قَالُوا: أَوْ وَاحِدٌ؟ قَالَ: (أَوْ وَاحِدٌ)، ثُمَّ قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ السِّقْطَ لَيَجُرُّ أُمَّهُ بِسَرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ إِذَا احْتَسَبَتْهُ)[2].

وعن قُرَّةَ بْنِ إياسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً كان يأتي النبيَّ ﷺ ومعه ابنٌ له، فقال النبيُّ ﷺ: (أتُحِبُّه؟). قال: نعم يا رسولَ اللهِ! أحبَّك اللهُ كما أُحِبُّه. فَفَقدهُ النبيُّ ﷺ فقال: (ما فَعَلَ ابْنُ فلانٍ)؟ قالوا: يا رسولَ اللهِ! ماتَ، فقال النبيُّ ﷺ لأَبيهِ: (ألا تُحِبُّ أنْ لا تأتيَ باباً مِنْ أبْوابِ الجنَّةِ إلا وَجَدْتَهُ ينْتَظِرُكَ؟)، فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! ألَه خاصَّةً، أم لِكُلِّنا؟ قال: (بل لِكُلِّكُمْ)[3]

وفي رواية:

كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَفِيهِمْ رَجُلٌ لَهُ ابْنٌ صَغِيرٌ يَأْتِيهِ مِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ، فَيُقْعِدُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَهَلَكَ فَامْتَنَعَ الرَّجُلُ أَنْ يَحْضُرَ الْحَلْقَةَ لِذِكْرِ ابْنِهِ، فَحَزِنَ عَلَيْهِ، فَفَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: (مَالِي لَا أَرَى فُلَانًا؟) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، بُنَيُّهُ الَّذِي رَأَيْتَهُ هَلَكَ، فَلَقِيَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلَهُ عَنْ بُنَيِّهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ هَلَكَ، فَعَزَّاهُ عَلَيْهِ،

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ (٢/ ٤٤١٠٤٤٠) حديث رقم (١٩٩٥).

(2) رواه أحمد في مسنده حديث رقم (٢٢٠٩٠)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ (٢/ ٤٤٥) حديث رقم (٢٠٠٧).

ثُمَّ قَالَ:(يَا فُلَانُ، أَيُّمَا كَانَ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ تَمَتَّعَ بِهِ عُمُرَكَ، أَوْ لَا تَأْتِي غَدًا إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ قَدْ سَبَقَكَ إِلَيْهِ يَفْتَحُهُ لَكَ)، قَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، بَلْ يَسْبِقُنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُهَا لِي لَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ:(فَذَاكَ لَكَ)(1) .

❁ الموقف العاشر: أتختار الإيمان أم الخَلْوَة بامرأة؟

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أنَّ رسول الله ﷺ قال:(لا يخْلُوَنَّ أَحَدُكُم بِامْرأةٍ إلا مَعَ ذي مَحْرَمٍ)(2).

وعنه أيضًا عن النبيَّ ﷺ:(ومَنْ كان يؤمِنُ بالله واليومِ الآخر فلا يخْلُوَنَّ بامْرأةٍ ليسَ بينَهُ وبينها مَحْرَمٌ)(3) .

❁ الموقف الحادي عش: أتختار المرأة الدِّيِّنَة أم ...؟!

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال:(تُنْكَحُ المرأةُ لأَربعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، ولِجَمالِها، ولِدِينِها(4)، فاظْفَرْ(5) بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ(6) يداكَ)(7) .

(1) رواه النسائي حديث رقم (٢٠٨٨)، وصحَّحه الألباني.

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٠١) حديث رقم (١٩٠٩).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٠١) حديث رقم (١٩٠٩).

(4) تُنكَح المرأةُ لأربع: أي أنَّ الناس يراعون هذه الخصال في المرأة ويرغبون فيها لأجلها، ولم يردِ الحض على مراعاتها. و(الحسب): شرف الآباء، أو حسن الأفعال.

(5) فاظفر: فاطلب أيها المسترشد ذات الدين حتى تفوز بها، وتكون محصلًا بها غاية المطلوب.

(6) تَرِبَتْ يداك: كلمة معناها الحث والتحريض، وقيل: هي هنا دعاء عليه بالفقر (إذا افتقر فلصق بالتراب). وقيل: بكثرة المال، واللفظ مشترك بينهما قابل لكل منهما؛ والآخر هنا أظهر، ومعناه: اظفر بذات الدين ولا تلتفت إلى المال أكثر الله مالك.

(7) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٠٦) حديث رقم (١٩٢٠).

❁ **الموقف الثاني عشر: أتميل لأم العيال .. أم للجديدة .. أم تختار العدل بينهما؟**

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال:(مَنْ كانَتْ عندَهُ امْرأَتانِ فَلَمْ يَعْدِلْ بينهما؛ جاءَ يومَ القِيامةِ وشِقُّه ساقِطٌ)[1].

❁ **الموقف الثالث عشر: أتهدي لأهلك قبل نفسك؟!**

مرَّ عثمانُ بنُ عفَّانَ أو عبد الرحمن بن عوف بِمِرْطٍ[2]، واسْتَغْلاه، قال: فمُرَّ به على عمرِو بنِ أميَّةَ فاشْتَراه، فكَساه امْرأتَه سُخَيْلَةَ بنْتَ عُبَيْدة بنِ الحارِثِ بْنِ المطَّلِبِ، فمرَّ بِهِ عثمانُ أو عبدُ الرحمنِ فقال: ما فَعلَ المِرْطُ الذي ابْتَعْتَ؟ قال عَمْرو: تَصدَّقْتُ به على سُخَيْلَةَ بنتِ عُبَيْدَةَ، فقال: إنَّ كلَّ ما صَنَعْتَ إلى أهلِكَ صدَقَةٌ؟ فقال عَمرٌو: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ ذلك. فذكرَ ما قال عَمْرٌو لِرسولِ الله ﷺ؛ فقال: صَدق عَمْرٌو، كلُّ ما صَنعْتَ إلى أهلِك؛ فهو صدَقَةٌ علَيْهِمْ)[3].

❁ **الموقف الرابع عشر: أَتُقَدِّمُ ولدك على نفسك؟!**

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاءَتْني مِسكينَةٌ تَحْمِلِ ابْنَتَيْنِ لهَا، فأطْعَمْتُها ثلاثَ تَمْراتٍ، فأعْطَتْ كلَّ واحدةٍ منها تَمْرةً، ورَفَعتْ إلى فيها تَمْرةً لتأْكلَها، فاسْتَطْعَمَتْها ابْنتاها، فشَقَّتِ التَمْرةَ التي كانتْ تريدُ أنْ تأْكُلَها بينهما، فأعْجبَني شأْنُها، فذكرتُ الذي صَنعَتْ لِرسولِ اللهِ ﷺ، فقال:(إنَّ اللهَ قد أوجَبَ لها بهما الجنَّةَ، أوْ أعْتَقَها

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٢٠) حديث رقم (١٩٤٩).

(2) المِرط بكسر الميم: كساء من صوف أو خز يؤتزر به.

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٢٥) حديث رقم (١٩٦٢).

بِهِما مِنَ النارِ)[1] .

وعن عَوْفِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:(ما مِنْ مسلم يكونُ له ثلاثُ بناتٍ فينفقُ عليهنَّ حتى يَبِنَّ أو يَمُتْنَ؛ إلا كُنَّ له حِجاباً مِنَ النارِ). فقالتْ له امْرأَةٌ: أَوْ بِنْتانِ؟ قال:(أَوْ بِنْتانِ)[2] .

❁ الموقف الخامس عشر: أتتزيَّن بالدعاوى أم ترضى بما قسم الله لك؟

عن سَعْدِ بْنِ أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال:(مَن ادَّعى إلى غيرِ أبيهِ وهو يعلَمُ أنَّه غيرُ أبيهِ؛ فالجنَّةُ عليه حرَامٌ)[3] .

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول:(ليسَ مِنْ رجلٍ ادّعَى لغيرِ أبيهِ وهو يعلَمُ؛ إلاَّ كَفَر، ومَنِ ادَّعى ما ليسَ له؛ فليسَ منَّا، ولْيَتبوَّأْ مقْعَدَهُ مِنَ النارِ، ومَنْ دَعا رجلاً بالكُفْرِ، أو قال: عَدُوَّ اللهِ! وليسَ كذلك؛ إلا حارَ[4] عليهِ)[5] .

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:(مَنِ ادّعى إلى غيرِ أبيهِ أو انْتَمى إلى غير مواليهِ، فعليه لعنةُ اللهِ المتَتَابِعَةِ إلى يومِ القِيامَةِ)[6].

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٢٨) حديث رقم (١٩٦٩).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٢٩) حديث رقم (١٩٧٢).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٣٦) حديث رقم (١٩٨٤).
(4) حار: بالحاء المهملة والراء، أي: رَجَعَ عليه ما قال.
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٣٦) حديث رقم (١٩٨٥).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٣٨) حديث رقم (١٩٩٠).

❁ الموقف السادس عشر: أتصبرين وتحتسبين أم تطيعين الشيطان نعوذ بالله منه؟!

عن ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: (أيُّما امْرأةٍ سألتْ زوجَها طلاقَها مِنْ غيرِ ما بأسٍ؛ فحرامٌ عليها رائحةُ الجنَّةِ)[1] .

❁ الموقف السابع عشر: أتختارين ثناء الناس أم مرضاة الله؟!

عن موسى بن يسارٍ قال: مرَّتْ بأبي هريرةَ امرأةٌ وريحُها تَعصِفُ. فقال لها: أينَ تُريدين يا أمَةَ الجبَّارِ؟ قالتْ: إلى المسجدِ، قال: وتطَيَّبْتِ؟ قالتْ: نعم، قال: فارْجِعي فاغْتَسلِي، فإنَّني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:(لا يقبَلُ اللهُ مِنِ امرأةٍ صلاةً خرجَتْ إلى المسجِد وريحُها تعْصِفُ حتى ترجعَ فتَغْتَسِلَ)[2] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (أيُّما امْرَأةٍ أصابَتْ بَخُوراً فلا تَشهدَنَّ معَنا العِشَاءَ قال ابن نفيل: الآخِرَةَ)[3] .

❁ الموقف الثامن عشر: استغن عنهما في الدنيا يكونا نصيبك في الآخرة

عن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (مَنْ لَبِسَ الحريرَ في الدنيا؛ لَم يَلْبَسْه في الآخِرَة، ومَنْ شَرِبَ الخمرَ في الدنيا؛ لَمْ يشْرَبهُ في الآخِرَة، ومَنْ شرِبَ في آنيةِ الذهبِ والفِضَّةِ؛ لَمْ يشرب بِها في الآخِرةِ ثم قال: لباسُ أهْلِ الجنَّةِ، وشرابُ أهلِ

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٥٠) حديث رقم (٢٠١٨).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٥١) حديث رقم (٢٠٢٠).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٥٢) حديث رقم (٢٠٢١).

الجنَّة، وآنِيةُ أهلِ الجنَّةِ)[1] .

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (قال الله عزَّ وجلَّ: مَنْ تركَ الخمرَ وَهُوَ يقدِرُ عليه؛ لأُسْقِينَّه مِنهُ في حَظيرَةِ القُدُسِ[2]، ومَنْ تَركَ الحَرير وهو يقدِرُ عليهِ؛ لأَكْسونَّهُ إيَّاهُ في حَظيرَةِ القُدُسِ)[3] .

❁ الموقف التاسع عشر: رحمة رسول الله ﷺ وإلا فَلَعْنَتُهُ

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (لعنَ رسولُ الله ﷺ المتشبِّهينَ مِنَ الرجالِ بالنساءِ، والمتشبِّهاتِ مِنَ النساءِ بالرجالِ)[4].وفي رواية للبخاري: (لَعنَ رسولُ الله ﷺ المخنَّثينَ[5] مِنَ الرِجالِ، والمترَجِّلاتِ مِنَ النساءِ)[6]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (لَعنَ رسولُ الله ﷺ الرجلَ يلبَسُ لُبسةَ المْرأَةِ، والمرأَةَ تلبَسُ لُبسَةَ الرجلِ)[7] .

وعن عمار بن ياسرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال:(ثَلاثَةٌ لا يَدْخُلونَ الجنَّةَ أبَداً: الدَّيُّوثُ، والرَّجِلَةُ مِنَ النساءِ، ومُدْمِنُ الخَمْرِ). قالوا: يا رسولَ اللهِ! أما مُدمنُ الخمرِ فقدْ عرَفْناه، فما الديُّوثُ؟ قال:(الذي لا يُبالي مَنْ دَخلَ على أهْلِهِ). قلنا: فما الرَّجِلَةُ مِنَ النساءِ؟ قال:(التي تَشَبَّهُ بالرجالِ)[8]

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٦٥) حديث رقم (٢٠٥٠).
(2) (الحظيرة) في الأصل: الموضع الذي يُحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل؛ يقيها الحر والبرد. أراد بها هنا الجنة.
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٠) حديث رقم (٢٠٦٤).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٢) حديث رقم (٢٠٦٨).
(5) (المخنَّث) بفتح النون وكسرها: مَنْ فيه انخناث، وهو التَّكَسُّرُ والتَّثَنِّي كما يفعله النساء، لا الذي يأتي الفاحشة الكبرى.
(6) رواه البخاري حديث رقم (٥٨٨٦).
(7) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٢) حديث رقم (٢٠٦٩).
(8) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٣) حديث رقم (٢٠٧١).

❁ الموقف العشرون: اختر التواضع دائمًا

عن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (مَنْ تركَ اللباسَ تواضُعاً للهِ وهو يقدِرُ عليه؛ دعاهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ على رُؤُوسِ الخلائقِ حتى يخيِّرَهُ مِنْ أيِّ حُلَلِ الإيمانِ شاءَ يَلْبَسُها)[1].

وعن أبي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخلتُ على عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فأخرجَتْ إلينا كساءً مُلَبَّداً[2] مِنَ التي تُسمُّونَها الملبَّدة؛ إزاراً غليظاً ممَّا يُصنَعُ باليَمنِ، وأقْسمَتْ بالله لقد قُبِضَ رسولُ الله ﷺ في هذين الثوبَيْنِ[3].

وعن أنسٍ قال: رأيتُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يومَئذٍ أميرُ المؤمنينَ وقد رَقَّع بينَ كَتِفَيْهِ بِرِقَاعٍ ثَلاثٍ، لَبَّدَ بَعْضَها على بعْضٍ[4].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يرفعه قال: (مَنْ لَبِسَ ثوبَ شُهْرةٍ؛ أَلْبَسهُ اللهُ إيَّاهُ يومَ القِيامَةِ، ثمَّ ألْهَبَ فيهِ النارَ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فهو مِنْهُمْ)[5].

وعن أبي هريرة؛ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (لا تَنْتُفوا الشيْبَ؛ فإنَّه نورٌ يومَ القِيامَةِ، مَنْ شابَ شيْبَةً؛ كتبَ اللهُ له بها حَسنَةً، وحَطَّ عنه بها خَطيئةً، ورفَعَ لهُ بِها درجَةً)[6].

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٤) حديث رقم (٢٠٧٢).
(2) الملبَّد: المُرَقَّع، وقيل غير ذلك.
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٥) حديث رقم (٢٠٧٥).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٧) حديث رقم (٢٠٨٢).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٧٩) حديث رقم (٢٠٨٩).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٨٢) حديث رقم (٢٠٩٦).

❁ الموقف الحادي والعشرون: ما أَقْفَرَ بَيْتٌ من أُدْمٍ فيه خَلّ

عن جابر رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ سأل أهلَه الأُدُمَ، فقالوا: ما عندَنا إلا الخَلُّ، فدعا به فجعَل يأكُلُ بِه ويقول:(نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ، نِعْمَ الإدامُ الخَلُّ). قال جابرٌ: فما زِلتُ أُحِبُّ الخَلَّ منذُ سمعتُها مِنَ نبيِّ اللهِ ﷺ . قال طلحة بن نافع: وما زِلتُ أُحِبُّ الخَلَّ منذُ سمعتُها مِنْ جابرٍ[1] .

وعن أمِّ هانئٍ بِنتِ أبي طالب رضي الله عنها قالت: دخَل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: هلْ عندكُم مِنْ شيْءٍ؟ فقلتُ: لا، إلا كِسَرٌ يابِسَةٌ وخَلٌّ. فقال النبيُّ ﷺ: (قَرِّبيهِ، فما أَقْفَرَ[2] بيتٌ مِنْ أُدْمٍ فيهِ خَلٌّ)[3] .

❁ الموقف الثاني والعشرون: الاجتماع على الطعام

عن وَحْشِيِّ بنِ حربِ بنِ وحشيِّ بن حربٍ عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسولَ اللهِ! إنا نأْكُلُ ولا نَشْبَعُ؟ قال: (تَجْتَمِعونَ على طَعَامِكُمْ أوْ تَتَفَرَّقُونَ؟). قالوا: نَتفَرَّقُ. قال: (اجْتَمِعوا على طعامِكُم، واذْكروا اسْمَ اللهِ؛ يُبَارَكْ لكُم فيهِ)[4].

وعن المقدامِ بْنِ مَعْدِ يكرِبٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:(ما مَلأَ آدمِيٌّ وعاءً شرّاً مِنْ بطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدمَ أُكَيْلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإنْ كانَ لا مَحالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعامِهِ، وثُلُثٌ لِشرابِهِ، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[5] .

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٩٧) حديث رقم (٢١٢٤).

(2) (فما أقفر) أي: ما خلا، و(القَفَارُ): الطعام بلا أُدْم.

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٩٧) حديث رقم (٢١٢٥).

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٤٩٩) حديث رقم (٢١٢٨).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٠٢) حديث رقم (٢١٣٥).

وعن أبي جُحَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أكلتُ ثَريدَةً مِنْ خُبزٍ ولَحْمٍ ثُمَّ أتيتُ النبيَّ ﷺ فجعلتُ أتَجَشَّأُ. فقال: (يا هذا! كُفَّ مِنْ جُشائِكَ، فإنَّ أكْثَرَ الناسِ شِبَعاً في الدنيا؛ أكثَرُهُم جُوعاً يومَ القِيامَةِ)[1].

وعن معاذِ بْنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ لمَّا بعَثَ به إلى أهْلِ اليَمنِ قال له: (إيَّاك والتَّنَعُّمَ؛ فإنَّ عبادَ اللهِ ليْسُوا بالمتَنَعِّمينَ)[2].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا دَعا أحدُكم أخاه فَلْيُجِبْ، عُرْساً كانَ أوْ نَحْوَهُ)[3].

وفي رواية لمسلم: (إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى كُرَاعٍ، فَأَجِيبُوا)[4].

❁ الموقف الثالث والعشرون: لو ألجأك الموقف للتفحُش فهل تختار الحياء؟

عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على رجلٍ مِن الأنصارِ وهو يعِظُ أخاه في الحَياء، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (دَعْهُ فإنَّ الحياءَ مِنَ الإيمانِ)[5].

ورُوي عن قُرَّةَ بنِ إيَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنا عند النبي ﷺ فذُكِرَ عنده الحياءُ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ! الحياءُ من الدين؟ فقال رسول الله ﷺ: (بل هو الدِّينُ كلُّه). ثم قال رسول الله ﷺ: (إن الحياءَ والعفافَ والعِيَّ عيَّ اللسانِ، لا عيَّ القلبِ، والفقهَ من

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٠٢) حديث رقم (٢١٣٦).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٠٥) حديث رقم (٢١٤٦).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٠٨) حديث رقم (٢١٥٤).
(4) رواه مسلم حديث رقم (١٤٢٩).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣) حديث رقم (٢٦٣٥).

الإيمانِ، وإنهنَّ يزِدْنَ في الآخرةِ، وَينْقُصْنَ من الدنيا، وما يَزِدْنَ في الآخرةِ أكثرُ مما يَنقُصْنَ من الدنيا. وإنّ الشُّحَّ والعَجْزَ والبَذَاءَ من النفاقِ، وإنهنَّ يَزِدْنَ في الدنيا، وَينْقُصْنَ من الآخرة، وما يَنْقُصْنَ من الآخرةِ أكثر مما يَزِدْنَ من الدنيا)[1].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (ما كانَ الفُحْشُ في شيْءٍ إلا شانَهُ، وما كانَ الحَياءُ في شيْءٍ إلا زانَهُ)[2] .

❁ الموقف الرابع والعشرون: هل تستطيع أن لا تختار إلا ما اختاره رسول الله ﷺ ؟

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما خُيِّرَ رسولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أمْرَيْنِ قَطُّ، إلا أَخَذ أيْسَرَهُما ما لَمْ يكُنْ إثْماً، فإنْ كانَ ثَمَّ إثْمٌ، كانَ أبْعَدَ الناسِ مِنْه، وما انْتَقَمَ رسولُ اللهِ ﷺ لِنفْسِه في شيْءٍ قَطُّ، إلا أَنْ تُنْتَهكَ حُرمَةُ اللهِ فيَنْتَقِمُ للهِ تَعالى[3] .

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: (إنَّ المؤمِنَ إذا لَقِيَ المؤمِنَ فسلَّمَ عليه، وأخَذَ بيدِه فصافَحَهُ؛ تناثَرتْ خطاياهُما كما يتَناثَرُ ورَقُ الشَّجَرِ)[4].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا ماتَ ولدُ العبدِ قال اللهُ تعالى لملائكته: قبضتُم ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقولُ: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حَمِدَكَ واسْتَرْجَعَ، فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة،

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٤٥) حديث رقم (٢٦٣٠).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٦) حديث رقم (٢٦٣٥).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٧) حديث رقم (٢٦٧٥).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٢) حديث رقم (٢٧٢٠).

وسَمُّوه بَيْتَ الحَمْدِ)[1].

❁ الموقف الخامس والعشرون: هذا ما يحبه الله، وذاك من الشيطان نعوذ بالله منه فماذا تختار؟

عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ أمْشي معَ رَسولِ اللهِ ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانِيٌّ غَليظُ الحاشِيَةِ، فأدْرَكَهُ أعْرابِيٌّ، فجذَبَهُ بِرِدَائِهِ جَذْبةً شديدةً، فنَظَرْتُ إلى صفْحَة عُنُقِ رسولِ اللهِ ﷺ، وقد أثّر بها حاشِيَةُ الرِداءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِه، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّد مُرْ لي مِنْ مالِ اللهِ الذي عِنْدَك، فالْتَفَتَ إليْه فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَر له بعَطَاءٍ[2].

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: (التأَنِّي منَ اللهِ والعَجَلَةُ مِنَ الشيْطانِ، وما أحَدٌ أكثرُ معاذيرَ مِنَ اللهِ، وما مِنْ شيءٍ أحبُّ إلى اللهِ مِنَ الحَمْدِ)[3].

❁ الموقف السادس والعشرون: مَنْ يملك نفسه عند الغضب يتقدَّم

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ)[4].

وَعَنْ أَبِي جُرَيٍّ الْهُجَيْمِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَعَلِّمْنَا شَيْئًا يَنْفَعُنَا اللهُ بِهِ، فقَالَ:(لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٦٧) حديث رقم (٣٤٩١).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨) حديث رقم (٢٦٧٩).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨) حديث رقم (٢٦٧٧).
(4) رواه البخاري حديث رقم (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْـمُسْتَسْقِي وَلَوْ أَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَوَجْهُكَ إِلَيْهِ مُنْبَسِطٌ وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْـمَخِيلَةِ، وَلَا يُحِبُّهَا اللهُ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تَشْتُمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ؛ فَإِنَّ أَجْرَهُ لَكَ، وَوَبَالَهُ عَلَى مَنْ قاله)[1].

وفي رواية: فقال:(لَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَأْتِيَهُ، وَلَوْ أَنْ تَهِبَ صِلَةَ الْحَبْلِ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْـمُسْتَسْقِي، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ الْـمُسْلِمَ وَوَجْهُكَ بَسْطٌ إِلَيْهِ، وَلَوْ أَنْ تُؤْنِسَ الْوُحْشَانَ بِنَفْسِكَ، وَلَوْ أَنْ تَهَبَ الشِّسْعَ[2])[3] .

❁ الموقف السابع والعشرون: مع أي الاثنين أنت؟

عن سليمان بن صُرَدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: اسْتَبَّ رجلانِ عند النبيِّ ﷺ، فجعَل أحدُهما يَغْضَبُ وَيحْمَرُّ وجْهُه، وتنْتَفِخُ أوْداجُه، فنظَر إليه النبيُّ ﷺ فقال:(إنِّي لأعْلَمُ كَلِمةً لوْ قالَها لذَهَب ذا عنهُ؛ (أعوذُ باللهِ مِنَ الشيْطانِ الرَجيم)، فقامَ إلى الرجلِ رجلٌ مِمَّنْ سمعَ النبيَّ ﷺ فقال: هل تدْري ما قالَهُ رسولُ اللهِ ﷺ آنِفاً؟ قال: لا، قال:(إنِّي لأَعْلَمُ كَلِمةً لو قالَها لَذهَب ذا عنه؛ (أعوذُ بالله مِنَ الشيْطانِ الرجيم) فقال له الرجلُ: أمَجْنوناً تَراني؟ [4]

وعن هشامِ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (لا يَحِلُّ لمسْلمٍ أنْ يَهْجُرَ مسلِماً فوْقَ ثلاثِ لَيالٍ، فإنَّهُما ناكِبانِ عنِ الحقِّ ما داما على

(1) رواه ابن حِبَّان حديث رقم (٥٢٢)، وصحَّحه الألباني.

(2) الشِّسْع: أحد سيور النعل، وهو الذي يُدخَلُ بين الإصبعين، ويُدخَلُ طَرَفُه في الثقب الذي في صدر النعل المشدود في الزمام.

(3) السنن الكبرى للنسائي حديث رقم (٩٦١٤)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٤٨) حديث رقم (٢٧٥٤).

صِرامِهِمـا[1]، وأَوَّلُهمـا فَيْئـاً يكـونُ سَـبْقُه بالْفَـيءِ كَفـارَةً لـه، وإنْ سـلَّم فلَـمْ يَقْبَـلْ ورَدَّ عليـه سـلامَهُ؛ ردَّتْ عليـهِ الملائكـةُ، وردَّ علـى الآخَـرِ الشـيطانُ، فـإنْ ماتـا علـى صِرامِهمـا؛ لَـمْ يدخُـلا الجنَّـة جميعـاً أبـداً)[2].

وعن عِياضِ بنِ حمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا نبيَّ اللهِ! الرجلُ يَشْتُمُني وهُوَ دوني، أعَليَّ مِنْ بأْسٍ أَنْ أنْتَصِرَ منه؟ قال: (المسْتَبَّانِ شيْطانانِ يتَهاتَرانِ، ويَتكاذَبانِ)[3].

وعن أبي جُرَيٍّ جابر بن سليم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: رأيتُ رجلاً يصْدُرُ الناسُ عنْ رأْيِه، لا يقولُ شيْئاً إلا صَدَرُوا عنه، قلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: رسولُ اللهِ ﷺ، قلتُ: عليكَ السلامُ يا رسولَ اللهِ! قال:(لا تَقُلْ: عليكَ السلامُ، فإنَّ (عليكَ السلامُ) تَحيَّةُ الميِّتِ، قُلْ: السلامُ عَلَيْكَ)، قال: قلتُ: أنتَ رسولُ اللهِ؟ قال:(أنا رسولُ اللهِ الذي إذا أصابَك ضُرٌّ فدعوتَهُ؛ كَشف عنكَ، وإنْ أصابَك عَامُ سَنَةٍ[4] فدعَوْتَه؛ أَنْبَتَها لك، وإذا كنْتَ بأرضٍ قَفْرٍ أو فلاةٍ، فَضَلَّتْ راحِلَتُك، فَدَعَوْتَه؛ ردَّها عليك)، قال: قلتُ: اعْهدْ إليَّ، قال:(لا تَسُبَّنَّ أَحَداً)، قال: فما سَبَبْتُ بعده حُرّاً ولا عبداً، ولا بعيراً ولا شاةً، قال:(ولا تَحْقِرَنَّ شيئاً مِنَ المعروفِ، وأنْ تُكلِّم أخاك وأنْتَ مُنْبَسِطٌ إليه وجْهُكَ؛ إنَّ ذلك مِنَ المعروفِ، وارْفَعْ إزارَك إلى نِصْفِ الساقِ، فإنْ أَبيْتَ فإلى الكعْبينِ، وإيَّاك وإسْبالَ الإِزار، فإنَّها مِنَ المَخِيلَة[5]، وإنَّ اللهَ لا يحبُّ المَخِيلَةَ، وإنِ امْرُؤٌ شَتَمك وعَيَّرَكَ بما يعْلَمُ فيك، فلا تُعَيِّرْهُ بما تَعْلَمُ فيه، فإنَّما وبالُ ذلِكَ عليهِ)[6].

(1) الصِّرام: المقاطعة والهجران.

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٥٠) حديث رقم (٢٧٥٩).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٥٧) حديث رقم (٢٧٨١).

(4) السَّنة: هي العام المقحط الذي لم تنبت الأرض فيه شيئاً، سواء أنزل غيث أو لم ينزل.

(5) المخيلة: بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة من (الاختيال): وهو الكبر واستحقار الناس.

(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٥٨) حديث رقم (٢٧٨٢).

وعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي بَكْرٍ وَهُوَ يَلْعَنُ بَعْضَ رَقِيقِهِ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (لَعَّانِينَ وَصِدِّيقِينَ؟ كَلَّا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ(قَالَ: فَأَعْتَقَ أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ بَعْضَ رَقِيقِهِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: لَا أَعُودُ[1].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ ديكاً صرَخ قريباً مِنْ رسولِ اللهِ ﷺ، فقال رجلٌ: اللهمَّ الْعَنْهُ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَهْ! كَلَّا، إنَّه يدْعو إلى الصَّلاةِ)[2].

وعن ابْنِ عبَّاسٍ رضيَ الله عنهما أنَّ رجُلاً لعنَ الريحَ عند رسولِ اللهِ ﷺ، فقال: (لا تلْعَنِ الريحَ؛ فإنَّها مأمورَةٌ، مَنْ لَعنَ شيْئاً ليسَ له بأهْلٍ؛ رجعَتِ اللعْنَةُ عليهِ)[3].

وعن النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنَّا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في مسيرٍ، فَخفَقَ رجلٌ[4] على راحِلَتِه، فأخذَ رجلٌ سَهْماً مِنْ كِنانَتِه، فانْتَبه الرجلُ فَفزِعَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (لا يَحِلُّ لرجلٍ أنْ يُرَوِّعَ مسْلِماً)[5].

وعن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ: (ليسَ شيءٌ أحبَّ إلى اللهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وأثرَيْنِ: قطْرةِ دموعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وقطْرةِ دَمٍ تُهرَاقُ في سبيلِ اللهِ، وأمَّا الأثرانِ: فأَثَرٌ في سبيلِ اللهِ، وأَثَرٌ في فريضَةٍ مِنْ فرائضِ اللهِ)[6].

---

(1) رواه البيهقي في شعب الإيمان حديث رقم (٤٧٩١)، وصحَّحه الألباني.

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٦٣) حديث رقم (٢٧٩٩).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٦٣) حديث رقم (٢٨٠٠).

(4) خفق الرجل: إذا حرك رأسه وهو ناعس.

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٦٧) حديث رقم (٢٨٠٦).

(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٠١) حديث رقم (٣٣٢٧).

❁ الموقف الثامن والعشرون: هل تُضْحِكُ الآخَرِين أم تتَّبع سُنَّة سيد المرسلين ﷺ؟

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبي لَيلَى قال: حدَّثنا أصْحابُ محمَّدٍ ﷺ: أنَّهم كانوا يسيرون معَ النبيِّ ﷺ، فنامَ رجلٌ منهم، فانْطَلق بعضُهم إلى حَبْلٍ معه فأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ:(لا يحلُّ لمسلمٍ أنْ يُرَوِّعَ مسْلِماً)[1] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:(لا يُشِرْ أحدُكم إلى أخيه بالسِّلاحِ؛ فإنَّه لا يَدْري لعلَّ الشيْطانَ يَنْزِعُ[2] في يَدِه فيَقَعُ في حُفْرَةٍ مِنَ النارِ)[3].

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:(ألا هل عسى رجلٌ منكم أنْ يتكلَّم بالكَلِمَةِ يُضْحِكُ بها القوْمَ؛ فيَسْقُطُ بها أبْعدَ منَ السماءِ، ألا عَسى رجلٌ يتكلَّمُ بالكَلِمَةِ يُضحِكُ بها أصْحابَه؛ فيَسْخَطُ اللهُ بها عليهِ؛ لا يَرْضَى عنه حَتَّى يُدْخِلَهُ النارَ)[4] .

❁ الموقف التاسع والعشرون: الموقف الأحب إلى الله ورسوله ﷺ؛ وجاءت الفرصة لسبق الأقران

عن أبي أيوبَ قال: قال لي رسولُ اللهِ ﷺ:(يا أبا أيّوب! ألا أَدُلُّكَ على صدَقةٍ يُحِبُّها اللهُ ورسولُه؟ تُصْلِحُ بينَ الناسِ إذا تَباغَضُوا وتفَاسَدوا)[5] .

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٦٧) حديث رقم (٢٨٠٥).

(2) (يَنْزِع) بالعين المهملة وكسر الزاي؛ أي: يرمي، وروي بالمعجمة مع فتح الزاي (ينزغ)، ومعناه أيضاً يرمي ويفسد، وأصل النزع الطعن والفساد.

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٦٨) حديث رقم (٢٨٠٩).

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٩٥) حديث رقم (٢٨٧٧).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٧٢) حديث رقم (٢٨٢٠).

عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: سألت رسولَ اللهِ ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى اللهِ؟ قال:(الصلاةُ على وقْتِها)، قلتُ: ثُمَّ أيّ؟

قال:(بِرُّ الوالِدَيْنِ)، قلتُ: ثُمَّ أيّ؟ قال:(الجهادُ في سبيلِ الله)[1] .

وعن مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو الْقُشَيْرِيِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:(مَنْ أعتقَ رقَبَةً مسلمةً؛ فهِيَ فِدَاؤُهُ مِنَ النارِ، ومَنْ أدْرَكَ أحدَ والديه ثُمَّ لَمْ يُغْفَرْ له؛ فأبعَدَهُ اللهُ)[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:(وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ(قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:(الْجَارُ لَا يَأْمَنُ جَارُه بَوَائِقَهُ)، قَالُوا: وَمَا بَوَائِقُهُ؟ قَالَ:(شَرُّهُ)[3] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ فلانةَ يُذْكَرُ مِنْ كثرةِ صلاتِها وصدَقَتِها وصِيامِها، غيرَ أنَّها تُؤذي جيرانَها بِلِسانِها. قال:(هيَ في النارِ). قال: يا رسولَ اللهِ! فإنَّ فلانَةَ يُذكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيامِها وصَدَقتها وصَلاتِها، وأنَّها تَتصدَّقُ بالأَثْوَارِ[4] مِنَ الأَقِطِ[5]، ولا تُؤْذي جِيرَانَها بِلِسَانِهَا. قال:(هي في الجَنَّةِ)[6] .

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٤٧) حديث رقم (٢٤٧٨).

(2) رواه أحمد في مسنده حديث رقم (١٩٠٣٠)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(3) رواه أحمد حديث رقم (١٦٣٧٢)، وصحَّحه الألباني.

(4) (الأثوار) بالمثلثةِ جمع (ثَوْر): وهي القطعة من الأقط.

(5) (الأَقِطُ) بفتح الهمزة وكسر القاف وبضمها أيضاً وبكسر الهمزة والقاف معاً وبفتحها: لَبَنٌ مِنَ الغَنَمِ مُحَمَّضٌ يُجَمَّدُ حتى يَستحجِر ويُطْبَخ، أو يطبخ به.

(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٨٢) حديث رقم (٢٥٦٠).

عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (خَيرُ الأصْحابِ عندَ اللهِ خيرُهم لصاحِبِه، وخيرُ الجِيرانِ عندَ اللهِ خَيرُهم لِجارِه)[1]

❁ الموقف الثلاثون: اختر واضمن بإذن الله

عن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ يَضْمَنْ لي[2] ما بَيْنَ لَحْيَيْهِ[3] وما بين رِجْلَيْهِ[4]؛ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ)[5].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (لا يَسْتقيمُ إيمانُ عبدٍ حتى يَسْتَقيمَ قَلْبُه، ولا يَسْتَقيمُ قَلْبُه حتى يَسْتَقيمَ لِسَانُه، ولا يَدْخُلُ الجنَّةَ رجلٌ لا يأْمَنُ جارُهُ بواِئقَهُ)[6] .

وعن أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءَ رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! أَوْصِنِي. قال:)عليكَ بتقوى اللهِ، فإنَّها جِماعُ كلِّ خيرٍ، وعليك بالجِهادِ في سبيلِ اللهِ، فإنَّها رَهْبانِيَّةُ المسْلِمينَ، وعليك بذِكْرِ اللهِ وتِلاوَةِ كتابِهِ، فإنَّه نورٌ لكَ في الأرضِ، وذِكرٌ لكَ في السماءِ)[7].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (استُشْهِدَ رجلٌ منا يوم أُحُدٍ، فوُجِدَ على بطنه صخرةٌ مربوطةٌ مِنَ الجوعِ، فمسحت أمُّه الترابَ عن وَجْهِهِ وقال: هنيئاً لك يا بُنَيَّ الجنةَ!

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٨٥) حديث رقم (٢٥٦٨).

(2) مَنْ يضمن لي: أي يؤدي الحق الذي عليه.

(3) (لحييه) هو بفتح اللام وسكون الحاء المهملة تثنية (لَحْي)، وهما العظمان في جانبي الفم، والمراد بها بينهما اللسان.

(4) (بين رجليه): الفرج. ولا شك أن أعظم البلاء على الإنسان في الدنيا اللسان والفرج، فمن وُقِيَ من شرهما فقد وقي أعظم الشر. نسأل الله الحماية.

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٨٥) حديث رقم (٢٨٥٦).

(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٨٧) حديث رقم (٢٨٦٥).

(7) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٩٢) حديث رقم (٢٨٦٩).

فقال النبيُّ ﷺ: (ما يُدْرِيكَ؟! لعله كان يَتكَلَّمُ فيما لا يَعْنِيهِ، ويَمْنَعُ ما لا يَضُرُّه)[1].

وعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (أنا زعيمٌ ببيْتٍ في وَسَطِ الجنَّةِ لِمَنْ ترك الكَذِبَ وإنْ كان مازِحاً)[2].

وعن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ يضمَنْ لي ما بينْ لحْييْهِ وما بينَ رِجْلَيْهِ؛ أضْمَنْ لهُ الجنَّةَ)[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (. . . ملعونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لوطٍ، ملعونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لوطٍ، ملعونٌ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لوط، ملعونٌ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، ملعونٌ مَنْ أتى شيئاً من البهائمِ، ملعونٌ مَنْ عَقَّ والديه،. . .، ملعونٌ مَنْ غَيَّرَ حدودَ الأرضِ، ملعونٌ مَنِ ادَّعَى إلى غيرِ مَوَالِيهِ)[4].

وعن أَبي كَبْشَةَ الأَنْمَارِي رضي الله عنه أنَّه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (ثلاثٌ أُقسِمُ عليهِنَّ، وأحدِّثُكُم حديثاً فاحْفَظوه)، قال:(ما نقصَ مالُ عبدٍ مِنْ صدَقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مَظْلَمةٌ صَبَرَ عليها؛ إلا زادَهُ اللهُ عِزّاً، فاعْفوا يُعِزَّكمُ اللهُ، ولا فَتَحَ عبدٌ بابَ مسْألَةٍ؛ إلا فتَحَ اللهُ عليه بابَ فَقْرٍ، أو كلِمةٌ نَحْوُها)[5].

وعن أبي بُرْدَةَ قال: قَدِمْتُ المدينةَ، فأتاني عبدُ اللهِ بنُ عمرَ فقال: أتدْري لِمَ أتَيْتُك؟ قال: قلت: لا، قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:(مَنْ أحبَّ أنْ يَصِلَ أباه

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٩٧) حديث رقم (٢٨٨٣).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٢٢) حديث رقم (٢٩٢٧).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦١٩) حديث رقم (٢٤١٢).

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٢٢) حديث رقم (٢٤٢٠).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٤١) حديث رقم (٢٤٦٣).

في قَبْرِه؛ فلْيَصِلْ إخْوانَ أبيه بَعْدَهُ). وإنَّه كان بين أبي عُمرَ وبينَ أبيك إخاءٌ وَوُدٌّ، فأحْبَبْتُ أنْ أَصِلَ ذلِكَ[1].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (مَنْ أحبَّ أنْ يُبْسطَ له في رِزْقِهِ، ويُنْسَأَ[2] له في أثَرِهِ؛ فلْيَصِلْ رَحِمَهُ)[3].

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عن النبي ﷺ قال: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ تقولُ: مَنْ وَصَلَنِي وصَلَهُ اللهُ، ومَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ)[4].

وعن سهلِ بنِ سعدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (أنا وكافِلُ اليَتيمِ في الجنَّةِ هكذا)، وأشار بالسَّبَّابَةِ والوُسْطَى، وفَرَّجَ بينَهما[5].

وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ يشكو قَسْوَةَ قَلْبِهِ، قال: (أتُحِبُّ أنْ يلينَ قلبُك، وتُدرِكَ حاجتَك؟ ارْحَمِ اليتيمَ، وامسَحْ رَأْسَهُ، وأطْعِمْهُ مِنْ طَعامِك؛ يَلِنْ قلبُكْ، وتُدرِكْ حاجتَك)[6].

❁ الموقف الحادي والثلاثون: مَنْ يختار هذه؟ بل مَنْ يستطيعها؟

عن عبدِ الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قيلَ: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الناسِ أفضَلُ؟ قال:(كلُّ مَخْمومِ القلْبِ، صدوق اللِّسانِ)، قالوا: (صدوقُ اللِّسانِ) نَعْرِفُهُ، فما (مَخْمومُ القَلْبِ)؟ قال: (هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لا إثْمَ فيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَد)[7].

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٥٩) حديث رقم (٢٥٠٦).
(2) (يُنَسَّأ) بضم الياء وتشديد السين المهملة مهموزاً، أي: يُؤَخَّر له في أجله.
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٦٦) حديث رقم (٢٥١٩).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٧٠) حديث رقم (٢٥٢٧).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٧٥) حديث رقم (٢٥٤١).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٧٦) حديث رقم (٢٥٤٤).
(7) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٩٩) حديث رقم (٢٨٨٩).

وعن ابن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (دبَّ إليكم داءُ الأمَمِ قبلَكُم: الحسَدُ والبَغْضاءُ، والبغْضَاءُ هي الحالِقَةُ، أما إنِّي لا أقولُ: تَحلِقُ الشَّعْرَ، ولَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ)(1) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (سبعَةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلِّهِ يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ، وشابٌّ نشأَ في عبادَة اللهِ عزَّ وجلَّ ورجلٌ قلبهُ مُعلَّقٌ بالمساجِدِ، ورجُلانِ تحابَّا في اللِه؛ اجْتَمعا عَليه وتَفرَّقا عليه، ورجلٌ دعَتْهُ امْرأَةٌ ذاتُ مَنْصبٍ وجَمالٍ؛ فقال: إنِّي أخافُ اللهَ، ورجلٌ تصَدَّقَ بِصَدَقةٍ فأخفاها حتَّى لا تعْلَمُ شِمالُه ما تُنْفِقُ يَمينُه، ورجلٌ ذكَرَ اللهَ خالِياً ففاضَتْ عَيْناهُ)(2) .

❁ الموقف الثاني والثلاثون: التّرَفُّع أم التواضع؟!

عن عمرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا أعلَمُه إلا رفَعَهُ قال: (يقولُ اللهُ تبارَك وتعالى: مَنْ تَواضَعَ لي هكذا وجعلَ يزيدُ باطِنَ كَفِّهِ إلى الأرْضِ وأدْناها رفَعْتُه هكذا وجعَل باطِنَ كَفِّهِ إلى السَّماءِ ورفَعَها نَحْوَ السَّماءِ)(3).

وعن طارق قال: خَرجَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشامِ، ومَعَنا أبو عُبَيْدَة، فأَتَوا على مَخاضَةٍ، وعُمَرُ على ناقَةٍ لهُ، فنزَل وخَلعَ خُفَّيْهِ فأمسكهما بِيَدِهِ وأخذ بزِمامِ ناقَتِهِ فخاضَ [بها المخَاضةَ] فقال أبو عُبَيْدَة: يا أميرَ المؤمنينَ! أَأَنْتَ تَفْعَلُ هذا؟ ما يَسُرُّني أنَّ أهْلَ

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٩٩) حديث رقم (٢٨٨٨).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦١٧) حديث رقم (٢٤٠٧).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٠١) حديث رقم (٢٨٩٤).

البلَدِ اسْتَشْرَفوكَ! فقالَ: أَوَّهْ[1] لو يَقُلْ ذا غَيْرُكَ أبا عُبيدَةَ جعَلْتُه نكالًا لأمَّةِ مُحمَّدٍ، إنَّا كنَّا أذلَّ قومٍ فأعَزَّنا اللهُ بالإِسْلامِ، فمهْما نَطْلُبِ العِزَّ بغيرِ ما أعَزَّنا اللهُ به أذَلَّنا اللهُ.[2]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تُعْجِبُه نَفْسُه، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ يَختالُ في مِشْيَتِه، إذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فهو يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ إلى يَوْمِ القِيامَةِ).[3]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوامٌ يفْتَخِرونَ بآبائِهِمُ الَّذين مَاتوا، إنَّما هم فَحْمُ جَهَنَّم، أو لَيَكونُنَّ أهْونَ على اللهِ مِنَ الجُعَلِ[4] الذي يُدَهْدِهُ[5] الخُرْءَ بأنْفِهِ، إنَّ اللهَ قد أذْهَبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهِلِيَّةِ وفَخْرَها بالآباءِ، إنَّما هو مؤمِنٌ تَقِيٌّ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ، الناسُ كلُّهُمْ بنو آدَمَ، وآدَمُ خُلِقَ مِنَ التُّرابِ)[6].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال: (إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أذْهَبَ عنكُم عُبِّيَّةَ[7] الجاهِلِيَّةِ وفَخْرَها بالآباءِ، الناسُ بَنو آدَمَ، وآدَمُ مِنْ تُرابٍ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وفاجِرٌ شَقِيٌّ، لَينتَهُنَّ أقْوامٌ يَفْتَخِرونَ برجالٍ إنَّما هم فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جهَنّمَ، أوْ لَيَكونُنَّ أهْونَ على

---

(1) قال في(النهاية):((أوْهِ) كلمة يقولها الرجل عند الشكاية والتوجع، وهي ساكنة الواو مكسورة الهاء، وربما قلبوا الواو ألفاً فقالوا: (آهِ من كذا)، وربما شددوا الواو وكسروها وسكنوا الهاء وقالوا: (أوِّهْ)، وربما حذفوا الهاء وقالوا: (أوّ)، وَبعضهم يفتح الواو مع التشديد فيقول: (أوَّه)(.

(2) صَحِيحُ التْرَّغِيب وَالتْرَّهِيب (٣/ ١٠٠١٠١) حديث رقم (٢٨٩٣).

(3) صَحِيحُ التْرَّغِيب وَالتْرَّهِيب (٣/ ١٠٩) حديث رقم (٢٩١٦).

(4) (الجُعَلُ) بضم الجيم وفتح العين المهملة: هو دُوَيْبَةٌ أرضية.

(5) (يُدَهْدِهُ) أي: يدحرج؛ وزنه ومعناه.

(6) صَحِيحُ التْرَّغِيب وَالتْرَّهِيب (٣/ ١١٠١١١) حديث رقم (٢٩٢٢).

(7) (العُبِّيَّةُ) بضم العين المهملة وكسرها وتشديد الباء الموحدة وكسرها وبعدها ياء مثناة تحت مشددة أيضاً: هي الكِبْرُ والفَخْرُ والنَّخْوَة.

اللهِ مِنَ الجِعْلانِ[1]؛ التي تَدفَعُ النَّتَن بأَنْفِها)[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسولِ اللهِ ﷺ: (إنَّ نَملةً قرصَتْ نبيّاً مِنَ الأَنْبياءِ، فَأَمَرَ بقَرْيةِ النَّمْلِ فأُحْرِقَتْ، فأَوْحى اللهُ إليه في أنْ قَرَصَتْكَ نَمْلةٌ أحْرَقْت أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!). (زاد في رواية): (فَهَلَّا نَملَةً واحِدَةً؟)[3].

❁ الموقف الثالث والثلاثون: مَنْ يختار الصدق ... ومَنْ ذا الذي يكتب عند الله صديقاً ؟!

عن عبدِ اللهِ بنِ عامرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دَعَتْني أمِّي يَوْماً ورسولُ اللهِ ﷺ قاعِدٌ في بيْتِنا، فقالَتْ: ها تعالَ أُعْطيكَ. فقالَ لَها رسولُ اللهِ ﷺ: (ما أَرَدْتِ أنْ تُعْطيَهُ؟)(قالتْ: أَرَدْتُ أَنْ أعْطِيَهُ تَمْراً، فقالَ لها رسولُ اللهِ ﷺ: (أما إنَّكِ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئاً كُتِبَتْ عليكِ كَذِبَةٌ)[4].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُم اللهُ يَوْمَ القيامَةِ، ولا يُزَكِّيهِمْ، ولا يَنْظُرُ إلَيْهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أليمٌ؛ شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذَّابٌ، وعائلٌ مسْتكْبِرٌ)[5].

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ

(1) الجِعْلان بكسر أوله وإسكان ثانيه، وهو جمع (الجُعَل) مثل: صَرُد وصِردان، ونُغَر ونِغْران، وهو دويبة أرضية كما سبق.
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٣٦) حديث رقم (٢٩٦٥).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٤٨) حديث رقم (٢٩٨٩).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٢٧) حديث رقم (٢٩٤٣).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٢٧) حديث رقم (٢٩٤٥).

حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا)[1].

❁ الموقف الرابع والثلاثون: كم تستطيع فعله من شُعَبِ الإيمان .. وكم تستطيع التزامه؟!

عن المستنيرِ بنِ أخضرَ بنِ معاوِيةَ عن أبيه قال: كنتُ معَ مَعْقِلِ بْنِ يَسارٍ ﵁ في بعضِ الطُّرُقاتِ، فمَررْنا بأذىً، فأماطَ أو نَحَّاهُ عنِ الطريقِ، فرأيْتُ مِثْلَهُ، فأخَذْتُه فنَحَّيْتُه، فأخَذَ بيَدي وقال: يا ابْنَ أَخي! ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ؟ قلتُ: يا عَمِّ! رَأَيْتُكَ صَنَعْتَ شَيْئاً فصَنَعْتُ مثلَهُ، فقال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (مَنْ أَمَاطَ أذىً مِنْ طريقِ المسْلمينَ؛ كُتِبَتْ له حَسَنَةٌ، ومَنْ تُقُبِّلَتْ منهُ حَسَنَةٌ؛ دَخَلَ الجَنَّةَ)[2].

وعن أبي ذرٍّ ﵁ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (ليْسَ مِنْ نَفْسِ ابْنِ آدَمَ إلا علَيْها صدَقَةٌ في كلِّ يومٍ طلَعتْ فيهِ الشمسُ). قيل: يا رسولَ اللهِ! مِنْ أيْنَ لنا صدَقةٌ نتصَدَّقُ بها كلَّ يومٍ؟ فقال:(إنَّ أبْوابَ الخيرِ لَكثيرَةٌ: التسبيحُ والتحميدُ والتكبيرُ والتهليلُ، والأمْرُ بالمعروفِ، والنهيُ عَنِ المنكَرِ، وتُميطُ الأَذى عَنِ الطريقِ، وتُسْمعُ الأصَمَّ، وتَهدِي الأعْمى، وتَدُلُّ المسْتَدِلَّ على حاجَتِه، وتَسْعَى بِشِدَّةِ ساقَيْكَ معَ اللهْفانِ المسْتَغيثِ، وتَحمِلُ بشِدَّةِ ذِراعَيْكَ معَ الضعيفِ؛ فهذا كلُّه صَدَقَةٌ مِنْكَ على نَفْسِكَ)[3] .

---

(1) أخرجه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٣٩) حديث رقم (٢٩٧٢).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٣٨) حديث رقم (٢٩٧٠).

وزاد في رواية:(وتَبسُّمُكَ في وجْهِ أخيكَ صدقَةٌ، وإماطَتُكَ الحَجَرَ والشوْكَةَ والعَظْمَ عنْ طريقِ النَّاسِ صَدقةٌ، وهَدْيُكَ الرجُلَ في أرضِ الضالَّةِ لكَ صَدقةٌ)(1) .

وعن بُرْيَدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (في الإنْسانِ ستُّونَ وثَلاثُمائةِ مِفْصَلٍ، فعَلَيْهِ أنْ يتَصدَّقَ عَنْ كلِّ مِفْصَلٍ منها صدقَةً). قالوا: فَمَنْ يُطيقُ ذلك يا رسولَ اللهِ؟ قال: (النُّخاعَةُ في المسْجِد تَدْفِنُها، والشيءُ تُنَحِّيهِ عَنِ الطريقِ، فإنْ لَمْ تَقْدِرْ فركْعَتا الضُّحى تُجزي عَنْكَ)(2) .

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ما خطَبَنا رسولُ اللهِ ﷺ إلا قالَ: (لا إيمانَ لِمَنْ لا أمَانَةَ لَهُ، ولا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ)(3).

❁ الموقف الخامس والثلاثون: من يحرس دخول الداخلين قلبه فيجعله: للمحبة في الله .. فقط

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال: (مَنْ سَرَّهُ أنْ يَجِدَ حلاوةَ الإيمانِ؛ فلْيُحِبَّ المرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا للهِ)(4) .

وعن أنسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: (ما تَحابَّ رَجُلانِ في اللهِ إلا كانَ أحبَّهما إلى اللهِ عزَّ وجلَّ أشَدُّهما حُبّاً لِصاحِبِه)(5).

وعن عبد الله بن عمرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (خَيْرُ الأصْحابِ عندَ

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٣٩) حديث رقم (٢٩٧٠).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٣٩) حديث رقم (٢٩٧١).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٥٦) حديث رقم (٣٠٠٤).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٥٨) حديث رقم (٣٠١٢).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٥٩) حديث رقم (٣٠١٤).

اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وخَيْرُ الجِيرَانِ عندَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجارِهِ)[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ: (أنَّ رجُلاً زارَ أخاً لَهُ في قَرْيةٍ أُخْرَى، فأرْصَدَ الله له على مَدْرَجَتِه[2] مَلَكاً، فلمَّا أتَى عليهِ قال: أيْنَ تريدُ؟ قال: أريدُ أخاً لي في هذه القرَيةِ، قال: هَلْ لكَ عليه مِنْ نعْمةٍ تَرُبُّها [3]؟

قال: لا؛ غيرَ أنّي أُحِبَّه في اللهِ، قال: فإنِّي رسولُ اللهِ إليَكَ أنَّ اللهَ قدْ أَحبَّك كما أحْبَبْتَهُ فيه)[4].

وعن البَرَاءِ بْنِ عازِبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنَّا جلوساً عِندَ النَّبِيِّ ﷺ، فقال: (أيُّ عُرَى الإسْلامِ أَوْثَقُ؟). قالوا: الصَلاةُ. قال:(حَسنةٌ؛ وما هِيَ بِها). قالوا: صِيامُ رَمَضانَ. قال:(حَسنٌ؛ وما هُوَ بِهِ). قالوا: الجِهادُ. قال:(حَسَنٌ؛ وما هُوَ بِهِ). قال:(إنَّ أوْثَقَ عُرى الإيمانِ أنْ تُحِبَّ في اللهِ، وتُبْغِضَ في اللهِ)[5].

❁ الموقف السادس والثلاثون: مَنْ يلتزم آداب المجلس والجِلسة

عن أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السُّوءِ كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فحامِلُ المِسْكِ إمَّا أنْ يُحذِيَكَ[6]، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً طَيِّبَةً، ونَافِخُ الكِيرِ إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ،

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٥٩) حديث رقم (٣٠١٥).
(2) (المَدْرَجَةُ) بفتح الميم والراء: هي الطريق.
(3) (تَرُبُّهَا): أي: تقوم بها وتسعى في صلاحها.
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٦٠) حديث رقم (٣٠١٧).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٦٥١٦٦) حديث رقم (٣٠٣٠).
(6) (يُحْذِيك) أي: يُعْطِيك.

وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً خَبيثَةً)[1].

وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقامَ لَهُ رجلٌ عَنْ مَجْلِسِه، فذهَب لِيَجْلِسَ فيهِ، فنَهاهُ رسولُ اللهِ ﷺ[2] .

وعن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (كُنَّا إذا أتينا النبيَّ ﷺ جلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي)[3].

وعن ابن عُمَرَ أيضاً قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (لا يُقيمَنَّ أحَدُكُمْ رجلاً مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فيه، ولكنْ تَوسَّعُوا وتَفَسَّحوا؛ يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ)، وفي رواية: قال: وكان ابن عمر إذا قام له رجلٌ مِنْ مَجْلِسِه لَمْ يَجْلِسْ فيهِ[4] .

وعن عمرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ؛ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (لا يَحِلُّ لرجلٍ أنْ يُفَرِّقَ بيْنَ اثْنَيْنِ إلا بِإذْنِهِما)[5].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (إذا قامَ أحدُكُم مِنْ مَجْلسٍ ثُمَّ رَجَعَ إليه؛ فهوَ أحَقُّ بِهِ)[6].

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨٢) حديث رقم (٣٠٦٤).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨٣) حديث رقم (٣٠٦٧).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨٣) حديث رقم (٣٠٧٠).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨٣) حديث رقم (٣٠٦٩).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨٤) حديث رقم (٣٠٧١).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ١٨٤) حديث رقم (٣٠٧٢).

❁ الموقف السابع والثلاثون: التزامات الدعوات

عن أُمِّ الدرداءِ قالت: حدثني سيدي[1] ؛ أنه سمعَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (إذا دعا الرجلُ لأَخيه بِظَهْرِ الغَيْبِ قالتِ الملائِكَةُ: ولكَ بِمِثْلٍ)[2] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (ثَلاثُ دَعواتٍ مُسْتَجاباتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوةُ الوالِدِ، ودَعوَةُ المظْلومِ، ودَعْوَةُ المُسافِرِ)[3].

❁ الموقف الثامن والثلاثون: مَنْ يلتزم بالتوبة .. ومَنْ يُتْبِع السيئة الحسنة؟

عن معاذِ بْنِ جَبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ! أوْصِني. قال: (عليكَ بتَقْوى اللهِ ما اسْتَطَعْتَ، واذْكرِ اللهَ عندَ كلِّ حَجرٍ وشَجَرٍ، وما عَمِلْتَ مِنْ سوءٍ فأَحْدِثْ له تَوْبَةً، السرُّ بالسرِّ، والعَلانِيَةُ بالعَلانِيَةِ)[4].

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالتْ قريشٌ لِلنَّبيِّ ﷺ: ادْعُ لنا ربَّك يَجْعَلْ لنا الصَّفا ذَهَباً، فإنْ أصْبحَ ذَهباً اتَّبَعْناك، فدعَا ربَّه، فأتاهُ جبريلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: إنّ ربَّك يُقْرِئُكَ السلامَ ويقولُ لَك: إنْ شِئْتَ أصْبَح لهُم الصَّفا ذَهباً، فَمَن كَفَر منهم عَذَّبْتُه عَذاباً لا أعَذِّبُه أحَداً مِنَ العَالَمينَ، وإنْ شئْتَ فَتَحْتُ لهم بابَ التوْبَةِ والرحْمَةِ، قال : (بَلْ باب التوْبَةِ والرحْمَةِ)[5].

---

(1) تعني زوجها أبا الدرداء، وهي الصغرى، وأما أم الدرداء الكبرى فهي زوجته أيضاً، وقد توفيت قبله، فتزوج بعدها الصغرى. انظر (العجالة).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢١٣) حديث رقم (٣١٣١).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢١٣) حديث رقم (٣١٣٢).

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢١٩) حديث رقم (٣١٤٤).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢١٨) حديث رقم (٣١٤٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (إنَّ المؤمنَ إذا أذْنَبَ ذَنْباً كانَتْ نُكْتَةٌ سَوْداءُ في قلْبِهِ، فإنْ تابَ ونَزَعَ واسْتَغْفرَ صُقِلَ مِنْها، وإنْ زاد زادَتْ حتى يُغَلَّفَ قَلْبُهُ، فذلك الرَّانُ الَّذي ذكرَ اللهُ في كتابِه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ [1] ﴿١٤﴾﴾ [2] [المؤمنون].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قال:(والَّذي نفْسي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذنِبوا لَذَهبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبونَ فيَسْتَغْفِرونَ اللهَ، فيَغْفِرُ لَهُمْ)[3].

وعن حُمَيدٍ الطويلِ قال: قلتُ لأنسِ بن مالكٍ: أقال رسولُ اللهِ ﷺ: (الندمُ تَوْبَةٌ)؟ قال: نَعَمْ[4].

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ معاذَ بْنَ جبلٍ أرادَ سفَراً فقال: يا رسولَ اللهِ! أوْصِني. قال:(اعْبدِ اللهَ ولا تُشرِكْ به شيْئاً). قال: يا رسولَ اللهِ! زِدْني، قال: (إذا أَسأْتَ فأحْسِنْ، ولْيَحْسُنْ خُلُقك)[5].

وعن أبي ذرٍّ ومعاذِ بْنِ جبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن رسولِ اللهِ ﷺ قال: (اتَّقِ اللهَ حيثُما كنْتَ، وأَتْبعِ السيِّئَةَ الحَسنةَ تَمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسنٍ)[6].

---

(1) سورة المطففين: ١٤.
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢١٧) حديث رقم (٣١٤١).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٢٠) حديث رقم (٣١٤٩).
(4) صَحِيحُ ابن حِبَّان حديث رقم (٦١٣)، وصحَّحه الألباني.
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٢٥) حديث رقم (٣١٥٨).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٢٦) حديث رقم (٣١٦٠).

❁ الموقف التاسع والثلاثون: أيُّ الوعدين تُقَدِّمُ؟

عن مَعْقِلِ بنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (يقولُ ربُّكم: يا ابْنَ آدَمَ! تَفَرَّغ لِعبَادَتي؛ أمْلأْ قلْبَكَ غِنىً، وأمْلأْ يَديْكَ رِزْقاً، يا ابْنَ آدَمَ! لا تُباعِدْ مِنِّي، أَمْلأْ قلْبَكَ فَقْراً، وأمْلأْ يديْك شُغْلاً)[1].

وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ كانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ؛ جعَل اللهُ غِناهُ في قلْبِه، وجَمَع له شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدنيا وهي راغِمَةٌ، ومَنْ كانتِ الدنيا هَمَّه؛ جعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيهِ، وفرَّقَ عليه شَمْلَهُ، ولَمْ يأْتِهِ مِنَ الدنيا إلا ما قُدِّرَ له)[2].

وعن سهلِ بْنِ سعْدٍ الساعدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! دُلَّنِي على عَملٍ إذا عمِلْتُه أحَبَّني اللهُ، وأحَبَّني الناسُ؟ فقال: (ازْهَدْ في الدنْيا يُحِبَّك اللهُ، وازْهَدْ فيما في أيْدي الناسِ يُحِبَّكَ الناسُ)[3].

وعن أبي هريرة أيضاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (يقولُ العبْدُ: مالي مالي! إنَّما لَهُ مِنْ مالِه ثلاثٌ: ما أَكَلَ فأفْنَى[4]، أوْ لَبِسَ فأبلَى، أوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وما سِوى ذلك فهو ذاهِبٌ وتَارِكُهُ لِلناسِ)[5].

وعن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مَرَّ النبيُّ ﷺ بِدِمْنَةِ[6] قومٍ فيها سَخْلَةٌ ميتةٌ، فقال: (ما لأهلِها فيها حاجةٌ؟). قالوا: يا رسولَ اللهِ! لو كانَ لأهلِها فيها حاجةٌ ما نبذوها،

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٢٩) حديث رقم (٣١٦٥).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٣١) حديث رقم (٣١٦٩).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٥٣) حديث رقم (٣٢١٣).

(4) أو أعطى فاقتنى: معناها ادَّخر لآخرته أي ادَّخر ثوابه.

(5) صَحِيحُ مسلم حديث رقم (٢٩٥٩).

(6) (الدِّمْنَة) بكسر الدال: هي المزبلة.

فقال:(واللهِ للدُّنيا أهونُ على اللهِ من هذه السَّخْلَةِ[1] على أَهْلِها، فلا أَلْفِيَنَّهَا [2] أَهْلَكَتْ أَحَداً مِنْكُمْ)[3].

وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (ما ذئْبانِ ضارِيانِ في حَظيرَةٍ يَأْكلانِ ويُفْسِدانِ؛ بأضَرَّ فيها مِنْ حُبِّ الشَّرَفِ وحُبِّ المالِ في دينِ المَرْءِ المسْلِمِ)[4].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (ما أَخْشى عليكُم الْفَقْرَ؛ ولكِنْ أَخْشى عليكُمُ التكَاثُرَ، وما أَخْشى عليكُمُ الخَطأَ؛ ولكنْ أَخْشَى عليكُمْ التَّعَمُّدَ)[5].

❁ الموقف الأربعون: مَنْ يَقْوَى على هذه القبضة ؟!

عن أبي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قال: ... قال رسولُ اللهِ ﷺ: (....فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ عَلَى مِثْلِ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا، يَعْمَلُونَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ)[6]. وزاد أبو داود: قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟ قَالَ:(أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ)[7].

وعن أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (إذا ابْتَلى اللهُ عزَّ وجلَّ العبدَ المسْلمَ ببلاءٍ في جسَدِه، قال اللهُ عزَّ وجلَّ لِلْمَلَكَ: اكْتُبْ لَهُ صالِحَ عمَلِه الذي كانَ يَعمَلُ، وإنْ شفاه غَسَلَهُ وطَهَّرَهُ، وإنْ قَبضَهُ غَفَرَ لَهُ ورَحِمَهُ)[8].

(1) (السخلة): الأنثى من ولد الضأن.
(2) (فلا ألفينها) بالفاء وتشديد النون، أي: فلا أجدنها.
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٦٢٢٦٣) حديث رقم (٣٢٣٧).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٦٨) حديث رقم (٣٢٥٢).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٢٦٩) حديث رقم (٣٢٥٦).
(6) رواه الترمذي (٤٠١٤)، وقال الألباني: صحيح لغيره.
(7) رواه أبو داود حديث رقم (٤٣٤١)، وقال الألباني: صحيح لغيره.
(8) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٣٦٣٣٧) حديث رقم (٣٤٢٢).

وعن جابرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دخلَ على أمِّ السائِب أو أمِّ المُسَيِّبِ فقال: (ما لَكِ تُزَفْزِفِين[1] ؟). قالَت: الحُمَّى؛ لا باركَ اللهُ فيها، فقال: (لا تَسُبِّي الحُمَّى؛ فإنَّها تُذْهِبُ خَطايا بني آدَم؛ كما يُذْهِبُ الكِيرُ خَبَثَ الحَديدِ)[2].

وعن أبي رَيْحانَة رضيَ الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (الحُمّى مِنْ فَيْحِ جهنَّمَ، وهيَ نَصيبُ المؤْمنِ مِنَ النارِ)[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (لا يَتمنَّى أحدُكم الموْتَ، إمَّا محْسِناً فلعَلَّهُ يزدادُ، وإمَّا مُسيئاً فلعلَّه يَسْتَعْتِبُ)[4].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (مِنَ الْكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ)قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَهَلْ يَشْتِمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ:(نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فَيَسُبُّ أُمَّهُ)[5].

❁ الموقف الحادي والأربعون: كل واحد من السبعة يقابله واحدٍ، فهلا حجزت لك موضعًا أو أكثر من الآن؟!

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ

(1) (تزفزفين) رُوِيَ براءين وبزاءين، ومعناهما متقارب، وهو الرعدة التي تحصل للمحموم.
(2) صَحِيحُ مسلم حديث رقم (٢٥٧٥).
(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣٤٥) حديث رقم (٣٤٤٥).
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٣/ ٣١٥) حديث رقم (٣٣٦٩).
(5) صَحِيحُ مسلم حديث رقم (٩٠).

وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)[1] .

وعن عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذات يومٍ في خُطبتِهِ: (....أهلُ الجَنَّةِ ثلاثَةٌ: ذو سلْطانٍ مُقْسِطٌ[2] مُوَفَّقٌ، ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلْبِ لِكلِّ ذي قُرْبَى ومسلمٍ، وعفيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ ....)[3].

وعن مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ وَلِيَ مِنْ أمْرِ الناسِ شَيْئاً، فاحْتَجبَ عَنْ أُولي الضَّعْفِ والحاجَةِ؛ احْتَجبَ اللهُ عنه يومَ القيامَةِ)[4].

❁ الموقف الثاني والأربعون: لا يَغُرَّنَّكَ عَمَلُكَ إنْ كنتَ مُفْلِسًا

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (أتَدرونَ ما المُفْلِسُ؟). قالوا: المُفْلِسُ فينا مَنْ لا درهمَ له ولا مَتَاعَ. فقال: (إنَّ الُمفْلِسَ من أمتي مَنْ يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزَكاةٍ، ويأتي وقد شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأكلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِنْ حَسناتِه، وهذا مِنْ حَسناتِه، فإنْ فَنِيتْ حسنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يَقْضِيَ ما عليه؛ أُخِذَ مِنْ خَطاياهُمْ، فَطُرِحَتْ عليه، ثمَّ طُرِحَ في النارِ)[5].

❁ الموقف الثالث والأربعون: الاختبار برضا الله تبارك وتعالى

عن رجُلٍ من أهلِ المدينة قال: كَتبَ معاوَيةُ إلى عائشَةَ: أنِ اكْتُبي إليَّ كِتاباً

(1) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(2) (المقسط): العادل.

(3) صَحِيحُ مسلم حديث رقم (٢٨٦٥).

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٢٧) حديث رقم (٢٢٠٩).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٣٣) حديث رقم (٢٢٢٣).

توصيني فيه، ولا تُكْثِري عَليَّ، فكتَبَتْ عائِشةُ إلى معاوِيَةَ: سلامٌ عليك. أما بعدُ، فإنِّي سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:(مَنِ الْتمَسَ رِضا اللهِ بِسَخَطِ الناسِ؛ كفاه اللهُ مَؤُنَةَ الناسِ، ومَنِ الْتَمسَ رضا الناسِ بِسَخطِ اللهِ؛ وَكَلَهُ اللهُ إلى الناسِ)، والسلام عليك[1].

❁ الموقف الرابع والأربعون: اختر إما الرحمة وإما القسوة والشدة والغلظة

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (مَنْ لَمْ يرحَمِ الناسَ لَمْ يرحَمْهُ اللهُ)[2].

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي لَأَرْحَمُ الشَّاةَ أَنْ أَذْبَحَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنْ رَحِمْتَهَا رَحِمَكَ اللهُ)[3].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: (ما مِنْ إنسانٍ يَقتُلُ عُصْفُوراً فما فوقَها بِغَيْرِ حَقِّهَا، إلا سألَهُ اللهُ عنها يومَ القِيامَةِ). قيلَ: يا رسولَ اللهِ! وما حقُّها؟ قال: (حقُّها أنْ يذْبَحَها فيأكُلَها، ولا يقْطَعَ رأْسَها فيَرْمِيَ بِهِ)[4].

وعن عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ رضي الله عنهما قال: أرْدَفني رسولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُ ذَاتَ يومٍ، فأسَرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدِّثُ بِهِ أحداً مِنَ الناسِ، وكان أحبُّ ما اسْتَتَر بهِ رسولُ اللهِ ﷺ

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٤٧) حديث رقم (٢٢٥٠).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٤٨) حديث رقم (٢٢٥٤).

(3) رواه الحاكم في مُستدرَكه حديث رقم (٧٥٦٢)، وصحَّحه الألباني.

(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٥٢) حديث رقم (٢٢٦٦).

لِحاجَتِهِ هَدَفاً[1] أو حائش[2] نَخْلٍ، فدخلَ حائطاً[3] لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ، فإذا فيه جَمَلٌ، فلمَّا رأى النبيَّ ﷺ حَنَّ وذَرَفَتْ عيناه، فأتاهُ رسولُ اللهِ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ[4] فَسَكَتَ. فقال: (مَنْ رَبُّ هذا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هذا الجَمَلُ؟)، فجاء فتىً مِن الأَنْصارِ، فقال: لي يا رسولَ اللهِ! فقال: (أفلا تَتَّقي اللهَ في هذه البَهيمَةِ التي مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاها؟! فإنَّه شكا إليَّ إنَّك تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ[5])[6].

وعن جابرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مَرَّ حمارٌ برسولِ اللهِ ﷺ قد كُوِيَ في وَجْهِهِ، يَفُورُ مِنْخَراهُ مِنْ دَمٍ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هذا)[7].

❁ الموقف الخامس والأربعون: مَنْ الأوفى؟

عن عُبادةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (بايَعْنا رسولَ اللهِ ﷺ على السمعِ والطاعَةِ في العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وعلى أَثَرةٍ علينا، وأنْ لا نُنازعُ الأَمْرَ أَهْلَه، إلا أنْ تَرَوْا كُفْراً بَوَاحاً[8] عندَكُمْ مِنَ اللهِ فيه بُرْهانٌ[9]، وعلى أنْ نقولَ بِالْحَقِّ أَيْنَما كُنَّا، لا نخافُ في اللهِ لَوْمةَ لائمٍ)[10].

(1) (الهَدَف): هو ما ارتفع على وجه الأرض من بناء ونحوه.
(2) (الحائِشُ): هو جماعة النخل، ولا واحد له من لفظه.
(3) (الحائطُ): هو البستان.
(4) (ذِفْرَى البعير) بكسر الذال المعجمة مقصور: هي الموضع الذي يعرق في قفا البعير عند أذنه، وهما ذفريان.
(5) (تُدْئِبُه) بضم التاء ودال مهملة ساكنة بعدها همزة مكسورة وباء موحدة؛ أي: تتعبه بكثرة العمل.
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٥٤) حديث رقم (٢٢٦٩).
(7) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٦٧) حديث رقم (٢٢٩٥).
(8) أي: ظاهراً بادياً، من قولهم:(باح بالشيء يبوح به بوحاً: وبواحاً: إذا أذاعه وأظهره). قاله الخطابي.
(9) برهان: أي(نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل). قاله العسقلاني.
(10) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٧٢) حديث رقم (٢٣٠٣).

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ أُناساً قالوا: يا رسولَ اللهِ! ذَهَب أهلُ الدُّثورِ بالأُجورِ، يصلُّونَ كما نُصلِّي، ويَصومونَ كما نَصومُ، ويتَصدَّقونَ بفَضولِ أمْوالِهِمْ؟ قال:(أَوَلَيْسَ قد جَعَلَ اللهُ لكُم ما تَصَدَّقُونَ بِهِ؟ إنَّ بكلِّ تَسْبيحَةٍ صدَقةً، وكلِّ تكبيرةٍ صدقةً، وكلِّ تَحميدَةٍ صَدقةً، وكلِّ تَهْليلَةٍ صدَقةً، وأمرٍ بالمعْروفِ صدقةً، ونهيٍ عنْ مُنْكرٍ صدقَةً)[1].

وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (أفْضَلُ الجِهادِ كلمَةُ حقٍّ عند سُلْطانٍ أوْ أميرٍ جائرٍ)[2] .

وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (ما مِنْ نبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أمَّةٍ قَبْلي؛ إلا كانَ له مِنْ أُمَّتِه حواريُّون[3] وأصحابٌ يأخُذونَ بِسُنَّتِه، وَيقْتَدون بأمْرِهِ، ثُمَّ إنَّها تَخلُفُ مِنْ بعْدِهم خُلُوفٌ[4]، يقولونَ مالا يفْعَلون، ويفْعَلونَ مالا يُؤْمَرون، فَمَنْ جاهَدَهُم بِيَدِهِ فهو مُؤْمِنٌ، ومَنْ جاهَدَهُمْ بِلِسانِه فهو مُؤْمِنٌ، ومَنْ جاهَدَهُم بِقَلْبِه فهو مُؤْمِنٌ، وليسَ وَراءَ ذلك مِنَ الإيْمانِ حَبَّةُ خَرْدلٍ)[5].

وعن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (والَّذي نفسي بيدِه؛ لَتَأْمُرُنَّ بالمعروفِ، ولَتنْهَوُنَّ عنِ المنكرِ؛ أوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يَبْعثَ عليكم عِقاباً منه، ثُمَّ تَدْعونَه فلا يَسْتَجيبَ لكم)[6] .

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٧٣) حديث رقم (٢٣٠٤).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٧٣) حديث رقم (٢٣٠٥).

(3) (الحَوارِيّ): هو الناصر للرجل، والمختص به، والمعين والمصافي.

(4) جمع (خَلْف)؛ قال ابن الأثير:((الخلف) بالتحريك والسكون: كل من يجيء بعد من مضي، إلا أنه بالتحريك في الخير، وبالتسكين في الشر).

(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٧٥٥٧٦) حديث رقم (٢٣١٠).

(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٧٦٥٧٧) حديث رقم (٢٣١٣).

❁ الموقف السادس والأربعون: احرص على قلبك قبل أن يتشرّب الفتنة

عن حُذَيْفَةَ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (تُعْرَضُ الفِتَنُ[1] على القلوبِ كالحَصيرِ عُوداً عوداً، فأيُّ قلْبٍ أُشْرِبَها[2] نُكِتَ فيه نُكتةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قلْبٍ أنْكَرَها نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حتَّى تَصِيرَ على قَلْبَيْنِ: على أبْيَضَ مِثْلِ الصَّفا فلا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ما دامَتِ السمواتُ والأرضُ، والآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا[3] كالكوز مُجَخِّياً [4] لا يَعْرِفُ مَعروفاً، ولا يُنْكِرُ مُنْكَراً إلا ما أُشْرِبَ مِنْ هَواهُ)[5] .

وعن الْعُرْسِ ابْنِ عَمِيرَةَ الْكِنْدِيِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: (إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ، كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا وَقَالَ مَرَّةً:(أَنْكَرَهَا) كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا، كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا)[6] .

وعن أبي تَمِيمَةَ عَنْ جُنْدُبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَزْدِيِّ صاحبِ رسولِ اللهِ ﷺ عنْ رسولِ اللهِ ﷺ قال: (مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ ويَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ ويَحْرِقُ نَفْسَهُ)[7].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: (يُبصرُ أحدُكم القَذاةَ في عينِ

---

(1) تُعرَض الفتن: أي تلصق بعرض (القلوب) أي: جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه.

(2) أُشربها: أي تمكَّنت منه وحَلَّت محل الشراب.

(3) (مرباداًّ) أي: متغيراً.

(4) (مُجَخِّياً): يعني مائلًا. وفسره بعض الرواة بأنه المنكوس.

(5) صَحِيحُ مسلم حديث رقم (١٤٤).

(6) رواه أبو داود حديث رقم (٤٣٤٥)، وحسَّنه الألباني.

(7) رواه الطبراني في المعجم الكبير حديث رقم (١٦٨١)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

أخيهِ، ويَنْسى الجِذْعَ في عَيْنِه)[1].

❁ الموقف السابع والأربعون: سِتْرُ بستر، وكشفٌ بكشف .. فاختر لنفسك ما تشاء

عن رجاءَ بنِ حَيْوةَ قال: سمعت مَسْلَمَةَ بنَ مُخَلَّدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: بَيْنَا أَنَا عَلَى مِصْرَ إِذْ أَتَى الآذِنُ الْبَوَّابُ، فَقَالَ: إِنَّ أَعْرَابِيًّا عَلَى بَعِيرٍ عَلَى الْبَابِ يَسْتَأْذِنُ، فَقُلْتُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ: فَأَشْرَفْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: أَنْزِلُ إِلَيْكَ أَوْ تَصْعَدُ؟ قَالَ: لَا تَنْزِلُ وَلَا أَصْعَدُ، حَدِيثٌ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرْوِيهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِتْرِ الْـمُؤْمِنِ، جِئْتُ أَسْمَعُهُ. قُلْتُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(مَنْ سَتَرَ عَلَى مُؤْمِنٍ، فَكَأَنَّمَا أَحْيَى مَوْءُودَةً) فَضَرَبَ بَعِيرَهُ رَاجِعًا[2] .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:(مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ أخيه؛ سترَ اللهُ عورتَه يومَ القيامةِ، ومَنْ كَشَفَ عَوْرَةَ أخيه المسلمِ؛ كَشَفَ اللهُ عَوْرَتَهُ حتى يفضحَه بها في بيتِهِ)[3].

وعن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيرٍ وَكَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، وَعَمْرِو بْنِ الْأَسْوَدِ، وَالْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، وَأَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:(إنَّ الأميرَ إذا ابْتَغى الرِّيبَةَ في الناسِ أفْسَدَهُم)[4].

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٨٥) حديث رقم (٢٣٣١).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (٨١٣٣)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٨٨) حديث رقم (٢٣٣٨).

(4) رواه أبو داود حديث رقم (٤٨٨٩)، وقال الألباني: صحيح لغيره.

❁ الموقف الثامن والأربعون: من يجازف بالاقتراب من محارم الله..!

عن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (ضَرَبَ اللُّه مَثَلاً صِراطاً مُسْتقيماً، وعنْ جَنْبَتَي الصراطِ سُورانِ فيهما أبْوابٌ مُفَتَّحةٌ، وعلى الأبوابِ سُتورٌ مُرْخاةٌ، وعندَ رأسِ الصِراطِ داعٍ يقولُ: اسْتَقيموا على الصراطِ ولا تَعْوَجُّوا؛ وفَوْقَ ذلك داعٍ يَدْعو كلمَّا هَمَّ عبدٌ أنْ يَفْتَح شَيئاً مِنْ تلك الأبْوابِ؛ قال: وَيلَك! لا تَفْتَحْهُ، فإنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ، فأخبر أنَّ الصِراطَ هو الإسْلامُ، وأنَّ الأبْوابَ المفَتَّحة محارِمُ اللهِ، وأنَّ الستورَ المُرْخاةَ حدودُ اللهِ، والداعي على رأسِ الصراطِ هو القرآنُ، والداعي مِنْ فوقِه هو واعِظُ اللهِ في قلبِ كلِّ مؤمِنٍ)[1].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (لَحَدٌّ يُقَامُ في الأرضِ؛ خيرٌ لأَهْل الأَرْضِ مِنْ أنْ يُمْطَروا ثلاثينَ صباحاً)[2].

وعن المقدادِ بنِ الأسودِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ لأصْحابه:(ما تقولونَ في الزنا؟(. قالوا: حرامٌ حرَّمَهُ اللهُ ورسولُهُ، فهو حرامٌ إلى يومِ القِيامَةِ. قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ لأصْحابِه: (لأَنْ يَزْنِيَ الرجلُ بعشْرِ نِسْوةٍ؛ أيْسَرُ عليه مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بامْرأَةِ جارِهِ)[3].

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٩٢٥٩٣) حديث رقم (٢٣٤٨).

(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٥٩٥) حديث رقم (٢٣٥٠).

(3) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦١٥) حديث رقم (٢٤٠٤).

وعن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رائِحةَ الجنَّةِ، وإنَّ ريحَها يوجَدُ مِنْ مسيرَةِ أربعينَ عاماً)[1] .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ تَردَّى[2] مِنْ جَبلٍ، فَقَتَلَ نَفْسَهُ؛ فهو في نارِ جهنَّمَ، يتردَّى فيها خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً، ومَنْ تَحسَّى سُمّاً، فقتَل نفْسَه؛ فسُمُّه في يدِه يتَحسَّاهُ في نارِ جَهنَّمَ خالِداً مُخلَّداً فيها أَبداً، ومَنْ قتلَ نَفْسَهُ بحديدةٍ؛ فحَديدتُه في يدهِ يتوجَّأُ[3] بِها في نارِ جَهنَّم خالدِاً مُخَلَّداً فيها أبداً)[4].

❁ متناثرات: وصايا في الحياة

عن أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو على ناقَتِه الجَدْعَاءِ في حِجَّةِ الوَداعِ يقول: (أوصيكُم بالجَارِ)، حتَّى أكْثَرَ، فقلتُ: إنَّه يورِّثُهُ[5] .

وعن مجاهد: أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذُبحَتْ لهُ شاةٌ في أهْلِهِ، فلمَّا جاءَ قال: أهْدَيْتُم لِجارِنا اليَهودِيَّ، أهْديْتُم لِجارِنا اليَهوديِّ؟ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول:(ما زَالَ جبريلُ يوصيني بالجَارِ حتى ظَنَنْتُ أنَّه سيُوَرِّثُهُ)[6] .

وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ كانَ يؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ؛ فلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ قالها ثلاثاً). قال رجلٌ: وما كَرَامَةُ الضيفِ يا رسولَ

---

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٣٤) حديث رقم (٢٤٥٢).
(2) (تَردَّى) أي: رمى بنفسه من الجبل أو غيره فهلك.
(3) (يتَوَجَّأُ بها) مهموزاً؛ أي: يضرب بها نفسه.
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٣٦) حديث رقم (٢٤٥٤).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٨٧) حديث رقم (٢٥٧٣).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٨٨) حديث رقم (٢٥٧٤).

اللهِ؟ قال: (ثلاثَةُ أيّامٍ، فما زادَ بعدَ ذلك فهوَ صَدَقَةٌ)[1] .

وعن أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً مَرَّ به وهو يَغْرِسُ غَرْساً بِدِمَشْقَ فقال له: أَتَفْعلُ هذا وأنتَ صاحِبُ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ قال: لا تَعْجَلْ عليَّ، سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: (مَنْ غَرَسَ غَرْساً لَمْ يأكُلْ منه آدَمِيٌّ ولا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ؛ إلا كانَ لَهُ به صَدقَة)[2] .

وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: (اتَّقوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يومَ القِيامَةِ، واتَّقوا الشُّحَّ[3] ؛ فإنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم؛ حمَلَهُم على أنْ سَفَكوا دماءَهُم، واسْتَحلُّوا محارِمَهُم)[4] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: (لا يجتَمعُ غُبَارٌ في سبيلِ اللهِ ودُخانُ جهَنَّم في جوْفِ عبدٍ أبداً، ولا يجتَمعُ شُحٌّ وإيمانٌ في قلبِ عبدٍ أبداً)[5] .

وعن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: (الذي يَرْجعُ في هِبَتِه؛ كالكلْبِ يرجعُ في قَيْئه).

وفي رواية: (مَثَلُ الذي يعودُ في هِبَتِهِ؛ كَمثَلِ الكلْبِ يَقيءُ ثُمَّ يَعودُ في قَيْئِه فيأكلُه)[6].

وعن عمرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حَمَلْتُ على فرسٍ في سبيلِ اللهِ، فأضاعه

(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٩٥) حديث رقم (٢٥٩٤).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٦٩٨) حديث رقم (٢٦٠٠).
(3) (الشح): هو البخل والحرص. وقيل: (الشح): الحرص على ما ليس عندك، والبخل بما عندك.
(4) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٧٠٠) حديث رقم (٢٦٠٢).
(5) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٧٠٢) حديث رقم (٢٦٠٦).
(6) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٧٠٤) حديث رقم (٢٦١٠).

الـذي كان عنـده، فـأردْتُ أنْ أشْـتَرِيَهُ، فظَنَنْـتُ أنَّه يَبيعُـه بِرُخْصٍ، فسـألتُ النبيَّ ﷺ؟ فقـال: (لا تَشْـتَرِه، ولا تَعُـدْ في صدَقَتِـك، وإنْ أعْطاكَـه بِدرْهَـمٍ، فـإنَّ العائِـدَ في صَدَقَتِـهِ؛ كالعائـدِ فـي قَيْئِـهِ)[1].

ورُوِيَ عنْ عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ رجلاً جاءَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ! أيُّ الناسِ أحبُّ إلى اللهِ؟ وأيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى اللهِ؟، فقال:(أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أنْفَعُهم لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعْمالِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ سرورٌ تُدْخِلُه على مسلمٍ، تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عنه دَيْناً، أوْ تَطْرُدُ عنه جُوعاً، ولأَنْ أَمْشي مَعَ أخٍ في حَاجَةٍ؛ أحَبُّ إليَّ مِنْ أنْ أعْتَكِفَ في هذا المسجِدِ يعني مسجدَ المدينَةِ شَهْراً، ومَنْ كَظَمَ غيْظَهُ ولو شاءَ أنْ يُمْضِيَهُ أمْضاهُ؛ ملأَ اللهُ قلْبَهُ يومَ القيامَةِ رِضاً، ومَنْ مَشى مَعَ أخيه في حاجَةٍ حتى يَقْضِيَها له؛ ثَبَّتَ اللهُ قدَميْه يومَ تزولُ الأقْدامُ)[2].



(1) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٧٠٤) حديث رقم (٢٦١١).
(2) صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب (٢/ ٧٠٩) حديث رقم (٢٦٢٣).

الفصل الثاني
في ست كلمات لمن علَّم القرآن العظيم

الكلمة الثامنة

﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ؟

الكلمة الثامنة: ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ ؟

آية واحدة يكرِّرها الله سبحانه وتعالى أربع مرات بذات الأحرف والكلمات في سورة واحدة، ومواضع متقاربة .. إنه لأمر عجب! إنها قوله –سبحانه–: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: 17]، ثم إنه سبحانه وتعالى يذكر هذه الآية في كل مرة بعد قصة من القصص المفصلية في التاريخ كله .. فيذكر ما يتعلق بتلك الأمة ثم يذكر إرسال نبيها وإنذاره إياها وأخيرًا يذكر هلاكها ثم يقول بعد ذلك: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ أليس هذا أمرًا عجيبًا؟!

أليس العجب أعظم إذا اكتشفت أن المقصود الأساس هم نحن أمة القرآن...؟!

سبحان الله: فالخطاب الإلهي توجَّه لنا نحن الذين أنزل الله على رسولنا ﷺ القرآن، ويَسَّر الله لنا القرآن، وقال لنا بعد تلك الأمة الهالكة في كل مرة: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾.

أليس العجب أعظم إذا تأمَّلت أكثر فوجدت أن الخطاب لنا نحن أهل هذا الزمان أكثر، وأنَّ المَعْنِيِّينَ الأُوَلَ هم نحن الذين في الآخِر، إذن فنحن أولى وأحق وأوجب مَنْ يكون عليه «الادِّكار».

لأننا الأقرب من قيام الساعة التي أخذت آياتها مطلع السورة الكريم: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ ٤﴾ [القمر: 4-1]، ولأن المُدَّكِرِينَ الذين أُنزل عليهم القرآن في

العصر الأول كثير وأولهم وسيدهم وسيدنا وسيد الأولين والآخرين هو رسول الله ﷺ أما هذا العصر فهو العصر الذي لا تكاد تجد فيه مُدَّكِرًا، وجاءت صيغة المناداة على الأمة كلها أن تُخْرِجَ مُدَّكِرًا واحدا، هكذا نادى الله عليهم بصيغة المفرد كما هو الأصل في ظاهره، ولم ينادِ بالجمع: (فهل من مدكرين) وهو مثل قوله ﷻ: ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود:78]، أي رجل واحد ويكون في الأمة متفكرين، وفيها متدبرين .. لكنها ربما تخلو من مدكر على مستوى الأمة.

كيف لا وهو العصر الأوحد الذي انفرد عن كل العصور قاطبة بإجماع الأمة قاطبة على هجران القرآن كمنهج لحياتها واتخاذ مناهج غيره!

ألا ترى لِمَ كان الخطاب مُعَنْوَنًا بالقرآن، وبتيسير القرآن، وإلا فما دَخْلُ الأمم السابقة بتيسير القرآن؟ وما فائدة الأمم السابقة بوجود المدَّكر فيها بعدما هلكت؟... ﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت: 15]، أما هنا فقد أصبح المطلوب من آية سفينة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مدَّكِر واحد يخرق إجماع الأمة على هجران القرآن في هذه الفترة من الزمان، ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾، والمُدَّكِر الذي ينادي الله -سبحانه- عليه هو واحد من الأمة بأكملها أو أكثر، وليس هو ذاك الذي يقرأ القرآن فيتدبَّر ويخشع ويبكي من خشية الله وأنعم بهذا وأكرم، ولكن المُدَّكِر المطلوب نادر وإن لم يكن معدومًا اليوم ولو كان معدومًا ما خاطب الله الأمة بإخراجه، إنما هو المُدَّكِر الذي بادِّكاره يولد المُدَّكِرون فيكثرون في الأمة، وبادِّكاره يقرِّر ويتقدم فتعود الأمة للقرآن لأن المقصود هو القرآن للأمة وإعادة الأمة للقرآن، وإلا لِمَ جاءت جميع القصص التي سبقت هذا النداء الرباني على

الأمة بقوله -سبحانه-: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾، ومن ثَمَّ كان للادِّكار هنا بُعدًا يتجاوز التدبُّر الشخصيّ، أو التدبُّر العِلْمِيّ النظريّ، أو الخشوع القاصر على قلب صاحبه. إنه الادِّكار المُتَعَلِّق بإعادة القرآن المُغَيَّب تماما عن الإمامة والقوامة والحياة، وهي هذه المرحلة مرحلة الترف والترفُّه والارتخاء الذي بلغ بالأمة أن فكَّت قبضتها عن القرآن بينما أخذته أول مرة بقوة، (وقد جاء واضحًا لتحديد هذه المرحلة من الزمان وتحديد مدتها مما صَحَّ عن النبي ﷺ فَعَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ أَنَّهُ: سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَذْكُرُ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟»، فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِائَةُ سَنَةٍ»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَهَلْ لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ، وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْـمُجَلِّبَةِ[1] عَلَى النَّاسِ»[2].

وها هي المائة عام التي هجرت فيها الأمة بالإجماع القرآن منهجا لحياتها كأمة وأخذت مناهج حياتها - بعد ما تمزَّقت إلى دول - من شرق وغرب وأهواء نفوسها.

وذلك ابتداء أن ذهاب الخلافة كان في عام 1924م وها نحن في عام 2020م والحمد لله رب العالمين، وهذا أمر يطول وأدلته واضحة غاية الوضوح، وقد بَيَّنْتُ كل ذلك في كتاب ﴿وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:43]. إذن فلا يمكن أن يذهب

(1) المُجَلِّبَة: المجتمعة.

(2) رواه أحمد في مسنده (22770) واللفظ له، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف، والحاكم في المستدرك (8293)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وقال الذهبي في تلخيص المستدرك: إسناده مظلم.

نداء الله في أمة حبيبه ﷺ من غير مجيب، ولا يمكن إلا أن تَدَّكِرَ الأمة من بعده كلها، لأنها لابد أن تنجو من العذاب الذي سوف يستأصلها مثلما استأصل الأقوام الذين ذُكِروا في هذه السورة الكريمة لو أنها لم تَدَّكِرْ).

وكيف لا نكون نحن المقصودين في هذه الفترة الزمانية الأخيرة التي استجمعت فيها البشرية كل ذنوب الأمم السابقة التي أهلكها الله ولذا قال –سبحانه– بعد ما ذكر الأقوام الهالكة وانتهى وشرع في توجيه الخطاب لهذه الأمة .. قال بعد ذلك عنا: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: 52].

وهنا ملاحظة مهمة هي أن الله تبارك وتعالى ينادي على الأمة كأمة وأفرادٍ؛ فردًا فردًا لتَدَّكِرَ كلها وليس النداء على واحد، ولكن بما أن المُدَّكِر غير موجود فلسوف يُخْرِجُ الله من يُلَبِّي نداءه فتنهض الأمة كلها إلى كتاب ربها... فتكون عندها عودة القرآن العظمى.

ولكنَّ هذا هو المُدَّكِر الأول وكل مُدَّكِر من بعده لابد أن يكون مُتدبِّرًا خاشعًا متذكِّرًا، فهذه مرحلة لابد أن يعيشها ويحياها مع كلام الله، إلا أن له ميعادًا أبعد من مجرَّد التدبُّر؛ إنه يعود فينظر ويديم النظر بين آيات الله وأحوال أمته بل أحوال زمانه، ومن هذا الادِّكار العظيم يكون الميعاد العظيم فيكون الانطلاق، وما رأيت الادِّكار ورد في القرآن العزيز إلا في سورة يوسف، فقد قال –سبحانه– عن السجين الذي أُطْلِقَ سراحه فنسي ثم تذكَّر، فقال –سبحانه–: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: 45]، وهذه الآية تثبت كذلك أن لابد للمُدَّكِر من عودة ولابد له من تذكُّر ولابد لتذكُّره واعتباره من

قرار، كما قرَّر هذا الرجل العودة إلى يوسف في سجنه ليسأله فكانت النجاة بعد هذا الادِّكار لمصر كلها.

إن إعادة الناس لِتَلَقِّي القرآن تَلَقِّي القلوب الجادَّة، والآذان الواعية والعقول المستبصرة الفاهمة ليست مهمة ممكنة اليوم إلا بتمكين الله تبارك وتعالى، فالزمان كله تغيَّرَ، فما عاد للقرآن من ميزان إلا بالتلاوة وحدها، ودون تجاوزها إلى الفهم الصحيح والعلم الحق والعمل والإقامة، والقوامة.

كيف والمسلم اليوم يحفظ القرآن من الدفَّة إلى الدفَّة وهو لا يفهم ماذا يريد الله منه؟!

كيف وإمام الناس في الصلاة يصلي في الناس الصلوات ويقيم بالقرآن كاملًا في رمضان وهو لا يعي جيدًا ما يقرأ، كيف وعموم المصلين ينصتون للقرآن ولكنهم لا يلتفتون من القرآن الكريم إلا لآيات العذاب حيث يتباكى الإمام أو يبكي أحيانًا فيبكون؟!

كيف وبعض مُعَلِّمي القرآن لا يحسنون تفهيم طالبٍ لو طلب منهم بيان آية من آيات الله.

يقول الشيخ علي الطنطاوي:

بل لو رأيتم رجلا قعد يقرأ جريدة حتى أتـمَّها كلها، من عنوانها إلى آخر إعلان فيها، فسألتموه ما هي أخبارها؟ فقال: والله ما أدري، لم أحاول أن أتفهَّم معناها...

فماذا تقولون فيه؟ أما تنكرونه وتنكرون عليه؟!

فكيف لا تنكرون على من يعكف على المصحف، حتى يختم الختمة، وقد خرج منها بمثل ما دخل فيها، ما فهم من معانيها شيئًا!

فمن أين جاءت هذه المصيبة؟ وأي عدو من أعداء الله استطاع أن يلعب هذه اللعبة فيحرم المسلمين من قرآنهم - وهو بين أيديهم -، وفي كل بيت نسخ منه، وهو يُتلَى دائما في كل مكان؟ يحرمهم منه وهو في أيديهم وهو ملء أنظارهم وأسماعهم؟!

مسألة عجيبة جدًا والله![1].

❁ كيف يعود لنا التدبر؟

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: 82].

فما هو الحل الحقيقي لهذهِ المعضلة ...؟!

(وقبل أن أذكر ما يعلمني الله من الحل فإني لأعتقد أننا إِنْ نجحنا فيه لتكونَنَّ عودة الأمة - بإذن الله - من خلال حلقات القرآن).

❁ الحل الأول: أخذ القرآن بقوة

هل تذكر يا بُنِيّ ماذا حدث في اللقاء الأول مباشرة في غار حراء ما بين النبي ﷺ وبين جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ... وماذا صنع جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ برسول الله ﷺ قبل أن يعطيه آية آية

(1) كتاب فصول إسلامية، ص (204).

من كتاب الله تبارك وتعالى..؟

عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، وَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ، وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ[1]، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءَ فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: 1]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» قَالَ: «فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[2]، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ[3] ثُمَّ أَرْسَلَنِي[4]، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: 1]، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾[العلق: 1]، فَقُلْتُ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾ [العلق: 1] حَتَّى بَلَغَ ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: 5]، قَالَ: فَرَجَعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ[5]، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»[6] فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[7]، فَقَالَ يَا خَدِيجَةُ: «مَالِي؟» فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَ: «وَقَدْ خَشِيتُ عَلَيَّ»، فَقَالَتْ لَهُ كَلَّا أَبْشِرْ، فَوَاللهِ: لَا

(1) الليالي ذوات العدد: أي الليالي الكثيرة.

(2) غطني: معناه عصرني وضمني يقال غطه وغته وضغطه وعصره وخنقه وغمزه كله بمعنى واحد.

(3) الجهد: يجوز فيها فتح الجيم وضمها لغتان وهو الغاية والمشقة، ويجوز نصب الدال ورفعها؛ فعلى النصب بلغ جبريلُ مني الجهدَ، وعلى الرفع بلغ الجهدُ مني مبلغَه وغايتَه.

(4) أرسلني: أي أطلقني.

(5) ترجف بوادره: ترجف ترعد وتضطرب وأصله شدة الحركة، والبوادر جمع بادرة وهي اللحمة التي بين المنكب والعنق تضطرب عند فزع الإنسان.

(6) زملوني: أي غطُّوني بالثياب ولفوني بها.

(7) الروع: هو الفزع.

يُخْزِيكَ[1] اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ[2]، وَتَقْرِي الضَّيْفَ[3]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ[4]، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ابْنِ قُصَيٍّ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَكَتَبَ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: أَيْ ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنَ أَخِي مَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[5] الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا[6]، أَكُونَ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟»، فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ، أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[7]، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[8] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ».

وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً، حَتَّى حَزِنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ،

(1) لا يخزيك: الخزي هو الفضيحة والهوان.

(2) وتحمل الكل: الكل أصله الثقل، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ﴾ [النحل: 76]، ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء.

(3) تقري الضيف: والقِرى هو ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب، وما يحتاجه حال وجوده عند مُضيفه؛ أي: أنت تكرم الضيف.

(4) وتعين على نوائب الحق: النوائب جمع نائبة وهي الحادثة وإنما قالت نوائب الحق لأن النائبة قد تكون في الخير وقد تكون في الشر. قال الإمام النووي في شرح مسلم: «قال العلماء رضي الله عنهم: معنى كلام خديجة رضي الله عنها: إنك لا يصيبك مكروه؛ لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق وكرم الشمائل، وذَكَرَتْ ضروبًا من ذلك، وفي هذا دلالة على أنَّ مكارم الأخلاق وخصال الخير سببُ السلامة من مصارع السوء».
فمَن أراد أنْ يوفِّقه الله تعالى، وييسِّر له أسبابَ النجاح، ويفتح له قلوب الخَلْق، فليلزم هاته الخصال، وهذا ما شهدت به حكيمة قريش أمُّ المؤمنين خديجة بنتُ خويلد رضي الله عنها لرسول الله ﷺ، وقد صَدَقَت فراستُها رضي الله عنها.

(5) الناموس: هو جبريل عليه السلام، قال أهل اللغة وغريب الحديث: الناموس في اللغة صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر يقال نَمَسْتُ السرَّ أَنْمِسُه أي كتمتُه.

(6) جذعا: أي شابا قويا حتى أبالغ في نصرك.

(7) نصًرا مؤزرًا: أي قويًا بالغًا.

(8) ينشب: أي يلبث.

تبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللهِ حَقًّا، فَيُسْكِنُ ذَلِكَ جَأْشَهُ[1]، وَتَقَرُّ نَفْسُهُ ﷺ، فَيَرْجِعُ فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ، وَفتَرَ الْوَحْيُ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ[2].

يُخْطِئ أعظم الخطأ من تَخَطَّى ضمة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ولم يعطها حقها من تدبُّر ومحاولة معايشة حالة رسول الله ﷺ إذ هو فيها، وإذ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يكرِّرها ثانية فثالثة، ثم بيان ما فيها من أهمية، وكم يفوت حافظ القرآن وطالب الحفظ مفتاح الخير حين لا يأبه بهذهِ الضمة ولا يأخذها مأخذها اللائق بها... بينما أقل الواجب هو أن يتنبَّه طالب الحفظ وشيخه هنا: لِمَ هذه الضمة؟ لِمَ هذه الحركة؟ لِمَ من المَلَكِ العظيم جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ في أول نزول للقرآن الكريم؟! لِمَ رافقت هذه الضمة الكلمة الأولى من كلمات الله تبارك وتعالى .. والكلمة الأولى في هذا الكتاب الأعظم؟!

كيف يمكن أن أنتفع بها في بداية مشواري مع حفظ القرآن الكريم؟ كيف تُنَبِّهُ هذه الضمة الأجيال إلى حفظ القرآن .. إلى فهم القرآن .. إلى أخذ القرآن بأقصى جدية، كيف؟!

كيف يتشرَّب قلبي الجدية من هذا الموقف الشديد؟ نعم هنا يجب أن يتفكَّر ويتدبَّر طويلًا عند أول أخذه القرآن حفظًا... يستحضر ضَمَّة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ وكأنها

(1) الجأش: القلب.

(2) رواه أحمد (25959)، وقال شعيب الأنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. دون قوله: حتى حزن رسول الله - ﷺ فيما بلغنا - حزنًا... إنما هو من بلاغات الزهري، ومعلوم عند أهل العلم أن بلاغات الزهري واهية ليست بشيءٍ.

ضمةٌ له، وكأن أضلاعه هي التي توشك أن تنكسر، أم تحسب أن رسول الله ﷺ نسي هذا الموقف بمجرد أن غادره جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ... فهذا والله هو الموقف الذي لم ينسه رسول الله ﷺ أبدًا، لأنه الأمر الذي لم يتكرَّر بعد أول مرة مع أن موضوعه يتكرَّر كل مرة، ولأنه ارتبط بكل مرة يُلْقي فيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يلقيه عليه ﷺ ليقرأ الجديد، ولأن هذا هو الظن برسول الله ﷺ فرسول الله ﷺ لا يحتاج أن يُضَمَّ كل مرة تلك الضمة التي يظن فيها لشدتها أن روحه سوف تخرج، فهو سيد الذاكرين والمتذكِّرين والفطنين والمُدَّكِّرين، وكيف يحتاج إلى مَنْ يُذَكِّرُه بعناء تلك اللحظة العظمى التي لم تُسبَق بمثلها أبدًا، وهو من عاشها بكيانه بل بروحه التي أحسَّ أنها سوف تخرج وسوف يموت!

إن قارئ القرآن لابدَّ عند الابتداء في الحفظ أن يعرف جيدًا لحظة ما قبل بداية نزول القرآن ومعها لحظة تنزُّله ... فالبداية بالبداية .. فلعل الانطلاقة بالانطلاقة .... ولعل الجدية تلك تثمر الجدية والعمل والغرس، ولعل البركة تسري، ولعل الماء في الجنات المعروشات اليابسات يجري، ولعل الثمرة تجري غذاءً وقوتًا ودواءً وغرسًا.

ومع هذا فقد كان النبي ﷺ يلقى منه شدة حتى وإن لم تكن مثل الأولى لكن وردت صفاتها في الأحاديث، فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الجَرَسِ[1]، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ[2] عَنِّي وَقَدْ

(1) صلصلة: هي صوت الحديد إذا حرك وتطلق على كل صوت له طنين. والمشبه هنا صوت المَلَك بالوحي.

(2) فيفصم: أي يقلع وأصل الفَصْمِ القطع من غير إبانة.

وَعَيْتُ[1] عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ[2] عَرَقًا[3].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ سُمِعَ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ»[4].

وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا»[5].

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 95]، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا[6] عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ - وَكَانَ رَجُلاً أَعْمَى - فَأَنْزَلَ اللهُ تبارك وتعالى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ[7] فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[النساء: 95][8].

(1) وعيت: أي فهمت وحفظت.
(2) ليتفصد: يسيل من الفَصْدِ وهو قطع العِرْقِ لإسالة الدم شبه الجبين بالعِرْقِ المفصود مبالغة من كثرة عرقه.
(3) رواه البخاري (2).
(4) رواه الترمذي (3173)، وقال الألباني: ضعيف.
(5) رواه أحمد (24868)، وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح وهذا سند حسن.
(6) يملها: أي يمليها أي يقرؤها عليه ليكتبها.
(7) ترض: من الرَّضِّ وهو الدَّقُّ، رضَّ الشيَّءَ: كسَره، دقَّه وضربه بشدة.
(8) رواه البخاري (2832).

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: كَانَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ إِذَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُرِبَ[1] لِذَلِكَ، وَتَرَبَّدَ[2] لَهُ وَجْهُهُ[3].

وعن يَعْلَى بنِ أُمَيَّةَ: وهو يصف وجهه حين نزل عليه الوحي فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْمَرُّ الوَجْهِ، يَغِطُّ[4] كَذَلِكَ سَاعَةً، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ الَّذِي يَسْأَلُنِي عَنِ العُمْرَةِ آنِفًا؟»[5].

وقد كان الله –سبحانه– قادرًا أن يجعلها هيِّنة سهلة مثلما كان جبريل حين يأتي بغير القرآن الكريم، وهكذا ينبغي أن يعيش حافظ القرآن عند كل كَمٍّ يحفظه من القرآن يكون الابتداء واضحًا وقويًا، وبذا يُعطى الطالب جرعة من المعاني القوية واللذيذة، والهمة العظيمة العلية..

ويكفي هذهِ الضمة أنها تثير في القلب سؤالًا يقول: ماذا في هذا الكلام من المعاني؟ ماذا فيه من مطالب الله تبارك وتعالى؟ أيمكن أن يكون كل ما فيه واضحًا بَيِّنًا؟ أيمكن أن يكون كل ما فيه سهلًا خفيفًا تحبه النفوس وتهواه وليس فيه كلفة ولا شدة، ولا تضحية ولا تبعات كبار؟!

إذن لماذا جاءت الضمة الشديدة عند الابتداء بالإقراء ثلاث مرات؟ ولماذا

(1) كُرِبَ: أي لما أصابه الكَرْبُ وهو المشقة.

(2) تربد وجهه: أي عَلَتْهُ غَبَرَة والرُّبْدَة تغير البياض إلى السواد، وإنما حصل ذلك لعظم موقع الوحي، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5].

(3) رواه مسلم (1690).

(4) يغط: قال في المصباح: غَطَّ النائمُ يَغِطُّ غَطِيطًا من باب ضَرَبَ تَرَدَّدَ نفسُه صاعدا إلى حلقه حتى يَسْمَعُهُ مَنْ حوله، وسبب ما طرأ عليه ﷺ من إحمرار الوجه والغطيط حالة الوحي ثقله وشدته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5].

(5) رواه البخاري (4329).

كان العناء في كل مرة يكون فيها الإقراء الجديد؟ ثم لماذا يقول الله تبارك وتعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: 5]؟

هل هو ثقيل بقراءته أم ثقيل بحفظه، أم ثقيل بتجويدهِ؟!

❁ الحل الثاني: الاستغاثة بالله ابتداءً وتوسُّطًا وانتهاءً وعلى كل حال

إن أول ردة فعل للنفس التي تتلقَّى القرآن – وهي تريد أن تستمع للقرآن الكريم – هو أن تستنفر عن آخرها، ويثور عقلها لنجدتها؛ لأنه المُوكَل إليه الفهم، ويِهبَّ القلب إلى ربه مستغيثًا به –سبحانه– أن يُفَهِّمَه مراده ويفتح عليه بنوره، ويزيل عنه الغُمَّة والظلمة، ولعلنا نذكر هنا جيدًا هذا الحديث الذي ما مرّ عليَّ حديث في الاستغاثة مثله كما ذكرته من قبل: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أصاب أحدًا قط همٌّ و لا حزنٌ ، فقال : اللهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي، إلا أذهبَ اللهُ همَّهُ و حُزْنَهُ، و أبدلَه مكانَه فَرَجًا»، قال: فقيل: يا رسولَ اللهِ ألا نتعلَّمُها ؟ فقال: «بلى، ينبغي لمن سَمِعَها أَنْ يَتَعَلَّمَها»[1].

فلتثق تمام الثقة بأنك قادر على فهم القرآن – بإذن الله – الفهم الكافي، وأنه سوف يزيدك هدى ونورًا وبركة.. ويزيد إيمانك إيمانًا ويقينًا وإحسانًا،

(1) رواه أحمد (3712)، وقال أحمد شاكر والألباني: صحيح.

فإن الله -سبحانه- ما جعل عطاء هذا القرآن وبركته ونوره وهداه لطبقة من الناس خاصة، ولا لمستوى مخصوص من أهل العلم باللغة والفقه والأصول والحديث والناسخ والمنسوخ وما إلى ذلك بل هو للناس كافة دون استثناء، كما قال -سبحانه- عن القرآن: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: 185]، إذن فإن القرآن هدًى للناس.

وقال -سبحانه- عن القرآن: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [آل عمران: 138]، وفي الناس من لا يعرف العربية ولا يعرف الفقه ولا الأصول ولا علوم الشرع أو علوم الآلة كما تُسَمَّى؛ فكيف إذن يكون هدًى للناس، ويكون بيانًا للناس؟ وما أكثر غير العرب في الناس! ... وهل من مانعٍ أن يقرأه غير العرب مباشرة .. وهل من مانع أن يقرأه غير المسلمين من العرب؟!

نعم يبقى لأناس مخصوصين قدرة على الاستنباط من بين العلماء أنفسهم وهؤلاء هم مَنْ أمر الله -سبحانه- بالرجوع إليهم وقت الفتن، والاختلاف، والسؤال، فقال -سبحانه-: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ٨٣﴾ [النساء: 83].

يا صاح: سوف تحتاج في المرة الأولى أن تعرف تفسير بعض كلمات القرآن،

وتحتاج أن تعرف أسباب النزول، وتحتاج أن تعرف الغريب من كلمات القرآن إذا مرَّت بك ولم تفهمها، ولكن إياك أن تقيِّد عقلك بهذا ظَنًّا منك أن كل ما سوى ذلك خطأ، أو أنَّ الحق محصور في هذا الذي عرفته أول مرة. وإياك كذلك أن يذهب عمرك كما ذهبت أعمار الأكثرين من طلاب العلم وهم مستغرقون بما قيل وما رُوِيَ عن فلان وفلان من أهل اللغة في الكلمة القرآنية .. فأنهكوا أنفسهم واستهلكوا حياتهم في أقوال البشر في تقييد كلمات الله بقيود البشر، ولم يصلوا إلى اليوم الذي يطلقون قلوبهم مع كلام الله .. تقتطف بنفسها، وتعيش أجواء كلام ربها، وتتغذَّى بذاتها وتستنير وتنقل النور لغيرها ... إنها هي الغاية التي من استهلك عمره بالوسائل دونها فقد حُرِمَ!

إن البعض يريد إرجاع عظمة هذا القرآن العظيم إلى لغة العرب ..! بل يجعلها هي بحره الذي هو منهاو ويفصِّل في هذا تفصيلًا، ويُلْغِز في هذا إلغازًا ... ويكتبون ويؤلفون في هذا .. عجبًا عجبًا! ولو كان أمر العربية هكذا؛ إذًا فأين الإعجاز في أشعارها وخطبها؟! ثم من الذين تحداهم الله ﷻ بهذا القرآن إلا أساطين لغة العرب وجهابذتها؟ وعلى أي شيء مات من مات منهم عاجزًا وجميعهم عجزوا وقد قال الله فيهم وعنهم ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ﴾ ولو كان التلقي من القرآن باللغة لِمَ لَمْ يُسْلِم من خلال اللغة وحدها، بينما يسلم علي صوت قارئ القرآن من لا يعرف العربية، وآخرون قرأوا ترجمة معاني القرآن لأن الترجمة اللفظية مستحيلة؟

إن من يربط الإعجاز باللغة العربية كمن يقول: إن الإعجاز في آية الله لموسى عليه السلام؛ في العصي، فالعصي هي بحر معجزة موسى .. والعصي هي أم آيات

الله لموسى عليه السلام، وأن العصي من حقها أن تفخر بذاتها وبجميع العصي أبد الدهر!

فما اللغة العربية إلا تراث لم يكتسب عظمته أبدًا إلا بهذا القرآن العظيم أولًا وآخرًا، وبما اختص الله ﷻ به رسوله ﷺ جوامع الكلم.

ولم يكن للغة العربية أن تبقى لليوم محفوظة من أي تغير لولا هذا القرآن العظيم وقد غدت أمتها ممسوسة في كل شيء إلا في هذه اللغة لأنها لغة القرآن ولغة نبي الله ﷺ.

فمتى يباشر أهل العلم والعلماء، وأهل القرآن والقرَّاء الحياة مع كلام الله العظيم ... متى؟!

وإن من أعظم الجهل أن يركن الناظر المتدبِّر إلى ما وصل إليه ويكتفي بذلك ... هنا يبلغ قمة الجهل وقعره! فهل يَجِفُّ البحر، وهل يمكن لأي عقل أن يحيط بالبحر العادي وما فيه وما في أعماقه، وهل يمكن لجيل من أجيال الأمة أن يحيط بكلام الله علمًا؟!

بل إن الانطلاقة في كلام الله تدعو إلى انطلاقة أكبر وهكذا وهكذا. وهذا هو الشاهد على فتح الله تبارك وتعالى على قلب هذا المتدبِّر في كلامه العظيم.

❁ الحل الثالث: إياك والاستعجال بالختمة

أرأيت عملًا لمن لم يستطع حفظ القرآن كاملًا مثل أن يحفظ بعضه، أو يلازم

ختم القرآن كل شهر مرة، فإذا جاء شهر رمضان تفرَّغ تمامًا للختمات؟

هذهِ هي السُّنَّة، ولكن إياك يا صاحبي أن يلتهم الاستعجال في الختمات التدبُّر والتفكُّر الذي هو اللُّبُّ العظيم، وهو الكنز الثمين المُدَّخَر من كنوز كلام رب العالمين... فكأنك وأنت تفعل ذلك كمن خرج في سباق البحث عن كنزٍ والكنز على بعد ألفي متر من خط بداية بيته... فانطلق مسرعًا ثم عاد في وقت وجيز، فقيل له: أين الكنز؟ قال: أنا ذهبت لأقطع مسافة الألفي متر بأسرع ما عندي وها أنذا قد عدت الآن، فكنت الأول في كل من خرج من بيته وعاد؟ أرأيت عريض قفا مثل هذا؟!، أم رأيت مُضَيِّعًا كنزًا مثل هذا وقد كان مرَّ بالكنز في طريقه ذاهبًا وآيبًا ... فإن عينه منصرفة لشرعة العودة إلى البيت؟!

ولئن كان في آخر طريق هذا السالك كنز واحد أو في أول طريقه أو في وسطه، فإن في طريق الختمة يوجد الكنز في كل نَفَسٍ حتى تختم... فهل أثمن من هذا الطريق من طريق؟!... وفي المقابل؛ هل من مُضَيِّعٍ لكنوز مثل الغافل المُتَقَصِّد الغفلة عن التفكُّر في آيات الله تعالى؟!.. وأنا أقول مُتَقَصِّد الغفلة لأنه يعلم يقينًا أنه بالقراءة الخاطفة لا يفهم معناها إطلاقًا، وهو يصرُّ على ذلك!

فإياك يا صاحبي أن تبتدئ الختمة من القرآن وعينك منصرفة عما بين يديك إلى آخر الختمة، وقلبك غافل عن آيات الله مُتَطَلِّع إلى اسم الختمة وصورتها.

وإياك يا ولدي أن تحفظ شيئًا لم تفهم معناه الإجمالي على الأقل، أو تحفظ كلمة غريبة المعنى دون أن تطلب معرفة معناها.. ثم بعد ذلك أطلق لخيول فهمك العِنَان يجولوا في معاني آيات الله وتجلِّياتها، وأطلق لشراع سفنك الريح لتبحر في

بحور لا منتهى لها ولا سواحل تحدها.

وإياك أن يُلَبَّس عليك الأمر كما لُبِّس على آخرين فيضيع عليك عمرك كما ضاعت أعمارهم وهم فرحون بِبُعْدِهم إذ يطلبون القُرْب وهم لا يشعرون، وذلك حين حوَّلوا الغايات إلى وسائل والوسائل إلى غايات!

مَنْ قال: إن معرفة معاني الكلمات، والنحو، والإعراب، وقراءة مختصر في التفسير، وقراءة كتاب في أصول التفسير وضوابطه هو من الغايات؟!

بل مَنْ قال: إن الغاية هي قراءة كتاب تفسير حتى لو كان مختصرًا وقراءة ما يتعلق بالآيات من أحكام تجويد وأحكام الحروف وأحكام الوقف والوصل ونحو ذلك غايات!

كل هذا الذي سمعته وأمثاله إنما هو وسائل توصِّل إلى الغايات فما هي تلك الغايات التي هذِهِ الأمور العظيمة إنما هي مجرد وسائل للوصول إلى الغايات وبلوغها.

إن الغايات التي أنزل الله القرآن الكريم لها هي: معرفة الله -سبحانه-، والإيمان الحق بأركان الإيمان والهداية، والزكاة، وزيادة الإيمان، وإقامة الكتاب، والخشوع، والخشية، والتقوى والخُلُق الحسن وما إلى ذلك.

الغاية هي أن يكون القرآن كما في الحديث ربيع القلب، ونور الصدر، وجلاء الحزن، وذهاب الهم والغم، فإذا ما وصل القرآن إلى موطنه الموجَّه إليه وهو القلب، فلا تلتفت إلى وسائل الطريق فإنك قد تجاوزت ووصلت الغاية وهي إنشاء

علاقة مع كلام الله وهي علاقة الحب والود، وعلاقة الفهم والقرب، وعلاقة الرُشْد والرَّشَد، وعلاقة الصحبة والوفاء، الغاية هي السجدة لله وحده لا شريك له فيبلغ الإنسان كامل الاستجابة لله -سبحانه- ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وهذا المقام هو الذي يُعبَّر عنه في القرآن الكريم بالسجود لله رب العالمين كما قال -سبحانه-: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: 113-115].

وقال -سبحانه-: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: 106-109].

وقال -سبحانه-: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: 58].

الغاية هي أن يبلغ القرآن بنا أعلى الدرجات كما قال الله -سبحانه- لرسوله ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: 79].

إننا لو نظرنا في مطلوب الله منا ونحن عبيده، ماذا يريد منا إذا تَلَوْنَا الآيات وإذا

سمعناها لما وجدت فيها اشتراط العلم بلغة العرب لجميع العرب وغير العرب، ولا معرفة ما قال الآخرون في التفسير.

فما حاجة من وصل إلى بلدٍ دون تَذْكرة سفر أن يحجز تذكرة بعدما وصل ... إذن ما الحاجة لمن عرف علم العربية وفهم القرآن كما فهمه العرب الأوائل أن يعود ويقرأ (الآجُرُّومِيَّةَ وألفية ابن مالك وما إلى ذلك)؟!

أنا لا أهوِّن من معرفة الوسائل الخادمة لفهم معاني القرآن واشتراطها لكنها لا تعدو كونها وسائل، بل الفهم نفسه وسيلة والمعرفة وسيلة لغايات كما قال -سبحانه-: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [المائدة: 82-85].

فلاحظ هنا قوله -سبحانه-: ﴿تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ فمعرفتهم السابقة للقرآن كانت وسيلة لغاية عظمى تلك هي استجابتهم للحق وهدايتهم وخشوعهم وخشيتهم وبيعتهم على الحق، فالمعرفة بجميع أنواعها تبقى وسيلة حتى توصِّل إلى الغاية وهي الهداية والإيمان وزيادة الإيمان والخشية والبكاء والخشوع، ولكن المشكلة العظمى هو أن يهوِّن هؤلاء من هذهِ الغايات

التي أنزل الله القرآن لأجلها ويوقفون الناس في طوابير ليس لها آخر على أبوابها ويمنعون من دخول أبواب غاياتها بحجة أنهم ما عرفوا وسائلها.

فلابدَّ لك يا صاحبي أن تقرأ القرآن لتخشى الله فإذا خشيت الله بالقرآن فلا تتحسَّر على شيء فاتك بعده أبدًا، ألم يقل الله: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٢١﴾ [الحشر: 21].

اقرأ القرآن لتزداد إيمانًا دائمًا وأبدًا... ولا تلتفت بعد ذلك إلى ما فاتك فلقد وصلت إلى الغاية فالله -سبحانه- يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال: 2].

اقرأ القرآن لتعرف الله حقًا أولًا وآخرًا، فكم هم الذين يعرفون لغة العرب ولا يعرفون الله وكم هم الذين هم بحور في لغة العرب وفي الرسائل ولكنه لم يتذوق قلبه طعم قطرة من بحور القرآن، بل كم هم الذين يعرفون تفسير القرآن وأصول التفسير وكتبوا في التفسير وتكلموا فيه ولكنهم بكل ما عندهم لم يعرفوا الله -سبحانه- حقًا، وحديثهم في التفسير لا يزيد صاحبه إلا قسوة وبعدًا عن الله لأنهم تركوا حديث العباد عن غايات القرآن العظمى إلى الجدال والخلافات وتفاصيل ما لأجله أنزل الله القرآن وهي لا تزيدهم ولا تزيد مسامعهم إلا قسوة، وهكذا القاعدة الصحيحة في سماع هؤلاء أو قراءة ما كتبوا فإنهم ما داموا يصرفون عن غايات القرآن فإنهم يضرُّون ويُضِلُّون مهما كان حديثهم في القرآن جذَّابًا وماتعًا.

إياك أن تحسد هؤلاء على ما عندهم من علم... لأنهم حُرِمُوا بلوغ الغاية... وما فائدة الوسيلة إذا لم توصِّل إلى الغاية؟!

يا صاحِ كيف قلبك وأنت تقرأ القرآن وبعدما تقرأ القرآن؟... لأن الله أنزل القرآن لأجل القلوب وعلى القلوب مباشرة دون وسائط... فإذا وجدت قلبك عند القرآن ووجدت القرآن في قلبك فقد بلغت الغاية فاحمد الله.. وازدد.

كيف إيمانك وأنت تقرأ القرآن هل ترى أنه يزداد حتى لو لم تتعمَّق في المعاني؟ هل ترى أن خشيتك تشتعل؟ وأن جلدك أحيانًا يقشعر؟ وأن حبك يهيج نحو صاحب الكلام خالقنا الله رب العالمين؟... وأن علاقة ودٍّ تتوثَّق وتتعاظم؟ إذن؛ فعلى فوات أي شيء تتحسَّر؟! بل والله هم الذين يتحسَّرون على فوات أعمارهم وهم يطلبون الوسائل ولَـمَّا يعرفوا الغايات بعد ولَـمَّا ينفصلوا عن أسباب الوصول بَعْدُ، فَهُمْ في لُهَاثٍ وجهد وإجهاد ويموتون على ذلك وتتبعهم أجيال في هذا التِّيه وهم لا يشعرون.

يا صاحِ على أي شيء يكون القفل، والطبع، والختم، والأكِنَّة، والغُلْف، والغل، والمرض، وتَشَرُّب الكفر، والزيغ، والقسوة، والصمم، والريب، والنفاق، والطمس، والصرف، والأضغان، وحَمِيَّة الجاهلية، والإغفال كل هذهِ الدواهي العظمى على القلب كما ذكرها ربنا في كتابه العزيز.

فسبحان من خلق القلب وهو أعجب العجب وجعل عليه هذهِ الأشياء! وسبحان من جعل موطن نزول القرآن الكريم على القلب فإذا نزل على القلب حقًا تحطم القفل، وزال الطبع، ورفع الختم، وتبخَّرت الأَكِنَّة، ورُفِعَ الغُلْف، وتطهَّر القلب من

الغل والزيغ والنفاق والقسوة والأضغان والإغفال، وشُفِيَ من المرض والريب، والصمم وما إلى ذلك.. ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة: 97].

فـلا ينبغـي أن يُصْـرَف القـرآن عـن النـزول إلـى موطنـه الـذي نـزل عليـه أول مـرة وهـو القلـب.

فالحمد لله أنَّ نزول القرآن كان على القلب، وحفظ الحافظ له هو نزوله في قلبه لأن القلب هو السيد، ولأن القلب هو موطن الابتلاء وموطن المرض وموطن البلاء.. فمن كان سيُخَلِّصُنا مما ذكر الله لولا أن موطن نزول القرآن كان القلب..

يا صاحبي: على أي شيء يكون القفل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: 24]، والطبع: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩﴾ [الروم: 59]، والختم، وعلى أي شيء تكون الأَكِنَّة: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ وَجَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٢٥﴾ [الأنعام: 25].

وما هو الغُلْف: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨﴾ [البقرة: 88].

وأين يكون الغل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾

[الحشر: 10]، والمرض: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: 10].

وأين يكون تَشَرُّب الكفر، والزيغ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران: 7].

ومن الذي تقبح منه القسوة: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [المائدة: 13].

عياذًا بالله من ذلك ومن الصمم، والريب: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة: 45]، والنفاق: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: 77].

عياذًا بالله من الطمس، والصرف: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [التوبة: 127].

عياذًا بالله من الأضغان: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ

أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمد: 29].

عياذًا بالله من قلوب تحمل حَمِيَّة الجاهلية: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٢٦﴾ [الفتح: 26].

عياذًا بالله من قلوب أصابها العمى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج: 46].

كل هذهِ الدواهي العظمى على القلب، فسبحان من خلق القلب وهو أعجب العجب وجعل قابل للإصابة بهذهِ الأشياء! وسبحان من جعل موطن نزول القرآن الكريم على القلب! فإذا نزل على القلب حقًا تحطَّم القفل، وزال الطبع، ورفع الختم، وتبخرت الأكنة، ورفع الغلف، وتطهر القلب من الغل والزيغ والنفاق والقسوة والأضغان والإقفال، وشفي من المرض والريب، والصمم وما إلى ذلك..

فلا ينبغي أن يُصْرَف القرآن عن النزول إلى موطنه الذي نزل عليه أول مرة وهو القلب؛ ألم يقل الله -سبحانه- لرسوله ﷺ مبينًا تلك الحقيقة وذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء: 194-193].

❀ الحل الرابع: المعايشة الدائمة للخاصية العَلَيَّة لكلام الله العلي العظيم، وذلك في كل شيء

قال الله ﷻ تعالى -: ﴿ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ:23]، وقال -سبحانه-: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: 51]، ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: 4]، إن مصدر هذا القرآن هو العلي العظيم، وإن القرآن من عند الله تبارك وتعالى فهو الكلام العلي الحكيم وإن هذا المُعْتَقَد بكلام الله لا يفارق فكر أي عبدٍ مؤمن أبدًا، ولا يفارق كل قارئ للقرآن مهما زاد إيمانه، أو زاد كفره أبدًا، قال -سبحانه-: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء:194-193]، في هذهِ الآية الكريمة أشار ربنا -سبحانه وتعالى- إلى المصدر وهو أن هذا القرآن الكريم نزل من عند الله العلي العظيم، هذه الخاصية في القرآن العظيم يدركها القلب فهي ليست هبة من اليمين أو الشمال أو الأمام أو الخلف أو ما إلى ذلك إنما هي من الأعلى، وتبقى العلية في القرآن خاصية لكلام الله تبارك وتعالى حتى لو تلقَّاه الطالب من شيخه أو سَمِعَهُ المأموم من إمامه أو المنصت من قارئه... ولو كان من جهاز تسجيل أو إذاعة.. فإن الكلام عَلِيٌّ لأنه من الله العَلِيِّ العظيم ولا شيء عندنا من الله إلا القرآن العظيم... وكون القرآن عَلِيًّا فلأنه فهذا أمر ذاتي كذات الكلام لله نفسه لا يمكن أن يفصل بينه وبين كلام الله وكأي آية أخرى فيها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ أو ﴿أَنزَلْنَآ﴾ أو ﴿ نَزَّلَ﴾ أو ﴿ نُزِّلَ﴾ أو ﴿نَزَّلْنَٰهُ﴾ أو ﴿تُنَزَّلَ﴾، كما قال الله -سبحانه-: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ

﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [الدخان:4-1].

فهذا الكتاب عليًّا مستقرًّا في فِطَرِ الإنسان، وحال القرآن في هذا حال الإسلام حيث يقول النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ(1) البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ(2)»(3).

ولا غرابة أبدًا أن تكون فطر الناس تدرك أن هذا القرآن عليٌّ حكيم لأن الفطرة قائمة على معرفة الله تبارك وتعالى والله -سبحانه- هو العليُّ الحكيم وكلامه منه ولهذا كان القرآن هو الكلام العليُّ الحكيم، فكما قال ربنا تبارك وتعالى عن نفسه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: 51]، فهو -سبحانه- قال عن كتابه: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: 4]، فلا يمكن أن ينفك كون كلام الله هو الكلام العليُّ الحكيم عن أي سورة أو عبارة أو آية كريمة مطلقًا، كما أنه لا يمكن إلا أن يكون الله هو العليُّ الحكيم تبارك الله رب العالمين، فلقد أعطى الله تبارك وتعالى كلامه نفس الاسمين الكريمين اللذين تَسَمَّى بهما رب العالمين -سبحانه- كما في الآيتين السابقتين، ومن ثَمَّ فمن المستحيل أن يكون كلام أحدٍ ككلام الله تبارك وتعالى مطلقًا، ولا يمكن أن تتلقَّى النفس الإنسانية غير القرآن الكريم من المذياع مثلما تتلقَّى القرآن الكريم

(1) تُنْتَجُ: بضم التاء الأولى وفتح الثانية، ومعناه كما تلد البهيمة.

(2) جدعاء: أي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء، ومعناه: أن البهيمة تلد البهيمةَ كاملةَ الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجَدْع والنقص بعد ولادتها، وقد بَيَّنَ الحديث أن سلامة القلب من النقص كسلامة البدن، وأن العيب حادث طارئ.

(3) رواه البخاري (1385).

من المذياع... فالنفس تتلقَّى القرآن ينزل عليها من علياء... من الله، وهذا ما بقي ملازمًا للقرآن كلما سمعه سامع شَعَرَ بِعُلُوِّه، وإن زاد يقينه وإحسانه شَعَرَ بتنزُّله وأثره على قلبه من نوره وشعر بعظمته من لحظة كما قال سبحانه: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ الآن وهذا ما يشير له ربنا -سبحانه- كلما قال لنا: (نزل، أنزل، أنزلناه، تنزل، تنزيل)، وتنزُّل القرآن وأثره هذا لم يكن مجرد مثل، ولم تكن حالة حصلت واندثرت وانتهت آثارها... بل شهادتها قائمة في كل نفس، وحين تُكْشَفُ الغفلة عن القلوب ترى بعين الإحسان واليقين مهابة وعظمة كون القرآن عليًّا، وأنه حين يقرأ القرآن ويُقرأ عليه القرآن ما بين آنٍ وآخر، فيرى حقيقة نفسه - حين تجلَّت له بعض معاني العُلُوِّ للقرآن عند قراءته عليه.

نعم إن من يقرأه عليك لا ينزله عليك لأن العلو ليس طبع القارئ فالقارئ بشر، وإنما هو طبع القرآن وخاصيته الملازمة بخلاف الإنسان، ولذا حين قال النبي ﷺ لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: 41] رَفَعْتُ رَأْسِي، أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَى جَنْبِي، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ[1].

تَأَمَّلْ هو رسول الله ﷺ وهو الذي أُنزِل عليه القرآن من رب العالمين ومع هذا فقد قال لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اقرأ عليَّ، وما قال له: اقرأ لي، أو

(1) رواه مسلم (800).

أسـمعني، أو نحـو ذلـك، وكلهـا تصـحّ.

إن الله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤﴾ [الزخرف: 44]، فإن الذكر في القرآن إنما معناه الرفعة، أي يرفعك يا مَنْ أُنزِل عليه القرآن، بل يرفع أمتك كلها إلى علياء لا تبلغها بغير القرآن، ولا تبلغها أمة غيرها.

أكان هـذا الأمـر فـي القـرآن الكريـم لـولا أنـه كلامٌ عَلِـيٌّ لأنـه كلام العَلِـيِّ العظيـم سـبحانه؟!

ألا ينبغي أن يظهر هذا الأثر على حامل القرآن الكريم تواضعًا للناس وذلة للمؤمنين ورحمة للناس أجمعين كما يظهر استعلاؤه على سفاسف الدنيا واستعلاءً عن الانحطاط إلى حيث يتقاتل الكلاب على الجِيَف ... كيف يكون ذلك منك ومعك القرآن العظيم وأنت طالب حفظ القرآن العظيم؟!

وإني لأرجو أن تنظر جيدًا في [الكلمة السابعة] من الجزء الأول من هذا الكتاب فقد بحثت هذه المسألة بأوسع مما هنا والحمد لله رب العالمين.

❁ الحل الخامس: اجعل التدبر لك خاصية في كل أحوالك مـع القـرآن

تدبَّر آيات الله وأنت تحفظها وأنت تقرأها، وأنت تسْمعها، وأنت تُسمِّعها، ولا تذهل عنها، وتدبَّر ثم تدبَّر حتى يكون هذا منهجك طوال حياتك... فإن من اعتاد الاستماع والإنصات لكلام الله تبارك وتعالى من بين الناس الذاهلين... أعطاه

الله مما لا يعطي منه الآخرين، فكأنك بتدبُّرك لآيات الله (منصت مستمع متفكِّر) مستمع لسرٍّ خصَّك الله تبارك وتعالى به من بين الناس، وجزاء هذا من جنسه فَلْتَبْشُرْ بالاختصاص الإلهي لك من فهم القرآن ومن العمل به، ومن المقام المخصوص الذي يُعِدُّه الله لأهل الخصوص: (أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ)[1] وذلك في الدنيا ثم الآخرة.

اصطبغ بخصائص القرآن ما استطعت:

كل القرآن الكريم هدى ونور... وأول من يمسه الهدى والنور هو صاحب القرآن، وأول من ينبعث منه الهدى والنور هو صاحب القرآن، وأول من يمشي بالهدى والنور بين الناس هو صاحب القرآن، كما قال -سبحانه-: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: 122]، فإذا لم يُحْدِث القرآن الكريم عندك هذا التغيير العظيم، ولم تجد نفسك تتفانى لأجل إبلاغ نور القرآن الكريم للناس وهداه، ولم تجد نفسك تمشي فعليًا بين الناس بنور القرآن دعوة وبيانًا وانحلالًا، فإن في أساس علاقتك بالقرآن قطيعة وظلمة فاستدرك، فإن من أحب القرآن حقًا أحب أن يبلغ هداه للناس، حتى يحب أن يبلغ هداه الثقلين جميعًا من طريقه أو طريق غيره، وأول من يحب لهم ذلك هم أحب الناس إليه وهم قومه كما أمر الله -سبحانه- رسوله ﷺ بهذا، فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ

(1) تقدَّم تخريجه.

لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء:210 - 220]، وهذا هو أول ما فكَّر به الجنُّ بعدما اهتدوا فقال -سبحانه-: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُجِرۡكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبۡ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيۡسَ بِمُعۡجِزٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَيۡسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف: 29 - 32]، هكذا تنطبع خصائص القرآن على حامله فإن لم يجدها فليرجع فإن خللًا في المنهج نفسه.

القرآن الكريم كتاب مبارك... وأول من يبارك في الناس هو أنت أيها المبارك ثم من حولك من أهل وأرحام وتنتقل البركة لتعم فتصبح البركة أينما كنت فالقرآن في ذاته مبارك؛ قال تبارك وتعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنعام: 92].

والقرآن ذكر مبارك فقد قال -سبحانه-: ﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنبياء: 50].

وفي حديث النبي ﷺ المثل العظيم لهذا فقد قال ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن...».

❁ الحل السادس: أعط سبب النزول الذي من نفس الآيات حقه كاملاً

وهنا ثمة ملاحظة مهمة؛ فإن الله -سبحانه- إذا ذكر سبب النزول في نفس الآيات الكريمة فإن هذا النوع الأول والأعظم والأقطع في أسباب النزول؛ مثل قصة الجن حين أرسلهم الشيطان -لعنة الله عليه- ليبحثوا عن أمرٍ حدث فوجدوا رسول الله ﷺ يقرأ القرآن، فهذهِ ومثلها كثير في القرآن، وهو أن الله -سبحانه- يثبت سبب النزول في نفس الآية الكريمة فأين قول البشر من قول الله، أين رواية البشر من حديث الله، أين قصص البشر من قصص الله تبارك وتعالى؟! ولقد جاء في الحديث: «إِنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»( ).

وإن العجيب من الناس أنهم لا يلتفتون إلى هذا الفارق الهائل ما بين سبب النزول كما يرويه البشر وسبب النزول كما يذكره رب البشر -سبحانه- وكلاهما لنفس الآية، بل البعض لا يَعُدُّ ما يذكره الله -سبحانه- سبب نزول ولا يُبْحَثُ كسبب نزول! ولك أن تنظر في آيات: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ مثلًا؛ فإن هذهِ الكلمة من الله -سبحانه- وحدها نصٌّ صريح على أنهم سألوا النبي ﷺ، وهو نص في أن سبب نزول الجواب من الله تبارك وتعالى كونهم سألوه، إلا إن سؤالنا نحن هنا هو هل يعدُّ هذا سبب نزول في كُتُبِ «أسباب النزول»..؟ نعم يَعُدُّونها سبب نزول للآية إذا ذكر الرواة البشر ذلك، أما إذا ذكر الله -سبحانه- ذلك فقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ فإن هذا لا يُعَدُّ سبب نزول ولا يُبْحَثُ كسبب نزول ما دام لم يصح فيه أثر من رواية البشر، بل لا يُعَدُّ عند أهل الأثر سبب نزول ضعيف أو موضوع...!

وإن من الظلم أن ينصَّ الله لك على سبب النزول فيقول:﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ وأنا وأنت والثقلين جميعًا نقول: هذا لا يعدُّ سبب نزول لأنه لم يثبت في السنة! نعوذ بالله العظيم من ذلك.

وإن الظلم أن تحسب أن الله –سبحانه– يذكر سبب النزول، أو يقول: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ ثم يحسب العباد أن هذا التنصيص مفهوم لدرجة أن لا حاجة لبحثه، ولا النظر في فوائده، ولا التدبُّر في صلته بالآية نفسها؟! هذا وقد وردت ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة بهذا اللفظ من غير مشتقاتها الأخرى!

ولقد بيَّنتُ والحمد لله بعض ما في ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ من علمٍ وإيمانٍ وهدىً ونورٍ في كتاب (وَيَسْأَلُونَكَ) وبإمكانك أن تقارن ما بين ما ذُكِرَ في سورة الجِنِّ من رواية ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وما ذَكَرَ الله –سبحانه– في نفس السورة من قوله: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ١﴾ [الجن: 1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩﴾ [الأحقاف: 29].

فلا والله ليست ثمة مقارنة!

وفي الختام لهذه الكلمة أقول: ألا ما أخطر ذهاب التدبر!

فإذا ما رأيت نفسك أن لا بركة ولا توفيق، ولا تسديد، ولا رضا، ولا خير، ولا رشد فلتعلم أن خللًا عظيمًا في منهج الحفظ والتحفيظ وهذا ما يستدعي الرجوع إلى كلام الله تبارك وتعالى ثانية، وهنا تفصح آية سورة (ص) وقد أفصحت لكننا

كنا عنها غافلين وذلك في قوله - تعالى -: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: 29].

فالله –سبحانه– كما نَصَّ على أن هذا الكتاب مبارك وأنك أنت يا أبرك ولد آدم ﷺ محتاج إلى بركة هذا القرآن لأنه مُنزَّل إليك وأنه من ربك، وأشار الله –سبحانه– إلى أن بركته عظيمة عظمة لا منتهى لها وذلك لأن الله –سبحانه– ذكر إنزال الكتاب بضمير العظمة فقال –سبحانه–: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ فإذا كان كذلك لرسول الله ﷺ وهو المبارك، وإذا كانت حاجة رسول الله ﷺ عظيمة لا توصَف لأن القرآن كلام الله وهو من الله – سبحانه–، ورسول الله ﷺ وهو عبد الله ورسوله وهو مخلوق... فكيف بحاجة مَنْ هم دون رسول الله ﷺ وكل الناس دونه؟!

فكيف لا تصل هذهِ البركة لمن شرع في حفظ القرآن ليكمله كله، وكيف لا تصل هذهِ البركة لمن أتم حفظ القرآن الكريم كاملًا... أفلا يدل هذا على أن ثَمَّ رقم مهم قد سقط من المعادلة فمَنَعَ البركة من التحقُّق، وأسقط البركة من المعادلة، وإن اكتملت بقية عناصرها؟

نعم إن الذي سقط من مشروع الحفظ ومنع بركة القرآن أن تصبغ حياة صاحبها هي التدبُّر وذلك لقوله –سبحانه– في نفس الآية الكريمة: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، فكيف تقع النتيجة إذا لم يتحقَّق الشرط، وكيف تكون الحلقات مباركة إذا لم يكن في منهجها التدبُّر وكيف يكون أبناء الحلقات مُبارَكين إذا لم يعرفوا من القرآن وعن القرآن إلا الحفظ، وإذا تخرَّجوا فأصبحوا مُعَلِّمين لم يُعَلَّموا التدبُّر ولم يكونوا من المتدبِّرين فكيف يكونون مُبارَكين؟!

وكيف يكون أئمة الناس وأمراؤهم مُبارَكين إذا لم يكونوا أعظم المتدبِّرين حتى لو كانوا - فرضًا - حافظين، وأعظم الناس حاجة لتدبُّر القرآن هو أعظم الرعاة رعيَّة وأعظم القوَّامين قِوَامَةً.

ولهذا قال الله -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: 65 - 66].

والأخطر هو أن الله -سبحانه- اشترط للبركة التي تصيبهم أن يقيموا التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله، بل حكم الله -سبحانه- أنهم ليسوا على شيء إن لم يقيموا التوراة والإنجيل، فكيف بالأمة التي ورثت أعظم كتاب إذا لم تُقِمْهُ؟! قال -سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المائدة: 67 - 68].

الكلمة التاسعة

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾

مِثْلِيَّة السُّنَّة المباركة للقرآن الكريم في ماذا؟

الكلمة التاسعة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ مِثْلِيَّة السُّنَّة المباركة للقرآن الكريم .. في ماذا؟

هل مثل القرآن من شيء؟!

من الحجب التي حالت دون رؤية المؤمنين منزلة القرآن العظيم هو ظنهم أن سُنَّة النبي ﷺ مثل القرآن الكريم في كل شيء، وانطلقوا مُصرِّين على هذا الظن يحملون ظَنًّا توهَّموه، وفهمًا بعيدًا غريبًا فهموه لحديث صحيح رواه الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ...»(1).

إن المقصود بقوله: «وَمِثْلَهُ مَعَهُ» مثله معه في وجوب الطاعة كما قال الله سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ٨٠﴾ [النساء:80]، كما أن سبب الحديث يدل على هذا لأن كلا الاثنين تلقاهما من الوحي النبي ﷺ، ولذا قال الله -سبحانه-: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ٥﴾ [النجم: 3-5].

فسبب هذا الحديث هو هذا الرجل المتَّكِئ على أريكته الذي فَرَّق في الحكم بين حكم القرآن وحكم ما ورد عن رسول الله ﷺ، كما هو نص الحديث وبناءً عليه فرق في الطاعة.

---

(1) رواه أحمد (17174)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

وما من أحدٍ يمكن أن يقول: إن القرآن الكريم هو منطق النبي ﷺ، وما من أحدٍ -كذلك- يمكن أن يقول: إنَّ سُنَّةَ النبي ﷺ هي كلام الله.. فهل في هذهِ مماثلة؟!

ثم هل تحدَّى الله الخلق بكلام النبي ﷺ... أم تحَّداهم بالقرآن الكريم؟!

ألم يمنع النبي ﷺ كتابة شيء عنه هو ﷺ حتى ثبت القرآن في نفوسهم وثبتت معرفته وتمييزه قطعًا عن حديث رسول الله ﷺ وعن أي شيء سواه، وقال ﷺ: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا إِلَّا الْقُرْآنَ، فَمَنْ كَتَبَ عَنِّي شَيْئًا فَلْيَمْحُهُ»، وَقَالَ: «حَدِّثُوا عَنِّي، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(1).

ولكن هل كان الصحابة وهم أهل العربية الأصلاة لا يقدرون على تمييز حديث الله ﷻ وهو أحسن الحديث عن حديث رسول الله ﷺ؟! بلى والله قادرين وعارفين والله ﷻ يقول للخلق كافة: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ [الطور:34]، ويقول: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[النساء:122]، إنما هو بيان التعظيم الذي لا نظير له، والاحتياط فوق الاحتياط له، ثم الإشارة أنكم إن فقدتم يومًا كل شيء فلا تفقدوا القرآن فمنه سترجعون بالسنة وبالأمة وبكل ما فقدتم لأنه هو حبل الله المتين وهو من تكفل الله بحفظه ورب العالمين يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:9]، ووالله لا أحد أعظم غيرة وأعظم تعظيمًا للقرآن من رسول الله ﷺ.

أفترون رسول الله ﷺ يسكت لو أنه سمع قائلًا يقول له: إن كلامك يا رسول الله مثل كلام ربك في كل شيء؟!

(1) رواه أحمد (11344)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

فكيف نسكت نحن اليوم وقد طغى هذا الفهم والقول على كثير من المسلمين من أهل العلم خاصة؟! وما المثليَّة المذكورة في الحديث: «إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ» إلا المثليَّة في طاعته ﷺ فطاعة الرسول مثل طاعة الله ﷻ وإلا كيف يكون رسولًا من عند الله؟ وكيف يكون الإلزام بطاعته إذا لم يأمر الله –سبحانه– بها أمرًا صريحًا مماثلًا لطاعة الله –سبحانه–، كما قال –سبحانه–: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

إن من نكد الزمان وإن من ظلمة الأيام على هذهِ الأمة أن يبلغ الحال بنا أن أقوم أنا أو أي واحدٍ غيري لندافع عن هذهِ القضية، ونكتب ونصيح بأعلى ما يبلغ نداؤنا: أنْ يا ناس كلام الله ليس مثله كلام...!

إن كلام الله هو معجزة رسول الله ﷺ وليست معجزته ﷺ كلامه ولا سُنَّتَهُ ﷺ.

كلام الله هو الذي جعل رسول الله ﷺ على قراءة الحرف الواحد منه حسنة مضاعَفة وليس كلامه ﷺ وأنعم بكلامه ﷺ.

كلام الله ﷻ هو الذي تحدَّى الله الخلائق به، وهو الذي قال الله فيه ولم يقل هذا في سواه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: 88].

كلام الله هو من الكلام الذي قال الله –سبحانه وتعالى– فيه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾ [الكهف: 109]، وليس أي كلام مثله في هذا أبدًا.

ما بين قال الله ﷻ عن قال رسول الله ﷺ؟!

أما كلام رسوله ﷺ فإنه الكلام الذي قال فيه ﷺ: «أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»(1) فما تبلغ جوامع الكلم على عظمتها أمام القرآن العظيم؟! والله يقول -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان: 27]؟!

أين القول العليُّ الحكيم من قول غيره، وإن نفس كلمة (جوامع الكلم) إنما هي تتضمَّن الإقرار بالتفريق، وبيان ما بين كلمات الله وكلمات رسوله ﷺ، ذاك أن الله -سبحانه- يوحي ما يريد لرسوله ﷺ وأن رسوله ﷺ (لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى)، فكان ﷺ يصيغ ما أوحى له جبريل عليه السلام بالمَلَكَة التي وهبه الله إياها، وهي (جوامع الكلم) فكانت سُنَّته الشريفة ﷺ. إذن فهذا كلام رسول الله ﷺ وهو مخلوق وجوامع الكلم جمعها رسول الله ﷺ بما وهبه من قدرة وهبها الله لرسوله ﷺ وكل هذه المراحل مخلوقة أما القرآن فكلام الله رب العالمين، فمن يُبَلِّغُ الناس أنَّ كلام رسول الله ﷺ إنما هو كلام عبد الله ورسوله ﷺ.. وأنَّ نسبة كل كلام يجب أن تكون لصاحبه، فكلام رسول الله ﷺ مخلوق كريم من مخلوق كريم ﷺ، والقرآن كلام الله من الله فلا والله ما هو بمخلوق لأنه كلام الخالق تبارك الله رب العالمين.. كلام رسول الله ﷺ كلام سيد البشر رواه عنه بشر عن بشر عن بشر وهكذا حتى وَصَلَنا فهو بعيد الجذر في البشرية، أما كلام الله فهو عن الله مباشرة

(1) رواه أحمد (7403)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

وليس ثَمَّ أحد، إلا جبريل عليه السلام وهو ليس من البشر، والله -سبحانه- يقول عن مَنْ تلقَّاه وهو رسول الله ﷺ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة: 44-52]. وحاشا رسول الله ﷺ أن يتقوَّل شيئًا والله سبحانه يعلم بذلك إلا أنه يدافع عن معجزته ﷺ ويذب عنها أمام أي محاولةٍ أو اجتهاد بأي نيةٍ كانت ... فمن يقوى بعد هذا على أي محاولة هنا؟!

ألا إنَّ الفارق حين نقول: قال رسول الله ﷺ، عن القول: قال الله تعالى لا يمكن لأحدٍ حدَّه! فهل مثل الله أحد؟! سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، أم مثل قول الله تعالى قول أحد؟!

والله إن الفارق بين القولين كالفارق ما بين مصدر كل قول.. فهل أوضح من هذا الفارق فارقٌ؟ وهل أوضح في هذا الشأن من قول رسول الله ﷺ: «إِنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»(1).

وبهذا استبان الفارق بقول رسول الله ﷺ وانقطع كل مجادل في هذا فهو ﷺ قال: «إِنَّ فَضْلَ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ» وما استثنى رسله ولا استثنى نفسه ﷺ، ولا استثنى ملائكة الله، وَجَمَعَ الجميع بصفة المخلوقية، فكلام الله غير مخلوق وهو من الله وكلام خلقه مثلهم فهو مخلوق من مخلوق.

(1) فضائل القرآن لابن كثير ص (274)، قال الشيخ أبو إسحاق الحويني: والحديث حسن بجملة هذه الشواهد.

وهنا تَأَمَّلْ جيدًا، كل كلام يفصح عن صاحبه فكلام رسول الله ﷺ هو كلام بشر والبشرية بأرقى خصائصها واضحة ظاهرة عليه.

فهو كلام بشر وإن كان سيد ولد آدم ﷺ... تأمَّل في كلامه ﷺ تجده كلام عبد الله ورسوله ﷺ، وإنه حين يكون كلامه أرق ما يكون وأرقى ما يكون فإنما يكون أكثر ما يكون تعبُّدًا وعبودية لخالقه –سبحانه–، كما في دعواته ومناجاته كقوله في دعائه في تهجُّده: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ: لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»(1).

وكل دعواته وأذكاره ﷺ كذلك .. وهي بغير شكٍ من سُنَّتِه.. فإن عبوديته ﷺ واعترافاته وذلته تظهر من كلماته المباركة مثل أذكار النوم مثلًا: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وأَحْيَا»(2)، وأدعية الاستيقاظ مثل: «الحَمدُ للهِ الَّذي أَحْيانا بعدَما أَماتَنا وإليهِ النُّشورُ»(3)، ثم هو يقول الدعاء من مناسبته وواقع حالته فحالته هو النوم ثم الاستيقاظ منه وهذان الأمران أعظم الشهود على مخلوقيَّته ومخلوقية كلامه ﷺ أمام ربه وخالقه وأمام كلامه ﷻ فهو –سبحانه– الله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ

(1) رواه البخاري (6317).

(2) رواه البخاري (6324).

(3) رواه البخاري (6325).

ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: 255].

وكل قوله ﷺ قول العبد الذي هو أعظم عباد الله من ذرية آدم عبودية لربه ﷻ وكان ﷺ يقول: «إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ»(1).

وكونه -سبحانه- قال عن رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: 4-3]، فهذا أمر الله ضروري، فإذا لم يكن أي نبي يتلقَّى الوحي من الله ﷻ قولًا وفعلًا فمن أين يتلقَّى؟! فكيف برسول الله ﷺ، لكن أيعني هذا أن كلامه ككلام الله، وأن كلامه قرآن، عياذًا بالله من هذا الفهم الشيطاني الرجيم.

إن البشرية والعبودية هي صبغة كل عبد صالح وكل داعية، وهي صبغة كل نبي وهم سادة الخلق، فهم رسل الله وأولهم وأولاهم وأعظمهم عبودية هو رسول الله ﷺ، ومعاذ الله أن يختلط هذان الأمران في أي شيء، وكلما علت درجة العبودية في بشر علت درجته عند الله، ولقد قال الله -سبحانه-: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: 79]، إنه لا يُشترَط أن يقول ذات اللفظ أي يقول: ﴿كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ولكن ربما اختلط لفظ خطابه فيكون بهذا وقع فيما نهى الله عنه.. وهذا ما نفاه الله عنهم، فخطابهم بشري مُحَصَّن، أما القرآن الكريم فهو من الله بكل معنى الكلمة، وأما

(1) رواه ابن ماجة (3312)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح.

جبريل عليه السلام فهو الأمين الذي نزل به، وأما رسول الله ﷺ فإنه عبد الله الذي تشرَّف أعظم الشرف بنزول كلام الله على قلبه وهو سيد الخلق... وهو أعرف الناس بما يعني كلام الله ﷻ بالنسبة لله، وما يعني كلام الله بالنسبة لأي مخلوق، ولذا قال في الحديث: «وَمَا تَقَرَّبَ العِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِ مَا خَرَجَ مِنْهُ»[1]، وقد أخبر النبي ﷺ أنه يعود كل شيء لصاحبه، فإن كلام الله يُرفَع ويعود إلى الله في آخر هذهِ الدنيا.

لو حيت القلوب لأدركت:

إن الأمر بالنسبة للقرآن يختلف اختلافًا كليًا عن كلام رسول الله ﷺ، فكما رأينا في كلام رسول الله ﷺ تتجلَّى بَشَرِيَّة رسول الله ﷺ وعبوديَّته لربه –سبحانه– في كل كلمة من كلماته، فإن الأمر بالنسبة للقرآن الكريم - ومن هذهِ الناحية - على المقابل من ذلك فإنه وفي كل كلمة من كلمات الله تتجلَّى من خلالها عظمة الله رب العالمين وتتجلَّى عظمة أسماء الله الحسنى، أتدري ما عظمة هذا القول أي أن نقول: (تتجلَّى عظمة الأسماء الحسنى): إن تجلِّي عظمة أسماء الله الحسنى تعني تجلِّي عظمة الله –سبحانه–، فهل أسماء الله إلا الله وهل الرحمن إلا الله، وهل الرحيم إلا الله، وهل الحكيم إلا الله، وهل العزيز إلا الله، وهكذا بقية الأسماء التي نعرفها والأسماء التي استأثر الله بعلمها في الغيب.

فإذا قلنا إن كل اسم من أسماء الله الحسنى تتجلَّى عظمته في كلام الله فهذا يعني أن عظمة الله تتجلَّى في القرآن الكريم كله دون استثناء... وهذا حق.

---

(1) رواه الترمذي (2911)، وقال الألباني: ضعيف.

والله لو حَيَتِ القلوب لأدركت من هذهِ الكلمة عظمةً لولا فضل الله -سبحانه- لذاب القلب وتفتَّت وانماع أودُكَّ كما دُكَّ الجبل لما تجلَّى له ربه -سبحانه- وخرَّ موسى صَعِقًا عَلَيْهِ السَّلَامُ.

لن يجد التائه في بحثه عن ربه وسؤاله الدائم أين ربي؟ مثل أن ينظر في القرآن، نعم السموات تشهد والأرض تشهد والمجرَّات تشهد والذَّرَّات تشهد وكل شيء يشهد بأن ربه الله ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: 21]، وكل هذهِ شهادات المخلوقات لربها عَزَّوَجَلَّ أما القرآن فهو حديث الله -سبحانه وتعالى-، فالله -سبحانه- يتحدَّث وحديثه أحسن الحديث... فكل شيء هنا من الله من العليِّ العظيم، من العليِّ الحكيم ... وكلامه «عليٌّ حكيم» كما قال هو -سبحانه-: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الزخرف: 4]، لأن هذا الكتاب كله من الله، إلا أننا حين نتحدَّث عن السُّنَّة المُشَرَّفة نقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَنْعِم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل ما نقوله هنا فهو عن سيدنا ونبينا عبد الله ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولكن كما تظهر عبوديَّة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كل ما يُرْوَى عنه... فإن كل كلام الله يُظْهِرُ من عظمة الله ما لا يمكن الإحاطة به.

في كل موطن تقع عليه عينك في القرآن فهو من الله مباشرة، انظر ودَقِّق، ثم تأمَّل وتدبَّر، ثم اشهد وأدرك؛ فالكلام الذي تراه على صفحات القرآن الكريم كله .... فإنما هو كلام الله، فإذا وجدت مدحًا لمخلوق فهو مدح الله لمن يشاء من خلقه، وإذا وجدت أمرًا أو نهيًا فهو تكليف الله مباشرة لمن يشاء من خلقه وأنت واحد منهم.

وإذا وجدت في القرآن بشارة فهي بشارة الله رب العالمين .. وإذا وجدت إنذارًا فهو إنذار الله رب العالمين .. وإذا وجدت قصة فالذي يقصها الله رب العالمين ..

فالقرآن الكريم كُلُّه حديث الله وهل أحسن من حديث الله حديثًا؟! أما السنة فهي حديث رسول الله ﷺ منسوبة إليه ﷺ، وهل من أحدٍ من خلق الله أحسن حديثًا من حديث رسول الله ﷺ ؟!

وإذا وجدت حُكمًا فهو حُكم الله ﷻ ومن أحسن من الله حُكمًا. إن المقارنة بالنظر ما بين كلام الله وبين كلام من سواه لتزيد الإيمان إيمانًا واليقين يقينًا والإحسان انكشافًا وحُسنًا.

فهل يحتاج الأمر أن ترى في هذا الموضع كيف تحدَّث الله -سبحانه وتعالى- عن هذا القرآن، وكيف تحدَّث عن اعتراضات المشركين على رسوله ﷺ، وترى بنفسك كيف تولَّى رب العالمين الإجابة عليهم بنفسه -سبحانه-... انظر قليلًا... ترى كيف تتجلَّى عظمة الله الحسنى من خلال عظمة كلامه العظيم وأسماء الله في كل كلمة لنعرف أي كلام مثل كلام ربنا ﷻ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ فَضْلَهُۥ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ
عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن
يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴿٩٥﴾ قُلۡ
كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ
فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ
عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ
كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ
أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۡ وَجَعَلَ لَهُمۡ أَجَلٗا لَّا رَيۡبَ
فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ
ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾﴾ [الإسراء: 86 - 100]، فهل تأمَّلت هذهِ الآيات جيدًا... فهكذا هو القرآن كله.

يا صاحِ: من يقوى من خلق الله أن يتحدَّث عن رسل الله عليهم السلام أو عن ملائكة الله مثلما يتحدَّث رب العالمين عنهم -سبحانه- فيقول: ﴿وَمَآ
أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُواْ
ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم
بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ
وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ
جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء: 25 - 29]، ويقول -سبحانه-:
﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ

﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسۡـَٔلُ
عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: 19 - 23].

من يقدر أو يستطيع أو ينبغي له أن يتحدَّث عن ملكوت الله كما تحدَّث الله -سبحانه-؟! لكن هذا هو القرآن الذي تتجلَّى فيه عظمة الله وتنطق فيه تجلِّيات أسماء الله الحسنى -سبحانه- يتجلَّى فيه حديث الله العليِّ العظيم فيقول الله -سبحانه-: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ
وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ
وَجَعَلۡنَا فِيهَا فِجَاجٗا سُبُلٗا لَّعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ
عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ
﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ
ٱلۡمَوۡتِۗ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا
يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم
بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن
قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم
بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۗ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ
تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ

مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا
مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ
إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا
ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنبياء: 30 – 46].

وتأمَّل بعد هذهِ الألوهية المطلقة والأمر المطلق كيف يتجلَّى كلام الله العليّ العظيم على الوجود كله .... على كل شيء، فقال –سبحانه–: ﴿قُلْ
أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾
وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ
ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾
فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ
وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ
وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت: 9 – 13].

أنا لا أريد أن أفسِّر الآيات ولا أبيِّن ما فيها من آيات وأسرار، ولكني أريد أن ألفت النظر إلى الأصل الذي لا ينبغي أن لا يغيب عن أحد وهو تجلِّي الله رب العالمين في كلامه الكريم كله.. وهذا الأمر لا يحتاج إلى تفكُّر ولا تدبُّر ولا علم عميق... فمن نظر إلى كلام الله وجد الله مباشرة... وماذا سيجد إلا الله رب العالمين، ماذا يملك قارئ القرآن أن يرى غير الله وهو يقرأ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا
مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ
إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ

سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: 21 – 24].

ماذا يرى الإنسان غير الله –سبحانه– حين يفتح عينيه على:

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: 1 – 4].

أهذا فحسب؟ لا والله بل افتح عينيك على أي موضع في القرآن وستجد الله رب العالمين –سبحانه وتعالى– إذ هو يُشَرِّع لنا الشرائع ويحكم بحكمه وهو خير الحاكمين حتى في أدق تفاصيل الأحكام وأخصِّها بالإنسان نعم هي أحكام تفصيلية ولكن حين يتحدَّث الله –سبحانه– بها فإنها أحكام عَلَيَّة مطبوعة بطابع العُلُوِّ .. ولا يملك العبد إلا أن يخضع لها، وإلا أن يعلو بها ... لأنها حديث الله العليِّ العظيم وحديث الله يعليه، فيقول –سبحانه–: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ

مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ
حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ
﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ
وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ
وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ
﴿٢٢٦﴾ وَإِنۡ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ
وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن
تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ
فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ
أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ
ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا
لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ
عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ
إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ
أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ
كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ
إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا

فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ
عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ
يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ
فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ
وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ
يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ
عَلَى ٱلۡمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ
مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ
ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا
تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾
فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى
ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ ﴾ [البقرة: 219 – 240].

انظر في القرآن فإذا وقعتْ عينك على قصة فإن الله العليَّ العظيم -سبحانه- هو مَنْ يَقُصُّ عليك القصة: ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف:3]، وكما قال -سبحانه-: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ

مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: 111].

وتجد فوق كل هذا في القصة كما في الخبر كما في الأحكام من أمرٍ ونهي كما في الحديث عن الدار الآخرة من جنة ونار وحساب كما في الحديث عن الحياة ... عن الأرزاق ... عن الآجال، كما في الحديث عن الدعوة إلى الله، كما في الحديث عن الكافرين، وعن اليهود وعن النصارى، كما في الحديث عن الأخلاق من صدق ووفاء وبذل وعطاء وتضحية، وضد هذهِ الأخلاق... في كل شيء مما ذكرنا وما لم نذكر من هذهِ العناوين وتفاصيلها وغير هذهِ العناوين وتفاصيلها تجد الله رب العالمين.. تجده –سبحانه– ولو لم تكن تعرف الأحكام وتفاصيلها أو تعرف الأحكام وفقهها، أو تعرف اللغة وبلاغتها.

إنه الله رب العالمين متجلِّيًا –سبحانه– من خلال كلامه الكريم بعظمته وعُلُوِّه على جَوِّ الكتاب الكريم كله، وعلى جوِّ السورة .

متجلِّيًا –سبحانه وتعالى– على مذاق الكلمة القرآنية، متجلِّيًا في روح العبارة هناك، في خلود الكلام كله، في بحور الكتاب كله والتي لا منتهى لبحورها، في نور الكتاب المنبعث من كل شيء، في الإعجاز الذي لا يغادر أي كلمة، في حياة الكلمة بل في بعث كل كلمة بالحياة، الله تبارك الله رب العالمين في أوائل السور...–سبحانه– في أواخر السور... فيما بين ذلك... متجلِّيًا بعظمته وعُلُوِّه في كل آية وبين الآية والآية... كل هذا لا علاقة له بالعلم بالتفسير اللغوي المجرَّد، ولا بالعلوم الشرعية الأصولية والفقهية، ولا بالناسخ والمنسوخ والفروع، ولا بالمُجْمَل

والمُقَيَّد ولا بالعام ولا بالخاص، ولا علوم اللغة وغيرها... ثم بعد كل هذا تجد أثر ذلك التجلِّي الكبير في نفسك التي تنهار أحيانًا فلا تملكها، وينفرط عقد عينيك فلا تملك حبس خيرها، ويقشعرُّ جلدك ثم يلين ولا تملكه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: 23].

وقال -سبحانه- في سورة مريم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾ ۞فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: 58 - 65].

وقال -سبحانه-: ﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ وَبِٱلۡحَقِّ نَزَلَۗ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿١٠٥﴾ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗاۤ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ

سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾﴾ [الإسراء: 105 – 111].

يا صاحبي: كنتُ أُريد أن أُبيِّن المظانَّ التي إن قرأتها شعرت نفسك بعظمة أكثر وأكثر مثل خطاب الله لعباده بنون العظمة، مثل كذا وكذا... ولكن رأيت أثر التجلِّي الإلهي في شيءٍ اليوم وتراه في موضع آخر في الغد وهكذا، وترى هذهِ النفس ما لا ترى تلك النفس، بل والله ترى تجلِّي عظمة الله ﷻ حين يخاطب عباده المخصوصين خطابًا مطلقًا فهو خالقهم وهو ربهم –سبحانه– وهو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ... فلا مسحة للبشرية في خطاب الله مطلقًا ولا لمسة ولا نسمة.

تأمَّل تجلِّي عظمة الله وعُلُوِّه ﷻ في خطابه –سبحانه– لأنبيائه وهم سادة المصطفين الأخيار... وما تشعر به أنت من خطاب الله لهم وما يشعرون به هم من تجلِّى عظمة الله العَلِيِّ العظيم عليهم السلام شيء لا يمكنك تصوُّره فضلًا عن تَحَمُّلِهِ فهم أعلم الناس بالله.

إذن كيف برسول الله ﷺ والله ينزل عليه سورة بأكملها يبتدئها –سبحانه– بالتعريض بعُبُوسِهِ ﷺ فيقول: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ
﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ
إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾
كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: 1 – 16].

ويخاطب عبده ورسوله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ
شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ
عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ
ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ
لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا
ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا
وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ
قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ
يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأعراف: 19 – 27].

ويخاطب نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا
لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: 46].

ويخاطب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ
وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ
﴿١٤٥﴾﴾ [الأعراف: 145].

الكلمة العاشرة

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾

الكلمة العاشرة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾

﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ [الأعراف: 170] في هذهِ الكلمة الكريمة معنيان ظاهران: أما المعنى الأول: فهو شدة قبضهم على الدين مع شدة الفتن وشدة إعصارها وفتنتها، وأما المعنى الثاني: فإنهم يدعون الناس إلى الاستمساك بكتاب الله تعالى مع تمسُّكهم بالكتاب في كل الظروف.

وهذان العملان متلازمان لا يفترقان، فالأول يمثِّل الثبات على الكتاب وهو الذي قال الله –سبحانه– فيه: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾ [البقرة: 256].

والاستمساك ليس أمرًا سهلا أو أمرًا يحتاج إلى تحمُّل حرارة أو مرارة أو شِدَّة فحسب، ولا هو أمر يحتاج إلى قوة عضلية وسواعد فتيَّة...! إن الفتن العاتية تجرف الثابت وتُعجز المُقاوِم، وتأتيه من حيث لا يحتسب البشر فكيف يقاوم الجلد الحي الجمر.. وإذا ما قاومه فكم سيحتمل اللحم الحي والعصب الحي، وكم سوف تثبت الأصابع مطبقة على الجمر! ولهذا عبَّر النبي ﷺ عن هذا الثبات بهذا الوصف الدقيق فقال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ»(1).

وكم تشتدُّ الأمور على صاحب القرآن، وتخنقه الشدائد حتى تقطع أنفاسه

(1) رواه الترمذي (2260)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (957).

أو تكاد، وحتى يريه الشيطان -نعوذ بالله منه- أن لا فرج إلا بالتنازل عن بعض آيات الله حتى لو كان حرفًا لأنه يريد المتنفَّس ولو بنفس، إلا أن الله -سبحانه- كان يحذِّر رسوله ﷺ أن يتنازل لهؤلاء ولو عن الحرف، ولو عن البعض فقال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: 48 - 49].

ويقول الله -سبحانه-: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة: 92].

وهكذا يستمر الشد والجذب مع المستمسك بالكتاب الممسِّك به وتتنوَّع الفتن والعروض، ويتنوَّع المُسوِّقون والطرق؛ وبداية المحاولة إنما تكون بالسعي للتنازل عن بعض ما أنزل الله... فيضخِّم له شدة الأضرار بالاستمساك وكثرة الخسائر، وعظيم ما يفوت مع تهوين ترك بعض ما أنزله الله وما إلى ذلك، والشيطان ينفخ وينفث ويوسوس ويسعى أن يَفُتَّ في عزم صاحبه ويرخي يده عن حفظ القرآن وعن الاستمساك به، والثابت من يثبِّته الله -سبحانه-، وبعد فترة يجد الثابتون ثمرة الثبات ويجد أولئك الفوات .... وما أعظمه من فوات! والثبات يكون على

حفظ القرآن والاستمرار فيه خصوصًا في أوله، ويكون على تعليمه وعلى شدائد الحياة مع الاستمساك بتعليمه، ويكون على إقامته في الحياة (حياة المجتمع والبلد والأمة).

والله مُتكفِّل -سبحانه- بالمؤمنين في كل المراحل فليثبتوا ولن يعودوا من العواصف والظلمات والفتن إلا بالظفر والراحة والسعادة وحَمْدِ الله وحده.

فالثبات هو المطلوب في كل مراحل التعامل مع الكتاب العزيز، عند الشروع في مشروع حفظه، وفي كل مرحلةٍ من مراحل الحفظ، وعند التحُّول من تعلُّمه إلى تعليمِهِ، وعند حمله وتبليغه، وعند إقامته في الناس.

فالله ﷻ بَيَّنَ أن الموضوع هو موضوع الثبات على الكتاب وذاك من خلال هذهِ الآية، حيث قال -سبحانه-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الأعراف: 170]، ومن خلال الآية التي قبلها مباشرة وموقف الناس قبله، فقال -سبحانه-: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [الأعراف: 169]، فإن الله ﷻ قد بيَّن أعظم البيان موقف هذهِ الأمة من الكتاب من خلال فعل هؤلاء وهؤلاء من بني إسرائيل وحدهم، وإن كانت حكاية عن بني إسرائيل وحدهم، فهي حكاية لهذهِ الأمة لئلا تستبدل كتاب ربها بعرض دنيء... وإن لم يكن المقصود تحديد كمية المباع ولا صورته، وإنما المقصود وقوع اتباع هذا الخلف من أبناء هذهِ الأمة لبني إسرائيل بدليل تحوُّل الخطاب في ختام الآية من بني إسرائيل إلى خطاب عامٍ أوَّلًا

ثم إلى خطاب مباشر لهذهِ الأمة، فقال -سبحانه-: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

وهل مصائب هذهِ الأمة وما دخل عليها من نقصٍ في دينها إلا من تقليدها المغضوب عليهم والضالين خاصة؟! فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ[1] ضَبٍّ[2] لَسَلَكْتُمُوهُ»، قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ: اليَهُودَ، وَالنَّصَارَى قَالَ: «فَمَنْ[3]»[4].

والله -سبحانه- حين يحذِّر من العدوان على الكتاب وذلك لأن هؤلاء يعلمون جيدًا أن العروة الوثقى هو هذا القرآن وأن حبل النجاة وحبل السلامة لهذهِ الأمة إنما هو هذا القرآن.

ولقد صَحَّ في الحديث عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالْجُحْفَةِ فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟» ، قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، وَلَا تُهْلَكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[5].

---

(1) جحر ضب: ثقبه وحفرته التي يعيش فيها.

(2) الضَّبّ: دُوَيْبَة تشبه السحالي الصغيرة تأكله العرب، والتشبيه بجحر الضب لشدة ضيقه ورداءته ونتن ريحه وخبثه، وما أروع هذا التشبيه الذي صَدَّق معجزة لرسول الله ﷺ، فنحن نشاهد تقليد أجيال الأمة لأمم الكفر في الأرض فيما هي عليه من أخلاق ذميمة وعادات فاسدة تفوح منها رائحة النتن وتمرغ أنف الإنسانية في مستنقع من وحل الرذيلة والإثم وتنذر بشر مستطير.

(3) فَمَنْ: أي يكون غيرهم إذا لم يكونوا هم، وهذا واضح أيضا فإنهم المخطِّطون لكل شر والقدوة في كل رذيلة.

(4) رواه البخاري (3456).

(5)رواه الطبراني في المعجم الكبير (1539)، وقال الألباني: صحيح.

وَعَنِ الحَارِثِ الأَعْوَرِ، قَالَ: مَرَرْتُ فِي الْـمَسْجِدِ فَإِذَا النَّاسُ يَخُوضُونَ فِي الأَحَادِيثِ فَدَخَلْتُ عَلَى عَلِيٍّ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْـمُؤْمِنِينَ، أَلاَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ قَدْ خَاضُوا فِي الأَحَادِيثِ، قَالَ: وَقَدْ فَعَلُوهَا؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنِّي قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلاَ إِنَّهَا سَتكُونُ فِتْنَةٌ»، فَقُلْتُ: مَا الْمَخْرَجُ مِنْهَا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «كِتَابُ اللهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، وَهُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ الْـمَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْـمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي لاَ تَزِيغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسِنَةُ، وَلاَ يَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ يَخْلَقُ عَلَى كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهِ الجِنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ [الجن: 1 – 2] مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ خُذْهَا إِلَيْكَ يَا أَعْوَرُ»[1].

الحافظون الناقضون لميثاق الله ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾

الإشارات لباعة القرآن العظيم في هذا العصر في هذه الآية الكريمة:

قال ربنا ﷻ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٦٩﴾ [الأعراف: 169].

(1) رواه الترمذي (2906)، وقال الألباني: ضعيف، وقال ابن كثير في فضائل القرآن (46): والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد «كذبه» بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه «يتعمّد» الكذب في الحديث فلا، والله أعلم. وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح. أي في معناه.

ما أكثر الإشارات في هذه الآية الكريمة التي تكشف من ادَّعوا أنهم أهل القرآن في أمة محمد ﷺ ثم هم بعد هذا يفعلون فعل أئمة الكتاب المُضلِّين!

والحقيقة أنه إن كان الفعل في حق أي كتاب سابق سيئًا فإنه في حق القرآن أعظم إساءة، فإن القرآن أعظم، وإن أمانته أكبر، وإن مقام رسول الله ﷺ لايبلغه بشر، وإن أفضلية هذه الأمة أعظم.

وما أكثر الإشارات الموجَّهةِ لنا نحن أهل هذا الزمان والتي تبيِّن لنا أن فيكم المقصودين الناقضين لميثاق الله، كما كانت تبعث بإشاراتها الواضحة نفسها للأولين، أما المقصود نفسه من هؤلاء فإن كل واحدٍ من أدعياء حمل أمانة القرآن وحفظه وهو ناقض له فإنه يعلم تمام العلم أن القرآن يعنيه، وهو يفهم جيدًا رسائل الله له، وأنه مفتضح عند الله ﷻ، ثم هو بعد ذلك يصرُّ على نقض عهد الله ويصرُّ على بيعِهِ كتاب الله، ولو كان المقصود تفسير هذهِ الآية وبيانها بيانا كاملًا حسب علمنا لبَيَّنتُ ذلك كله، لكن يكفينا أن نبيِّن الآن ما يعنينا من إشارات لنا نحن أهل هذا الزمان.

أما الإشارة الأولى: فإن الله -سبحانه- ما ذكر الجيل الذي كان مع موسى من اليهود، وفيهم كان خير اليهود وما أكثر الأشرار فيهم كذلك، لكنه أشار -سبحانه- هنا للخيِّريين منهم حين ذكر -سبحانه- من يقابلهم وهم الخلف السيئون الذين ورثوا الكتاب فباعوه... فحين يَذْكُر (الكتاب) ولم يُسمِّهِ علمًا بأنه (التوراة) قطعًا فإن المراد وحدةُ اللفظ التي تذكّر بـ(القرآن) فيكم، ولذا ما احتاج كذلك أن يسمِّي القرآن .... واللبيب بالإشارة يفهم.

ثم ذكر -سبحانه- المعنيَّ بهذا وهم ورثة الكتاب في الأمة وآخر هؤلاء الورثة هم ورثة الكتاب وورثة من توارثوا الكتاب وهم الخلف الأخير وآخر الورثة لأنهم ورثة كل الورثة، فنحن لو قلنا أن المقصود هم أوَّل الورثة أو مَنْ بعدهم أو الذين في الوسط أو الذين مِنْ بعدهم.. يبقى بعد كل هؤلاء خَلَفٌ لم يشملهم الخطاب، فكان حمْلهُ علينا نحن أهل هذا الزمان بالنسبةِ لأمة محمد ﷺ هو الأولى والأصح، وهكذا حمْله على اليهود الذين في عصرنا هو الأولى والأصح، فاجتمع الخلف والخلف في هذا العصر... ليرى الناس من الذين ينتفعون بهذا التحذير ويتقون، وليروا كذلك من الذين ينتصرون في نهاية الدنيا وخلافة الله في الأرض في خَلَف الأمم كلها، وهكذا تكون نتيجة سباق التتابع الذي فيه أكثر من متسابق في كل فريق يعتمد في نتيجة المتسابقين كلها على المتسابق الأخير... وهكذا هي المعارك فإنها دول، وإنها يوم لك ويوم عليك، ولكن من انتصر أخيرا في المعركة النهائية فهو المنتصر.

أما الإشارة الثانية: وقوع الأمة في العَرَضِ الأدنى، فإن أخذ العرض الدنيوي بدلًا عن القرآن الكريم قد حدث في عدة عهود سابقة من بعض أفرادٍ هنا وهناك في هذهِ الأمة، وكلما تأخَّر العهد زاد المتساقطون نحو الأدنى فالأدنى والأدنى وهكذا دواليك، أما في هذا العصر فإن الأمة كأمة كلها قد أخذت العَرَض الأدنى وتخلَّت عن القرآن الكريم، وانعكس الحكم، فبينما كان من أخذوا العرض الأدنى هم أفراد مبعثرون في الأمة لا يكادون يُرَون ولا يُعْرَفون، فقد أصبح الاستمساك منحصرًا في الأفراد ليس إلا، والمجهودات مجهودات فردية بكل معنى الكلمة وهي تعاني الشدائد والجهد

الجهيد لأنها في سباحة ضد التيار، ولم يبق إلا حلقات القرآن وحدها والله المستعان.

أما الإشارة الثالثة: لهذهِ الفترة من الزمان؛ فهو كثرة البائعين الكتاب من أهله على أهل الدنيا وهذا أصبح ظاهرة في هذا الزمان... ولها صور عديدة تختلف في شناعتها ومنكراتها.

فأهل القرآن الذين اتخذوا اليوم القرآن تجارة دنيا، ولم يبتغوا به وجه الله ﷻ تعالى - في أعمالهم بالقرآن هم هؤلاء من الذين ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾، فإن هؤلاء لا يدخلون في حديث: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[1]، فتلك حادثة رقى فيها الصحابي رضي الله عنه سيد ذاك الحي، وهم يعلمون أن سيد الحي غني بنفسه أو غني بقومه، وهم رضي الله عنهم بحاجة ماسّة للأجرة، فهم لم يأخذوه تجارة، ولم يستكثروا فيه من الدنيا، وهذا هو المطلوب وهو المشروع لكي لا يعيش أهل القرآن عالة متسوِّلين، فيحتقرهم الناس وهم أحق الناس بالإكرام، ومن ثَمَّ ينفر الناس من القرآن لما يؤول إليه أهله الذين فرَّغوا حياتهم للقرآن، وخشية أن يستمر احتقار الناس واستصغارهم فيصيب نفوس الناس مع ما آل إليه أهل الإيمان في هذا الزمان إلى البعد عن القرآن وبُعد قلوبهم ونفرتها منه كنفرتهم من الفقر والتسوُّل والهوان.

ويعلم الله ﷻ أن أنظمة الحياة في هذهِ الدنيا سوف تتبدَّل عما كانت عليه أيام نزول القرآن خاصة، فإن نظام الوظائف اليوم هو النظام الأساسي في المجتمعات

(1) رواه البخاري (5737).

كلها وأن المساجد وأئمة المساجد وأئمة تحفيظ القرآن سوف تكون مشمولة بنظام الوظائف، فكان هذا بابًا مشروعًا لهم ولولا هذا الحديث ربما أصبح الحرج بالغًا أن يتوظَّف حافظ القرآن بوظيفة لها علاقة بحفظه القرآن... فهل يعقل أن الله -سبحانه- سوف يحرم أهل القرآن ويُضَيِّق عليهم هذا التضييق مع أنه -سبحانه- وَسَّع على الجميع ويسَّر عليهم، والله -سبحانه- يقول: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: 204]، فأهل القرآن أحق بالرحمة عالِمين ومتعلِّمين أئمة أو تابعين، ومرتباتهم التي يأخذونها على القرآن هي أحلُّ الحلال وهي أحلُّ وأحقُّ ما يأخذ عليه الأجرة، وكونها أحق فما ذلك إلا لارتباطها بالقرآن وحمايته والحضِّ على خدمته وحفظه وتعلُّمه وتعليمه.

أما ما يحدث في هذا الزمان مع بعض أهل القرآن فهذا منكر من أعظم المنكرات التي حذَّر منها النبي ﷺ وأصبحت ظاهرة في هذا الزمان... بينما أولئك الصحابة ﭫ فإنهم لم يأكلوا مما أخذوا شيئًا حتى عادوا وسألوا النبي ﷺ فأجاز لهم فأكلوا وأكل معهم النبي ﷺ، فتأمَّل مقارنة النبي ﷺ بين قراءة القرآن الكريم عند أصحابه وقراءته في الخَلَف الذين ذكرتهم الآية الكريمة، فَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، أَنَّهُ مَرَّ عَلَى قَارِئٍ يَقْرَأُ، ثُمَّ سَأَلَ فَاسْتَرْجَعَ، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَلْيَسْأَلِ اللهَ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ النَّاسَ»[1].

فهذا قارئ واحد قرأ في أيام التابعين - كما يظهر ذلك لي - فَذَكَّر هذا الموقف الفردي الصحابي الجليل عمران بن حصين ﭬ بحديث سمعه من رسول الله ﷺ

(1) رواه الترمذي (2917)، وقال الألباني: حسن.

وهو يتحدَّث عن ظاهرة ستكون في آخر الزمان، تتمثَّل في قوم بل في أقوام كما قال ﷺ: «فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ أَقْوَامٌ».

وعن بَشِيرِ بْنِ أَبِي عَمْرٍو الْخَوْلَانِيِّ، أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ قَيْسٍ، حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَكُونُ خَلْفٌ مِنْ بَعْدِ سِتِّينَ سَنَةً أَضَاعُوا الصَّلَاةَ، وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، ثُمَّ يَكُونُ خَلْفٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يَعْدُو[1] تَرَاقِيَهُمْ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ثَلَاثَةٌ: مُؤْمِنٌ، وَمُنَافِقٌ، وَفَاجِرٌ»، قَالَ بَشِيرٌ: فَقُلْتُ لِلْوَلِيدِ: مَا هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ، فَقَالَ: «الْمُنَافِقُ كَافِرٌ بِهِ، وَالْفَاجِرُ يَتَأَكَّلُ بِهِ، وَالْمُؤْمِنُ يُؤْمِنُ بِهِ»[2].

فما أعظمه من فهمٍ للحديث! وما أحسنه وما أحسن تعليمهم للتابعين! ﭫ وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين - فهؤلاء الذين يتأكَّلون به ليس لأنه لا أكل عندهم وإنما يستكثرون به ويستزيدون، ولأنهم يواصلون هذا التأكُّل وهم قائمون عليه مستمرون على هذهِ الطريقة الجريئة بغير حياء ولا وجل، ولذا جاء التعبير بقوله: (يتأكَّل) فالفعل المضارع يفيد الاستمرار إلا أن فيه التأكيد على طلبهم وحرصهم على ذلك بل وتشديدهم لزيادة الحرف المشدَّد، والتأكُّل من معانيه شدة الجشع حتى لو لم يكن بحاجة إلى الأكل المباشر، والتأكُّل والائتكال بمعنى واحد، وقال ابن المنظور في لسان العرب: تَأَكَّلَ الرجلُ وأْتكَلَ: غضِب وَهَاجَ وَكَادَ بَعْضُهُ يأْكل بَعْضًا؛ قَالَ الأَعشى:

أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً: ... أَبا ثُبَيْتٍ، أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ؟

(1) لا يعدو: أي لا يتجاوز بالصعود إلى محل القبول، أو بالنزول إلى القلب.

(2) رواه أحمد (11340)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن.

وَقَالَ يَعْقُوبُ: إنما هُوَ تَأْتِلِكُ فَقَلَبَ. التَّهْذِيبُ: وَالنَّارُ إِذا اشْتَدَّ الْتهابُها كأَنها يأْكل بَعْضُهَا بَعْضًا، يُقَالُ: ائْتَكَلت النَّارُ. وَالرَّجُلُ إِذا اشْتَدَّ غَضَبُهُ يَأْتَكِل؛ يُقَالُ: فُلَانٌ يَأْتَكِل مِنَ الْغَضَبِ أَي يَحْتَرِقُ ويَتَوَهَّج. وقال اللِّحْيَانِيُّ: ائتَكَلَ السَّيْفُ اضْطَرَبَ. وتَأَكَّلَ السَّيْفُ تَأَكُّلًا إِذا مَا تَوَهَّج مِنَ الحدَّة؛ وَقَالَ أَوس بْنُ حَجَرٍ:

وأَبْيَضَ صُولِيًّا، كأَنَّ غِرَارَه ... تَلأْلُؤُ بَرْقٍ فِي حَبِيٍّ تَأَكَّلا[1]

فهذا هو الفجور وهذا هو الفاجر في قرَّاء القرآن، وهذا هو الموجود اليوم في صور كثيرة وأشدها في رأيي حين يتعلَّق الأمر بالصلاة، لا أقصد الإمام الراتب الذي يأخذ على إمامته أجرًا، ولا المُعلِّم المُحفِّظ الذي يأخذ على تعليمه أو تعلُّمه أجرًا، ولا أمثال هؤلاء، ولا العاملين المساعدين بل ولا الإداريين في مراكز التحفيظ وجمعيات التحفيظ، فهؤلاء يصدقهم حديث النبي ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[2]، ولكنهم الذين يتأكَّلون بهذا القرآن وهم الفجَّار... الذين يقايضون على القرآن حتى في صلوات التطوُّع، كأولئك الذين إذا طُلِب منهم أن يقيموا الليل في مسجدٍ ما في بلدٍ ما، فإنهم ينظرون في أوفى العروض الدنيوية وأعلاها وأغلاها ليؤدوا للناس الإمامة في صلاة قيام الليل في رمضان، ولا يُختار أي شيخ لهذا الاختيار بل لابد أن يكون مثقَّفًا شديد الدِّقَّة والإتقان للإداء بل ربما للمقامات كما يسمونها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ نَقْرَأُ فِينَا الْعَرَبِيُّ وَالْعَجَمِيُّ، وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْيَضُ،

(1) لسان العرب لابن منظور (22/ 11).

(2) تقدم تخريجه.

إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتُمْ فِي خَيْرٍ، تَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ، وَفِيكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَسَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُثَقِّفُونَهُ[1] كَمَا يُثَقِّفُونَ الْقِدْحَ[2]، يَتَعَجَّلُونَ أُجُورَهُمْ[3]، وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهَا[4]» [5].

وكان المراد هنا هو أنهم يقيمون حروفه بتكلفٍ ..... وكلماته بلا تدبُّر.

ليس الذمُّ موجَّهًا لإقامة حروفه وإتقان أحكامه وإنما الذمُّ لتخلُّف التدبُّر والغفلة عن معانيه العظيمة، وفي الحديث الصحيح عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَفِينَا الْأَعْرَابِيُّ[6] وَالْأَعْجَمِيُّ[7]، فَقَالَ: «اقْرَءُوا فَكُلٌّ حَسَنٌ[8] وَسَيَجِيءُ أَقْوَامٌ يُقِيمُونَهُ كَمَا يُقَامُ الْقِدْحُ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلاَ يَتَأَجَّلُونَهُ»[9].

ولو لم يكن عاملًا في القرآن بل حتى لو كان من الذين يلعنهم القرآن ... داع إلى ضلالة، مؤمن بعد اتخاذ القرآن منهج الحياة ... يقدمونه ويطلبونه ويقدمون له ما يريد حتى لو كان ممن يدفعه القرآن من ظهره إلى النار على وجهه كما في الحديث.

فهل أقبح ممن اتخذ كتاب الله وسيلة للاستغناء والاستكثار وذلك بسؤال

(1) أَيْ يُصْلِحُونَ أَلْفَاظه وَكَلِمَاته وَيَتَكَلَّفُونَ فِي مُرَاعَاة مَخَارِجه وَصِفَاته.

(2) القِدْح: السهم الذي يُرْمَى به قبل أن يُعْمَلَ له ريش ولا نصل، والمراد أَيْ يُبَالِغُونَ فِي عَمَل الْقِرَاءَة كَمَال الْمُبَالَغَة لِأَجْلِ الرِّيَاء وَالسُّمْعَة وَالْمُبَاهَاة وَالشُّهْرَة.

(3) يتعجَّلون أجورهم: أَيْ ثَوَابهم فِي الدُّنْيَا.

(4) ولا يتأجَّلونها: بِطَلَبِ الْأَجْر فِي الْعُقْبَى، بَلْ يُؤْثِرُونَ الْعَاجِلَة عَلَى الْآجِلَة، وَيَتَأَكَّلُونَ وَلاَ يَتَوَكَّلُونَ.

(5) رواه أحمد في مسنده (12484)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(6) الأعرابي: أي البدويّ، وَالْأَعْرَاب سَاكِنُو الْبَادِيَة مِنْ الْعَرَب الَّذِينَ لاَ يُقِيمُونَ فِي الْأَمْصَار وَلاَ يَدْخُلُونَهَا إِلاَّ لِحَاجَةٍ.

(7) الأعجمي: أي غير العربّي.

(8) فكلٌّ حَسَن: أَيْ فَكُلّ وَاحِدَة مِنْ قِرَاءَتكُمْ حَسَنَة مَرْجُوَّة لِلثَّوَابِ إِذَا آثَرْتُمْ الْآجِلَة عَلَى الْعَاجِلَة، وَلاَ عَلَيْكُمْ أَنْ لاَ تُقِيمُوا أَلْسِنَتكُمْ إِقَامَة الْقِدْح وَهُوَ السَّهْم قَبْل أَنْ يُرَاشَ أي يُجْعَل فيه الريش.

(9) رواه أبو داود (830)، وقال الألباني: صحيح.

الناس! وأخضع القرآن للعرض والطلب، فالتسجيلات التجارية للقرآن العظيم اليوم أصبحت صورة لعلامات الساعة التي ذكرها النبي ﷺ بل البعض أنشأ ستوديهات خاصة لهذا الغرض.

ثم يأتي هؤلاء يتعلَّقون بحديث: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللهِ»[1]، ويتعلَّلون بأن أهل الغناء ليسوا بأحق منا، بل نحن لا نأخذ مثلما يأخذون!

وهكذا أصبح بعض قرائنا علامة من علامات الساعة، وأصبحوا ينافسون أهل الطرب والغناء في ميدان العرض، وأعرضوا عن منهج الأنبياء ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ٢٩﴾ [هود: 29].

ولو قلنا ما قلنا في حكم أخذ هؤلاء الأجور على القرآن... فهل هؤلاء أعطوا القرآن العظيم حقه العظيم.. أم أنهم تأكَّلوا بالقرآن وانصرفوا؟!

هل بلغ هؤلاء بالقرآن إلى غايته العظمى: هل هؤلاء من الذين قال الله -سبحانه وتعالى- فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ٣٩﴾ [الأحزاب: 39].

أم هؤلاء من الذين اقتدوا برسول الله ﷺ حيث أمره الله -سبحانه- بقوله: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ٥٢﴾ [الفرقان: 52].

فإذا لم يكن هؤلاء خلفاء الأنبياء عليهم السلام، ولم يكونوا خلفاء رسول الله ﷺ ولا

(1) تقدم تخريجه.

مقتدين به، ولم يكونوا كأئمة بني إسرائيل الذين أعطوا الكتاب حقه، فإنهم ليسوا إلا المذكورون في هذهِ الآية الكريمة: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾ [الأعراف: 169].

إن هؤلاء ليسوا أهلًا لِأَنْ يُصنَّفوا مع أهل القرآن لأن تصنيفهم مع أهل القرآن زور وبهتان، ولأنه حجة على أهل القرآن الحقيقيين، ولأنهم يُقارَنون به، ويُذَمُّ الآخرون المتقون بهؤلاء، بل أصبح هؤلاء الخوالف هم الحربة بيد المجرمين يطعنون بها قلب الإسلام والقرآن وأهله.

ولئلا نذهب في الذم أو التبرير بعيدًا فلنتأمَّل هذهِ الآية الكريمة لأنها هي موضوعنا فالله –سبحانه– أعلم بعباده: ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤ ﴾ [الملك: 14].

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦٩ ﴾ [الأعراف: 169]، فالذم لهؤلاء في هذهِ الآية الكريمة لم يكن ظاهرة فيمن نزل عليه القرآن والأجيال التي لا تُسمَّى خلفًا لم يكن ظاهرة، لكنه في الخلف أصبح ظاهرة صبغت الجيل المُسمَّى بالخلف كاملًا، نعم يُستثنى أفراد وحلقات ومساجد ومدارس هنا وهناك أما هو كَخَلَف فهذا حاله وهذا عمله، فلا يصرف الشيطان – نعوذ بالله منه – عنك الفكرة والمحاسبة ويقول: إن هذا عن بني إسرائيل!

فقد ذكرت أولًا الأدلة على أن هذه الإشارات كلها لنا وإن كانت عن بني إسرائيل أساسًا، وهو عنا نحن أهل هذا الزمان من باب أولى، وإن الحيدة عن هذا الفهم إما هو من الحيدة عن الحق، وهو من التغابي، بل هو من الإعراض عن مراد الله كما قال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نعم الأخوة لكم بنو إسرائل إن كانت لهم كل مرة ولكم كل حلوة».

فهل أخذنا الكتاب العزيز بقوة كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ؟ هل أقمناه على العباد كمنهج حياة كاملًا دون نقص أو انتقاء؟ أم أن الأمة تركته بإجماع الذين غلبوا على أمرهم.

يا صاح: أليس هذا هو صنيع خلف السوء -الآن- كله، ولا عذر بأنَّ فلانًا فعل، لأنَّ فلانًا وعلانًا جميعًا سكتوا؟!

يا صاح: أليس القرَّاء الذين غلبوا في هذا الوقت هم القرَّاء الذين يأخذون عرض هذا الأدنى... ولا تكاد تجد عليهم مُنْكِرًا...؟!

يا صاح: ألم يكن القرَّاء هم رمز الثبات والتضحية وهم من كانوا يتمثَّلون خلق القرآن؟ أليس القرَّاء اليوم هم من نراهم تحدَّث الله -سبحانه- عنهم في هذه الآية؟!

فما بالنا ندافع عن أنفسنا لنضع وزر ذلك على القرآن عياذًا بالله من ذلك؟!

حفظ إرث الكتاب هو الأمانة الكبرى:

قوله -سبحانه-: ﴿وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ فموضوع الإرث هو هذا الكتاب وهذا الإرث قد آل إليهم بحكم أنهم من هذهِ الأمة وأنهم أبناء الآباء الأولين، وأنهم هم ورثة لهذا الإرث وهو القرآن، وهم لم يرثوه على أنه حق خاص بهم بل هم المسئولون

الكبار على إعطاء كل ذي حق حقه من هذا الإرث ولا يجوز لهم أكل حق أي واحدٍ ولو كان غائبًا عن وقت القسمة، ولو كان جنينًا في بطن أمه، ولهم حقهم من الإرث مثلما لغيرهم.

ذلك أن الإرث نعمة جاءتهم من غير جهد، فلتذهب إلى أهلها من غير مِنَّة، والمؤتمَن عليها هم أهل القرآن أساسًا، ولما كان إرث الكتاب ليس إرثًا شخصيًا، بل هو للأمة كأمة، ولكل فردٍ مسلم في هذهِ الأمة، بل لغير المسلمين كذلك فكل مسلم حسب مسئوليته... فإن النعمة بأداء هذا الإرث إلى أهله نعمة لا نظير لها لأن الكتاب الكريم والقرآن لا نظير له أبدًا، ولهذا كان فضل الله على رسوله ﷺ لا نظير له، وقد قال الله -سبحانه- له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: 67].

وكان فضله على الخلفاء الراشدين ﵃، وعلى جميع الخلفاء الذين حفظوا إرث الكتاب فضلًا لا نظير له.

وفي مقابل ذلك فإن خيانة إرث الكتاب خيانة حقيقية وعظيمة ولا مثيل لها، لأن حفظ إرث الكتاب وأداءه ميثاق الله ﷻ كما سمَّاه الله -سبحانه- في هذهِ الآية، فيقول ﷻ: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ وبقدر ما تكون النعمة عظيمة بكل معانيها بقدر ما تكون خيانتها على من خانها وبالًا وخزيًا ونقمة.

قال -سبحانه-: ﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾... فهذا هو ما آل إليه أمر الكتاب حينما ورث هؤلاء... فلقد أصبحوا يأخذون به عرض هذا الأدنى،

بينما كانت وصية الله أن يأخذوا الكتاب بقوة، فقال –سبحانه– لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: 144].

فهؤلاء الورثة ما كانوا من الشاكرين لأنهم ما قنعوا بالكتاب وإنما باعوا الكتاب نفسه وأخذوا بدلًا منه عرض هذا الأدنى... فمن أكفر بنعمة مثل كفر هؤلاء بنعمة القرآن! فلا نعمة مثل نعمة القرآن، ولذا فلا كفر كالكفر بنعمة القرآن.

ولقد أوصى الله –سبحانه– بمثل ما أوصى موسى عليه السلام وبقية الأنبياء عليهم السلام، فقال –سبحانه–: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ [مريم: 12]، وإنَّ الذين ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ إنما يتركون القرآن بقوة وعنف ومحاربة وإعراض وعدوانية، وإنما يتركونه أقبح ترك.

﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ قال الإمام البقاعي – رحمه الله –: ﴿يَأۡخُذُونَ﴾: أو يجدِّدون الأخذ دائمًا، وحقَّر ما أخذوه بالإعلام بأنه مما يعرض ولا يثبت، بل هو زائل فقال: ﴿عَرَضَ﴾، وزاده حقارة بإشارة الحاضر، فقال ﴿هَٰذَا﴾، وصرَّح بالمراد بقوله: ﴿ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ أي من الوجودين وهو الدنيا[1].

وكلام الله ليس عرضا من الأعراض حتى يقابل بعرض آخر، فينظر فإن كان العرض الآخر يستحق قبل وقبض الثمن!

والعَرَضُ ما ذُكِرَ في القرآن الكريم إلا مذمومًا مقبوحًا مرفوضًا ومع هذا فهؤلاء

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (145/ 3).

يقبلونه ويأخذونه، فقد قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤ ﴾ [النساء: 94].

وقال -سبحانه-: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾ [الأنفال: 67].

وقد ذكر الله هذا العَرَض في مقام بيع الشرف والإكراه على الزنا، فقال -سبحانه-: ﴿وَلۡيَسۡتَعۡفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغۡنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱلَّذِينَ يَبۡتَغُونَ ٱلۡكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡۚ وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٣ ﴾ [النور: 33].

وذكر الله هذا العَرَض والبيع عن المنافقين، فقال -سبحانه-: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٤٢ ﴾ [التوبة:42].

وقوله سبحانه: ﴿هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: فليس بعد هذا التحقير لعرضهم من تحقير، فقوله: ﴿هَٰذَا﴾ يدلك على حقارة ما باعوا به القرآن، فعرضهم أمر محتقر، لا غاية له بعيدة تستحق التشمير إنما هو قريب كأنه تحت أرجلهم لأنه ليس أقرب للشخص مما تحت الرِّجْل، ولأنه الأدنى وليس من دُنُوٍّ مثل الذي تحت الأرجل بينما القرآن هو الأعلى وهو الذي لو أخذوا به

لرفعهم إلى العُلا، كما قال -سبحانه-: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾.

ونحن لا نتحدَّث هنا عمَّن ورثوا القرآن فاستبدلوه بالكلية بشرائع وضعيَّة، إنما حديثنا هنا عن أهل القرآن الذين ورثوه قراءةً وإقراءً وقراءات... عن بعض هؤلاء الكرام وليس هذا البعض بكرام... عن الذين ورثوا الكتاب الذين ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ ولكل زمان طريقة في أخذ عَرَض ﴿هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾، والعَرَضُ يتمثَّل اليوم: بعَرْضِ عَرَضٍ على قارئ القرآن أن يقيم فيهم لصلاة الليل مثلًا بمقابل مالي عالٍ وهو غني عن هذا، فتراه يقوم الليل في كل دولة ثلاثة أيام من العشر الأواخر، وما يأخذه على العشر الأواخر أكثر، وما يأخذه على ليلة السابع والعشرين أكثر، أو نحو ذلك فيقبض من هذا العرض الأدنى ما يراه ثمنًا لتعبه وحفظه ومراجعته وحسن صوته وحسن أدائه وإتقانه، وتنويعه القراءات وإدخالها في بعض تكلفًا، وحسن دعائه في وتره، وإعجاب الناس به، وهذا هو ما يراهن عليه، وهو بغير شك يتطلَّب ذلك تطلُّبًا، وأنا لا أتهم كل قارئ، بل أذكر مواصفات من يأخذ عرض هذا الأدنى بعَدِّ الوقت حسب كثرة الطلب، فكلما زاد الطلب زاد السعر كنظام السوق تماما!

وسبحان الله! كيف قال الله -سبحانه-: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ﴾ فهذا الفعل يدل على أنهم مستمرون في هذا الشأن، وهذا ما نُسمِّيه اليوم الإدمان فإن القارئ بمجرد أن يبتدئ في هذا الأمر، وتستطيبه نفسه، ويتذوَّق لذَّة ربحه العادي وحلاوة هذا العرض الأدنى فإنه لا يستطيع أن يترك هذا الأمر أبدًا، ولربما أحيا القرآن ضميره أحيانًا فرأى أنه شَطَّ بعيدًا عن غاية القرآن، ولكن ما إن يفكِّر أن يتوب من

إثم هو يكتم تفاضيله ويخشى إطلاع الناس على عقد بيعه... إلا ويجد العودة أشد مما كان أول مرة، فيبدأ مبرِّرًا الكذب على الله، ويدّعي على الله متقوِّلًا: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ هكذا من غير استثناء كأن يقول: إن شاء الله «سيغفر لنا»، ولم يقله كدعاء يرجو به المغفرة، بل ولا يعلِّق استغفاره فيقول بصيغة استغفار، كأن يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، أو اللهم اغفر لنا، أو اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم... أو نحو ذلك من صيغ الاستغفار، والتي تحوي الضراعة والندم والعزم على عدم العودة..

بينما القول الذي قاله: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ يدل على تعاليه واستكباره حتى عن إظهار الندم أو إظهار وتعظيم الله ولذا جعل المغفرة مبني للمجهول، وهذا من غروره الذي أورثته شهرته، وربط الناس له بالقرآن، فظن بنفسه ما لا يستحق، وجعل المغفرة لازمة له لا محاله! كما يدل على عزمه على المواصلة، وهو حقًا لا يستطيع أن يترك أبدًا، ولهذا قال الله -سبحانه- بعدها مباشرة: ﴿وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ﴾ مباشرة ودون تردُّد، ومهما تكرَّر عليهم العرض بعد ذلك، وهذا يعني أن أبواب العروض أصبحت مفتوحة للقبول وأن باب المزايدة مفتوح وأنهم لن يردُّوا عرضًا مثله فكيف إذا جاء عرض أكبر منه، وهذا يعني المادية الطاغية على هؤلاء الذين ورثوا الكتاب.

وهكذا عاتبهم الله -سبحانه- بأن جعله إدمانا عندهم، حتى لو استغنوا فإنهم لا يقرأون القرآن ولا يقومون الليل أو يصلون التراويح في بلد «أو مسجد» غير المسجد الذي يصلون فيه عادة إلا بمبلغ معلوم قدره أو مبلغ أكبر منه كما يتوقَّعون

من سيدهم، وهم لا يقدرون أن يتوبوا بل يستمرئون ذلك ويستحلُّونه ويفتون بهذا ويعلِّلونه من غير علم ولا حياء من الله ولا حرمة للقرآن..

وإن نقص المبلغ عن المتَّفَق عليه لم يعودوا إلى هذا المسجد ثانية، وإن جاءه عرض أقل لم يقبلوه، وإن جاءهم عرض أكبر اعتذروا إلى صاحبهم الأول وهرعوا مسرعين إلى الأغلى والأكبر والأعلى!

ويبقى قرين هذا العقاب عقاب آخر، هو أن شراءهم العرض الأدنى وإدمانهم على هذا أصبح أمرًا مشتهرًا عند الناس، رغم احتياطاتهم السرية، وربما استحوا أول مرة إلا إنهم سرعان ما يعودون دون حياء، مثلهم مثل ذاك الذي تسوَّل يومًا مضطرًا فلما سَدَّ ضرورته وانتهى من حاجته لم يستطع الإقلاع عن التسوّل أبدًا لسهولة التكسُّب به، ولأن نفسه هانت وأدمنت الهوان، ولأن هذا القارئ بنى حياته الأسرية والتجارية على هذا الدخل، فأصبح مدخول القرآن العالي جزءا لا يتجزَّأ من مشاريعه التجارية، ومن خطته الاقتصادية المستقبلية..

(وهنا سؤال مهم وهو ما حكم الصلاة وراء من تعلم أنه إمام مستكثر جاء بناءً على عقد مالي ليصلي بهم أيامًا أو يصلي بهم قيام الليل ليالي محدودة وركعات محددة وما ذلك إلا لأجل القرآن الذي معه؟

والجواب: إذا كان الأمر كما ذُكِر فلا تجوز الصلاة خلفه.. وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: 199]، فالآية واضحة تمام الوضوح ولا ينبغي

أن نمنع غاية إنزال الله كتابه الكريم بجدل المجادلين، وصبغة أهل هذا الزمان من ضعف الدين، وضعف الأمانة والإيمان، وغربة القرآن وهوان مقام القرآن في أعين أهل الإسلام.

والسؤال هو: هل هؤلاء يأخذون عرضًا في مقابل قراءة القرآن، وهل يحسب فيه أم لا يحسب، هل يحسب لهؤلاء صلاتهم بالناس أم لا يحسب..

إذن فلا يمنع الأمر فموضوع التعاقد على المبلغ المعلوم هو القرآن.. هو الصلاة بالقيام.. وزيادة السعر ونقصانه تبعًا لما يتعلَّق بالقرآن من حسن الصوت أو حسن أدائه المقامات أو ما إلى ذلك.

ألم يقل النبي ﷺ: «اتَّخِذْ مُؤَذِّنًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا»[1] فهذا حين جعل موضوع الأجر هو الأذان فلا يجوز.. فكيف بالقرآن؟!

والمؤذِّنون - بحمد الله - لا يُحسَب الأجر اليوم على أذانهم فلا يُنظَر إلى جمال أصواتهم بالأذان في أصل التعاقد معه، بل هو مرتب شهري كموظف حكومي حاله في هذا حال الإمام.

والأمر يختلف اختلافًا جوهريًا عن موضوع تعاقد القارئ المستكثر على صفقات تجارية موضوعها القرآن العظيم كما بَيَّنَّاه).



(1) رواه أحمد (16270)، وأبو داود (531)، والترمذي (209)، والنسائي (672)، وقال الألباني: صحيح.

الكلمة
الحادية عشرة

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ
نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾

الكلمة الحادية عشرة: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾

فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ[1]، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا[2] أَمْسَكَهَا[3]، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ[4]»[5].

وَزَادَ فِي حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»[6].

❀ جوامع الكلام في تثبيت حفظ القرآن

❀ التعاهد.. التعاهد:

إن هذا الحديث وحده كافٍ لمُعَلِّمي القرآن ولطلابهم حفظًا وتعاهدًا وتربية وكل ما يحتاجونه في الحلقات، وإنه عند الإيضاح لعجيب والله الذي لا إله إلا هو، فما أعظم هذهِ الوصية من رسول الله ﷺ للحافظين للقرآن الكريم! وذلك لأسبابٍ كثيرة، لأنه رسول الله ﷺ وما أدراك ما رسول الله ﷺ! وما أدراك ما محبته لأمته! وما أدراك بما أعدَّ الله للحافظين المتعاهِدين! وما أدراك ما خطورة عدم التعاهد! وأمور أخرى لا يعلمها إلا الله ﷻ!

---

(1) الإبل المُعَقَّلَة: أي المشدودة والمربوطة بعِقَال أي حبل.

(2) إن عاهد عليها: أي احتفظ بها ولازمها.

(3) أمسكها: أي استمر إمساكه لها.

(4) وإن أطلقها ذهبت: أي انفلتت، وخص المثل بالإبل لأنها أشد الحيوان الأهلي نفورًا.

(5) رواه مسلم (789).

(6) رواه مسلم (789).

وما أعظم هذهِ الوصية من رسول الله ﷺ! وهو أول من جمع الله له القرآن من غير محفِّظٍ من الخلق، ولا متابع ولا مراجع من البشر، وذلك لقوله -سبحانه-: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة: 16 - 17]، إذن فهي كفالة له من عند الله ﷻ فكيف بمن ليس عنده ضمان بجمعه في صدره؟ ولا ضمان ببقائه كله في صدره إلى آخر حياته إلا بتعاهده؟!

❁ ويكفي التعاهد أنه من العهد بكل معانيه العظيمة:

ويكفي كلمة التعاهد الواردة في أمر رسول الله ﷺ «تعاهدوا» ما فيها من المعاني الكبيرة التي تليق بالقرآن وبِحَفَظَةِ القرآن، وهم أعلم الناس بما عانوا حتى حفظوه، وأعلم الناس بقيمة ما جمعوه، وأحب محبوب لديهم كلام الله ﷻ ألا وما أعظم معاني التعاهد في لغة العرب وتحقيقها غايات التعاهد كما أمر الله ورسوله ﷺ.

فإن تعاهد القرآن من العهد، والله -سبحانه- يقول في العهد: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ۝٣٤﴾ [الإسراء: 34]، فلكأن حافظ القرآن حين حفظ فقد أبرم مع الله ﷻ عهدًا أن يحافظ على ما حفظ إلى آخر عمره، والله -سبحانه- سوف يسأله عنه، فكيف والله يسأل عن الدقيق والقطمير، ويسأل عن عود الأراك، ويسأل عن الخيط والخط، وعن كل أمانة ائتمنها إنسان، أَحَفِظَ أم ضيَّع، فكيف بأعظم شيء وهو القرآن.

والعهود مواثيق، ولذا قال الله -سبحانه-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ

وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائـدة: 44].

والحفظ منه، والاستحفاظ طلب الحفظ فلما أصبح محفوظًا أصبح استحفاظه أعظم خطرًا وأعظم مسئولية، وفي سيد الاستغفار جاء: «وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ[1] مَا اسْتَطَعْتُ[2]»[3] فمعاهدة القرآن وتعاهده حتم لازم ما استطاع الإنسان، فإذا عجز الإنسان عجزًا مطلقًا فهو معذور، وبقدر ما يسقط من طاقته يحلُّ من عذره.

ومن معاني العهد الوصية قال ابن منظور: عهِد إِليَّ فِي كَذَا أَي أوصاني؛ وَمِنْهُ حَدِيثِ عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ -: عَهِدَ إِليّ النبيُّ الأُمّيُّ أَي أَوْصَى؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [يس: 60]؛ يَعْنِي الوصيةَ والأَمر[4].

وهكذا تضمَّن الأمر بقوله ﷺ وحديثه هذا، أي أنه وصية من رسول الله ﷺ لحفظةِ القرآن الكريم أن محافظتكم على ما حفظتم وصية من رسول الله ﷺ فإياكم أن تُضيِّعوا وصيته ﷺ.

ومن معاني العهد: المَوْثِقُ وَالْيَمِينُ يَحْلِفُ بِهَا الرَّجُلُ، وَالْجَمْعُ كَالْجَمْعِ. تَقُولُ: عَلَيَّ عهْدُ اللهِ وميثاقُه، وأَخذتُ عَلَيْهِ عهدَ اللهِ وميثاقَه؛ وَتَقُولُ: عَلَيَّ عهدُ اللهِ لأَفعلنَّ كَذَا؛ وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ - تَعَالَى -: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا

(1) على عهدك ووعدك: ثابتٌ ومستمرٌ على الوفاء بما عاهدتُك عليه ووعدتُك بالقيام به من صدق الإيمان بك وحُسْنِ التوكُّل عليك وصالح الطاعة لك.

(2) ما استطعت: قدر استطاعتي.

(3) رواه البخاري (6306).

(4) لسان العرب لابن منظور (3/ 311).

عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ [النحل: 91][1].

وسبحان الله؛ كيف جمع النبي ﷺ كل هذهِ اللوازم للمحافظة على حفظ القرآن الكريم بلفظٍ واحدٍ قاله وهو «التعاهد»، وهل في هذا من غرابةٍ وقد آتاه الله -سبحانه- جوامع الكلم؟!

ومن معاني التعاهد الإلزام والالتزام: فهو الالتزام بالمحافظة على حفظ القرآن الكريم عند الحافظ وهو عهد موقَّع مع الله ﷻ لا يقيل ولا يستقيل.

ومن معاني العهد المرتبطة بتعاهد القرآن الكريم: ما قاله ابن المنظور -رحمه الله تعالى- فقال: (والعَهْدُ: الحِفاظُ ورعايةُ الحُرْمَة. وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ عَجُوزًا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فسأَل بِهَا وأَحفى وَقَالَ: إِنها كَانَتْ تأْتينا أَيام خَدِيجَةَ وإِن حُسن الْعَهْدِ مِنَ الإِيمان[2])[3].

وأي صُحبة يُطلَب الوفاء لها لطولها وحسنها أحسن من صحبة العبد كلام ربه ﷻ طوال طريق حِفْظِهِ؟! أيمكن أن تُنْسَى أيام حفظ الآية والآيتين والصفحة والصفحتين، ومراجعاتها بصوت عالٍ وبتنغُّم، أو بصوت متخافت، وتسميعها لأمك وأبيك وأختك وأخيك وصاحبك ومَنْ بجوارك وزميلك... وهل في الذاكرين في سجل الذكريات مثل مشروعك حفظ القرآن الكريم.

(1) لسان العرب لابن منظور (311/ 3).

(2) الحديث ورد في سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم (216)، (424/ 1): عن عائشة، قالت: جاءت عجوز إلى النبي ﷺ فقال لها: «من أنت؟» قالت: جثَّامةُ المُزَنِيَّةُ، قال: «بل أنت حسَّانةُ المُزَنِيَّةُ، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟»، قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قالت: فلما خرجت قلت: يا رسول الله، تُقبِل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان».

(3) لسان العرب لابن منظور (312/ 3).

إنك يومها تحفظ وتركِّز، وتراجع وتكرِّر، ثم تفاجأ بخطأٍ أو نسيانٍ ما وأنت تُسْمِّع لنفسك، فتستغربه فتقوم من مقامك وتمشي وفي يدك مصحفك، وربما تكرِّر الآية مرارًا حتى تتقنها حفظًا فتمحو النسيان بالكلية وتمضي، ويتكرَّر هذا الأمر أكثر من مرة وأنت لا تدري، ولكنك بعد ذلك كلما راجعت القرآن كاملًا تحضرك مواقف التصحيح؛ فكلما مررت بآياتها المباركة، فصورة الصفحة حاضرة في قلبك وموقع الآية وموقع التصحيح ووقت التصحيح، وموضعك في أي مكان حين كنت تقرأ الآية ووقعت في الخطأ أو النسيان... وهكذا أصبحتْ صورة حياتك كأنها صفحة كريمة من القرآن الكريم، فهل في الدنيا مثل هذهِ الصحبة.. مثل هذهِ الأهلية.. أيهون عليك أن تنسى ولو قليلًا هذا الصاحب... بل أيهون عليك أن تنقض هذا التعاهد، فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: «يَرْحَمُهُ اللهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً، كُنْتُ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ كَذَا وَكَذَا»[1]. فياله من قائم ليلٍ ... حظِيَ برحمة الله وهو لا يدري! فماذا بعد دعوة رسول الله ﷺ له: «يَرْحَمُهُ اللهُ»؟! ويا له من قائم شريف رفيع القدر إذ تشرَّف بتذكير رسول الله ﷺ بآية كذا وكذا! تذكير مَنْ؟! تذكير مَنْ أُنزل عليه القرآن .. تذكير من ضمن الله له جمع القرآن له ... تذكير من أَنْزَل جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ القرآن على قلبه مباشرة ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ﴾ [البقرة: 97]، ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ١٩٤﴾ [الشعراء: 193 - 194]، ويا له من مُشَرِّع ﷺ وقدوة لأهل القرآن في هذا المقام خاصة ... لقد اعترف بأن واحدًا من أمته أَذْكَرَهُ آية كذا وكذا، ولم يعترف فحسب بل أعلن ذلك للثقلين وهو ﷺ مُعلِّم الثقلين ..كيف لا وهو ﷺ يعلم أن تذكير هذا الرجل له إنما هو من تحقيق

(1) رواه مسلم (788).

وعد الله –سبحانه– له بحفظ القرآن مطلقًا، وأول الحفظ ومصدره وأسُّه إنما هو بحفظه عن ظهر قلب في صدره هو ﷺ ... فهنيئًا لهذا الرجل وشرفًا له بالإضافة لشرف حفظه بنفسه، وهنيئا لكل الحافظين، وشرفًا لكل الحافظين الذين ينسبون الشرف لأهله، والذين لا يريدون بحفظهم علوًّا في الأرض على حساب القرآن ... فلهؤلاء نصيب بهذا ... فكم هو القرآن عليٌّ ورفيعٌ .. فإن سقوط هؤلاء المنتكسين سيكون من ذلك الارتفاع الذي لا نظير له!

إن التعاهد لا يبتدئ عند إتمام حفظ القرآن الكريم فهذا هو التعاهد الأكبر والأخير، إنما التعاهد يبتدئ بعد كل محفوظ جديد من القرآن الكريم، فَلِجديد كل يوم تعاهد مخصوص، لأنه كما أن لكل يوم حفظه الجديد من القرآن الكريم فإن لكل يوم مراجعة مقررة لما سبق وفق برنامج معين، ولا يمكن أن يكون تعاهدًا ما لم يكن التزامًا جِدِّيًّا وحازمًا، وهل يليق بالقرآن إلا هذا؟! وإلا كيف يبلغ أن يكون تعاهدًا مع الله ومع رسول الله ﷺ ومع كلام الله ﷻ.

إن التعاهد هو مجاهدة النسيان، وآثار الأحداث اليومية، والوقاية من آفات الذاكرة... وهذهِ لا يمكن أن تشعر بدبيبها وهي تغزو الذاكرة، فبمجرد تركك تعاهد القرآن يبدأ عملها بالهجوم رويدًا رويدًا، فإن استمر ترك التعاهد ربما جئت إلى القرآن فلا تجده في ذاكرتك، كما قال النبي ﷺ: «لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا»[1]، وكما قال: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»[2].

(1) رواه مسلم (791).
(2) رواه مسلم (789).

❁ نية القيام لتعاهد القرآن

لو أنك ما حفظت القرآن العظيم إلا لتقرأه في الصلاة لكفتك هذهِ النية قربة عند ربك، ولكانت هذهِ في صميم اتباعك لسنة نبيك ﷺ.

فلولا أنك أردت أن تتزيَّن للقاء ربك ﷻ بأن تقرأ عليه القرآن لما حفظت القرآن للقاء الله ﷻ، ولولا أنك علمت أن أحب شيء عند الله هو كلامه الكريم وأنت أردت أن تتحبَّب إليه بأحب ما يحب -سبحانه- لما كان هذا الجهد وهذا التعب وإسهار ليلك وإظماء نهارك..

ولولا أنك علمت أن رب العالمين يزيد أَقرب المقربين من ذرية آدم عليه السلام وهم أنبياء الله عليهم السلام - بعضهم على بعض بحسن الصوت بكلامه وبتحسين صوتهم بكلامه الكريم ما جئته -سبحانه- لتلقاه ﷻ في الصلاة وتُسْمِعَه حفظك كلامه بحسن صوتك وترنيمه وتغنِّيك به وأنت بين يديه ﷻ.

ألم يقل النبي ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ»[1].

فتذكر جيدًا كلما حَسَّنْتَ صوتك في صلاةٍ أو في حلقةٍ أو في تجمُّع أن مقامك عند الله قد زاد عما قبل ذلك وأن أمامك المزيد في هذا الشأن، وأنه ما من أحدٍ أحب إليه كلامُ الله من الله سبحانه وتعالى، وأنك لن تُحَسِّنَ صوتك أمام أحد أعظم من الله سبحانه وتعالى، وأنك إن غبت بالله عن كل هؤلاء أدخل الله كلامه

(1) رواه البخاري (7544).

من خلالك إلى قلوبهم وقلوب آخرين غيرهم، وأما إن شُغِلْتَ بهم عن الله وحسَّنت صوتك لهم انصرف الله عنك فانصرفوا، فإن رأيتهم قعدوا أو قاموا في الصلاة واستمعوا فقد انصرفتْ قلوبهم، وماذا تنفع الأبدان وإن كان فيها الآذان والأعين إذا كانت أبدانًا بلا قلوب.

وماذا نفهم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ إِذَا رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ أَنْ يَجِدَ فِيهِ ثَلَاثَ خَلِفَاتٍ[1] عِظَامٍ سِمَانٍ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «فَثَلَاثُ آيَاتٍ يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاتِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثِ خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ»[2].

ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى يستزيدك هنا لتقرأ من القرآن وأنت بين يديه أكثر وأكثر...وكيف يمكن أن تقرأها في صلاتك إذا لم تكن قد حفظتها قبل ذلك، فإن قلت أقرأها من المصحف، قلت: هذا والله خير، ولكن ليس هذا هو الأصل بالقراءة في الصلاة، وأي ميزةٍ للحافظين على غيرهم من الأُمِّيِّين وغير الأُميين، حتى أنه -سبحانه- يُعَدِّدُها لك بالخِلْفة الواحدة تلو الواحدة حتى تبلغ ثلاثًا فإن أردت المزيد فزد وأنت بين يدى ربك ﷻ، وإن الخير والرحمة والأجر لَيُذَرُّ على رأسك ما دمت في صلاتك.. وأي أركان صلاتك أطول وأنت بين يدي الله من القيام...؟

أي فإنْ أردتَ المزيد من الرحمة والبركة والأجر فزد من حِفْظِ القرآن وزد من تعاهد القرآن في الصلاة، وزد من تحسين صوتك بالقرآن.

(1) الخلفات: الحوامل من الإبل إلى أن يمضي عليها نصف أمدها، ثم هي عِشار والواحدة خَلِفَة وعَشْراء.

(2) رواه مسلم (802).

قل مثل هذا وأنت تستمع للحديث الذي رواه علي رضي الله عنه أنه أمر بالسواك وقال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ، فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْـمَلَكِ، فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ»[1]، فكلما أتعبك القيام بالقرآن تذكَّرت أن ركوعك فيه مفارقة لهذا المَلَك الذي أحبَّ قراءتك القرآن للدرجة التي لا يمكن تصوُّرها ... فأكملت القراءة ولسان حالك يقول: أفلا يستحق محبٌّ مثل هذا أن تطيل لأجله ما استطعت، ولا يكلِّف الله نفسًا إلا وسعها ... فيا لمحبة ملائكة الله لتعاهد القرآن ليلًا، وما محبة الملائكة إلا من محبة الله ﷻ لتعاهد القرآن، والنبي ﷺ يقول: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ[2]»[3]، وعن عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ؟ قَالَ: «حُرٌّ وَعَبْدٌ»، قُلْتُ: مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «طِيبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ»، قُلْتُ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «خُلُقٌ حَسَنٌ»، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ»، قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَنْ تَهْجُرَ مَا هَجَرَ رَبُّكَ - ﷻ ... الحديث»[4].

(1) أخرجه البزَّار في مسنده (603)، وقال: هَذَا الْحَدِيثُ لا نَعْلَمُهُ يُرْوَى عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه، بِإِسْنَادٍ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْإِسْنَادِ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج 3 صفحة 214، 215رقم (1213): وإسناده جيد رجاله رجال البخاري.

(2) أي طول القيام.

(3) رواه مسلم (756).

(4) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (11/ 33)، وهو في الصحيحة للألباني (551)، والحديث أصله عند مسلم (832).

❁ تأمل حديث التعاهد الشامل

قد قلت لك أولًا لو أنك حفظت القرآن الكريم بنيِّةٍ أن تصلي به فكفاها قربة عند الله وقد أتيتك بالأدلة على ذلك، ولكن استمع الآن لهذا الدليل والذي هو منهج كامل لحفظ القرآن الكريم ولتعاهده وسوف نتحدَّث به -بإذن الله تعالى- فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْـمُعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ»[1].

وَزَادَ فِي حَدِيثِ مُوسَى بْنِ عُقْبَةَ: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»[2].

تأمَّل أولًا: لماذا تمثيل حفظ القرآن والمحافظة عليه بالإبل، أَمَا كان الأولى تمثيلها بالذهب أو الكنز لأنه أثمن، ولأن الكنز لا يصل إليه أحد بسهولة؟!

والجواب: إن الذهب والكنوز مهما كانت ثمينة فإنها لا تساوي حرفًا واحدًا من كلام الله ﷻ، ولا شيء يساوي كلام الله ﷻ.

فليس المقصود الأساس هو الأثمان فقط إنما المقصود خسارة أثمن ما عند العربي في ذلك الوقت، والذهب والكنوز لا تتفلَّت، ولهذا اجتمع في الإبل الغلاء والتفلُّت، كما أن فيها الحاجة اليومية والألفة والمحبة،

(1) رواه مسلم (789).

(2) رواه مسلم (789).

وكـذا اللَّبَـنُ، والتكاثـر، والنقـل، والتحمُّـل، والاحتمـال، ومـا إلـى ذلـك، وفيهـا العَجَبُ والتعجُّـب كذلـك؛ فاللـه سـبحانه وتعالـى قـد قـال فـي الإبـل خاصـة: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ ﴾ [الغاشـية: 17]، فاللـه -سـبحانه- عَجَّـب مـن خلْـق الإبـل كمـا عجـب اللـه علـى لسـان الجـن مـن القـرآن الكريـم، فقـال -سـبحانه-: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾ ﴾ [الجـن: 1]، والإبـل إذا افتلتـت مـن صاحبهـا لـم ترجـع إليـه بسـهولة، وإذا مـا رجعـت لـم تصبـح ذلولـة مثلمـا كانـت أول مـرة، وتعاهـد القـرآن أمـر معـروف، وهـو إنمـا يكـون بمراجعتـه الدائمـة، لكـن النبـي ﷺ بَيَّـنَ أمـورًا عظامًـا فـي موضـوع المراجعـة فتأمَّـل قولـه ﷺ: «وَإِذَا قَـامَ صَاحِـبُ الْقُـرْآنِ فَقَـرَأَهُ بِاللَّيْـلِ، وَالنَّهَـارِ ذَكَـرَهُ، وَإِذَا لَـمْ يَقُـمْ بِـهِ نَسِـيَهُ».

فصاحـب القـرآن، هـو حافظـه وإلا كيـف يقـرؤه آنـاء الليـل والنهـار، وأيـن كانـت المصاحـف حتـى يمسـكها المخاطبـون فـي عهـده ﷺ بأيديهـم واقفيـن بالليـل أو النهـار، ثـم إن الـذي يقابـل كلمـة (نسيه) الـواردة هـي كلمـة (ذكـره) الـواردة فـي الحديـث نفسـه فهـل أوضـح مـن هـذهِ دليـلًا علـى أن المقصـود بالمعاهـدة هـي معاهـدة حافـظ القـرآن حِفْظِـه وإلا لمـا قـال: «وَإِذَا قَـامَ صَاحِـبُ الْقُـرْآنِ فَقَـرَأَهُ بِاللَّيْـلِ، وَالنَّهَـارِ ذَكَـرَهُ، وَإِذَا لَـمْ يَقُـمْ بِـهِ نَسِـيَهُ».

ثم هل معنى ذكره إلا تذكَّره وهل التذكُّر إلا للمحفوظ، ومن شَكَّ في المقصود بذكره فلينظر في كلمة (ذكره) إذا تعاهده وكلمة (نسيه) إذا لم يتعاهده.

قيام الختمة

تأمَّل كذلك قوله ﷺ: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ»، فكلمة «قام» إما أن تكون كناية عن الجِدِّيَّة أي أنه (قام) بِجِدٍّ واجتهاد في تعاهد القرآن ولم يأخذه بتهاون أو تراخٍ والذي رَمْزه القعود وأصحابه القاعدون والمتخلِّفون والمُفَرِّطون، وإما أن يكون المراد بـ (قام) قيام الصلاة ليلًا ونهارًا، وإلى هذا يعود المصطلح الشرعي بالقيام، فإن مصطلح القيام وكلمة (قام به) الأصل فيها هو القيام إلى الصلاة، والاستدلال على هذا الأصل أكبر من أن تحصر أدلته من القرآن والسنة، ولكن يبقى الأصل على أصله ويبقى الرمز على دلالته وهو أن صاحب القرآن يقوم بأقصى درجات الجِدِّيَّة التي تليق بكلام ربه ﷻ ولا جدية أكبر وأعلى من القيام بالقرآن في الصلاة، وإقامة الصلاة في الليل والنهار لأجل مراجعة القرآن وتعاهده، فإقامة الصلاة تجمع ذلك كله، وكلمة قام تشمل ذلك كله وأولها وأولى بها هي الصلاة، وتأمَّل بعد هذا: «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ».

هنا أولًا مواصلة القيام بالليل والنهار، وهذا يصدق عليه ولو كان قيام جزء من الليل وجزء من النهار فلا يشترط أن يستغرق الليل والنهار.

وهنا فعلان مختلفان كل يدل على معنى مغاير للمعنى الذي يدل عليه الفعل الآخر فالأول (قام) والثاني (فقرأه) وهذا يدل على أن القيام كان إلى صلاة الليل وصلاة النهار كذلك، وقُدِّمت صلاة الليل لفضلها، وهذهِ

ليست مجرد كلمة بل هي من جوامع الكلم وهذا هو شأنه في كل كلامه ﷺ، فإن لمتعاهد القرآن، خصوصية في قراءة القرآن، تلك هي أنه يُشْرَعُ له وينبغي له أن لا يدع صلاة النافلة من محفوظاته في النهار كما في الليل، وأنه يتقصَّد هنا تقصُّدًا، وينبغي له أن لا يكون قيامه في القرآن اتفاقًا، بل يكون مُبَرْمَجًا منهجيًا وبالتالي يكون مرتَّبًا، فلا تكون قراءته من أي مكان اتفق قرأ.. نعم ربما كان هذا أحيانًا، أمّا ما يسير عليه فهو ختمات القرآن في صلاة النافلة.

وليس هذا من عندي وإنما هو من الحديث نفسه فالحديث يتحدَّث عن تعاهد القرآن، كله وليس عن جزء من القرآن كما ترى سياق الحديث وألفاظ الحديث، فقوله: «قرأه»، وقوله: «حفظه»، وقوله: «نسيه» الضمير يعود على حفظ القرآن كاملًا وليس على بعضه ولو أراد بعضه لقال ما يُبيِّن ذلك كقوله بعضه، أو منه أو نحو ذلك.

وهكذا الدلالة في قوله: «صاحب القرآن» أي كله ولو أراد بعضه لقال بعضه، أو قال صاحب سورة البقرة أو آل عمران أو نحو ذلك.

فإذا استقرَّ أن المقصود الأول بالقيام بالقرآن هو الصلاة وعلى الأخص النوافل، وإذا استقر أن المراد بالتعاهد هو الانتظام في مراجعة القرآن، وإذا استقر أن المقصود بكلمة (القرآن) هو القرآن كله، فلنعلم أن النبي ﷺ وضع منهجًا لمراجعة القرآن كله في صلاة النافلة، أي دون أن تفتح القرآن مرة واحدة لختمة كاملة وهذا ذروة الإتقان.

❁ الإعداد الكامل بتعاهد القرآن

وبما أن التعاهد للقرآن لا يبتدئ بختم القرآن حفظًا وإنما بابتداء حفظ القرآن ولو خمس آيات أو حفظ آية في اليوم الأول ثم يزداد القيام كل يوم بزيادة المحفوظ.

وإذا علمنا بهذا كلِّه علمنا كم يربي الله عباده بتدرُّج عظيم وبتصاعد مستمر على حفظ القرآن كاملًا، وعلى الإمامة كذلك، وعلمنا كيف يُعِدُّ الله عبادَهُ أولًا بين يديه حتى يُسْمِعُوه -سبحانه- أولًا كلامه فهو -سبحانه- صاحب الكلام، وهو أول وأولى من يُسَمَّعُ له الكلام -سبحانه- ... بينما نخطئ نحن في النسبة حين نجعل الغاية هي أن نُسَمِّعَهُ الخلق، فإن الله -سبحانه- أعظم حُبًّا لاستماع كلامه من عبده من محبة عباده سماع كلامه بعضهم لبعض، وأن الطالب الصغير أو المبتدِئ الكبير إذا تعوَّد على هذا التدرُّج تعوَّد الإخلاص، لأن أكثر الرياء يأتي من نهاية الخلق ومن مراءاتهم والقراءة لأجلهم. وأما ما يكون من حرص على إتقان حفظ الورد اليومي وتسميعه للمعلِّم أو للصحب، أو كتابته، أو الاستماع له من مجموعة قرّاء فكل ذلك إعداد لإتقانه كي يقرأه الطالب أمام ربه، ويقف به بين يدي الله على أحسن الوجوه كل يوم، في الفترة القصيرة بين الوردين.

وإنَّ هذهِ الطريقة أقصد القراءة في الصلاة؛ قراءة تعاهد القرآن الكريم لهي أحسن طريقة للتدريب على التدبُّر في آيات الله، فَجَوُّ الصلاة لا يماثله جو أبدًا؛ فهو أولًا بين يدي الله -سبحانه- وفي هذا من فيوض البركة والنور، والفتح والهدى والعلوم ما لا يمكن أن يكون بلقاء أي بشر ولا مَلَكٍ ولا أحدٍ أبدًا؛ إنه الله رب العالمين.

فهو تدريب لتدبُّر كلمات الله آناء الليل وآناء النهار منذ ابتداء طلبه، ومنذ نعومة أظفاره، ومنذ ابتداء حفظه، وهكذا يستمر معه الحال... فماذا تراه سوف يصبح إذا أتمَّ حفظ القرآن وأتمَّ ختمه مرات ومرات في الصلاة، وأي عبدٍ رَبَّانِيٍّ سيصبح هذا المُتعلِّم عندها، وأي صبغة رَبَّانِيَّة سيصبح هذا العبد، وأي خلوص لقلبِ عبدٍ مثل خلوص قلب عاش القرآن كله حرفًا حرفًا بين يدي ربه ﷻ.

وأي علوم ستُفتَح لعبد خاض بحارها أو حتى ذاق طعمها آناء الليل وآناء النهار ولو مرة في كل صلاة.

❀ ليل التعاهد مُقَدَّم

تجاوز الرياء بتعاهد القرآن في الصلاة

وإذا عدنا وتأمَّلنا في الحديث الشريف هذا وجدنا أن النبي ﷺ قد قدَّم الليل على النهار في القيام وذلك لمزيد فضل قيام الليل على صلاة النهار، وقد سُئِلَ النبي ﷺ في هذا فكان جوابه هو ما رواه أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْـمُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ»[1].

وعِلْمُ الحافظ وطالب الحفظ ونيته المسبقة للقيام بأنه قيام لأجل تعاهد القرآن في مراحل حِفْظِهِ لها الأفضلية، وعَمَلُهُ عليها وتَقَصُّدُه كلَّ ليلة لينال ما وعد الله عليها لهو أعظم تربية لنفسية إنسان، وإنه صناعة كاملة مستمرة ومتصاعدة لا يعلم إلا الله أين تبلغ بصاحبها هذا، كما رُوِيَ هذا عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ

(1) رواه مسلم (1163).

ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرْفَةً يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا»، فَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «لِمَنْ أَلَانَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَبَاتَ لِلهِ قَائِمًا وَالنَّاسُ نِيَامٌ»[1].

وبهذا يصبح قيام الليل ديدنه لا ينفكُّ عنه مهما كان الأمر، كما ورد في الحديث (فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ وسَرَّاءَ)، فقد قال النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ وَيَضْحَكُ إِلَيْهِم وَيَسْتَبْشِرُ بِهِم الَّذِي إِذا انكَشَفَتْ فِئَةٌ قَاتَلَ وَرَاءَهَا بِنَفسِهِ للهِ ﷻ فإمَّا أَن يُقْتَلَ وَإِمَّا أَنْ يَنْصَرَهُ اللهُ ﷻ وَيَكْفِيهِ، فيَقُول: انْظُرُوا إِلَى عَبدِي هَذَا كَيفَ صَبَرَ لي بِنَفسِهِ؟! وَالَّذِي لَهُ امْرَأَةٌ حَسَنَةٌ وفِراشٌ لَيِّنٌ حَسَنٌ فيَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ، فيَقُول: يَذَرُ شَهْوَتَهُ ويَذْكُرُنِي وَلَو شَاءَ رَقَدَ، وَالَّذِي إِذا كَانَ فِي سَفَرٍ وَكَانَ مَعَهُ رَكْبٌ فَسَهِرُوا ثُمَّ هَجَعُوا فَقَامَ مِنَ السَّحَرِ فِي ضَرَّاءَ وَسَرَّاءَ»[2]، وقد قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لاَ تَدَعْ قِيَامَ اللَّيْلِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُهُ وَكَانَ إِذَا مَرِضَ أَوْ كَسِلَ صَلَّى قَاعِدًا»[3].

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ»[4]، فهذِه الأحاديث تدلُّ على أن الإطالة من بين أركان قيام الليل إنما كانت للقيام وفيه المحفوظ من القرآن ولهذا كان تفطُّر القدمين، وفيه الشكر العملي، وفيه ما فيه.

وإن الطالب إذا ما تعوَّد قيام الليل تلذَّذ بقيام الليل أكثر من تلذُّذ المُتعَب بفراشه الوثير، وأكثر من تلذُّذ الرجل بالدفء في الليلة الشاتية، أو تلذُّذه في الغرفة المُبرَّدة

(1) رواه أحمد (6615)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره.

(2) الحديث: عَن أبي الدَّرْدَاء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رواه المنذري في الترغيب والترهيب (935)، وقال: رَوَاهُ الطَّبَرَانِيّ فِي الْكَبِير بِإِسْنَاد حسن، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (983)، وحسَّنه الألباني في الصحيحة (3478).

(3) رواه أحمد (26114)، وأبو داود (1307)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(4) رواه مسلم (756).

في الليلة الرطبة الصائفة... وإن هذهِ المعاناة ليست على الورق حال كتابتي لها الآن لكن مَنْ جرَّبوا عانوا والتزموا وتلذَّذوا ولم ينفكُّوا ولم يفارقوا أو ينصرفوا بل لم يبالوا لأنهم وجدوا... وسيد القائمين وكفاهم هو رسول الله ﷺ، فعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ[1] قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟! فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ»[2].

وهذا ما يفعله كذلك غير الحافظ القرآن كاملًا وإنه لأمرٌ عظيم، كما أنه درس كبير قاسٍ للحافظين النائمين لكن المحسود بحق هو حافظ القرآن القائم به آناء الليل وآناء النهار.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ[3] فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلاَنٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»[4].

وهكذا يصنع القرآن بحق حافِظِهِ صُنعًا لا نظير له... عبد قد توطَّن الوقوف بين يدى الله آناء الليل وآناء النهار... فمن يبلغ مبلغه؟!

---

(1) تتفطَّر: تتشقق.

(2) رواه البخاري (4837).

(3) يهلكه في الحق: أي ينفقه في طاعة الله تعالى وسبل الخير.

(4) رواه البخاري (5026).

عبد عَلَّمه الله أن لا يلتفت لذهاب الوقت في القيام بين يدى الله... بينما الناس سريعًا ينصرفون هذا إن صلوا السنن!

كان يخاف الرياء إن وقف بالليل أو النهار لصلاة التطوُّع في المسجد مثلًا أكثر من قيام الناس المعتاد ولو بقليل خشية الرياء، فلما اعتاد طول القيام أطار القرآن العظيم فكرة الرياء هذهِ من صلاته، وما عاد يقوى على ترك قراءة وِرْدِهِ من القرآن في كل ركعة، وهو يستغرب -إن خطر على باله- كيف كان يترك طول القنوت في السنن خشية الرياء!

هكذا يصنعه الله على عينه... هكذا يفيض الله عليه عند كل لقاءٍ بما لا يوصف من اليقين، والمعرفة به -سبحانه-، والمحبة والتوكل.

هكذا يصفو قلبه ويخلص، ويلين طبعه ويرق.

هكذا يفيض الخُلُقُ الحسن على حياته فيصبح خُلُقُه القرآن بما يناسبه - ولكلٍ مقامه.

هكذا يتغذَّى القلب بالإيمان فلا يزال في ازدياد أبدًا.

هكذا ينشرح الصدر بالنور وتزول منه ظلماته.

هكذا يُذْهِب القرآن الغموم، ويجلو القلوب، ويزيل الران، ويجعل الله ﷻ القرآن الكريم للقلب ربيعًا.

هكذا يعالجه الله فيشفيه شفاءً لا يغادر سقمًا، كما ورد في حديث

عُقبة بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ يُعَالِجُ نَفْسَهُ إِلَى الطَّهُورِ، وَعَلَيْكُمْ عُقَدٌ، فَإِذَا وَضَّأَ يَدَيْهِ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِذَا وَضَّأَ وَجْهَهُ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا مَسَحَ رَأْسَهُ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا وَضَّأَ رِجْلَيْهِ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَيَقُولُ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- لِلَّذِي وَرَاءَ الْحِجَابِ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ لَيَسْأَلَنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا، فَهُوَ لَهُ، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا، فهو له»(1)؛ نعم إن معنى يعالج نفسه أي يجاهدها .. وهو في نهاية الأمر يحمل ذات المعنى وغايته فإن الرجل لا يزال يجاهد نفسه ويجاهدها حتى تقوم وتتعوَّد القيام فتُشفى مما بها ولا تُشفى إلا بهذا القيام، وما كانت الاستقامة على القيام في عسر ويسر إلا بعدما عالج نفسه بالقيام، وابتدأ علاج نفسه من القومة من النوم، إلى الوضوء، إلى القيام، إلى الصبر عليه، إلى التلذُّذ به ومصاحبته وعدم القدرة على التخلُّف عنه حتى مع وجود عذر فعالجها ولا يزال حتى تعالجت، ومن ثم أكرمه الله بالجزاء الوارد في الحديث ويا له من جزاء وأوله مباهاة الله -سبحانه- بعبدٍ من عباده لم يعلم بحاله إلا الله ﷻ، وثانيها أن الله -سبحانه- يخاطب الذين من وراء الحجاب فيقول لهم: «انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُعَالِجُ نَفْسَهُ»، والثالث إجابة جميع سؤاله، كما ورد في الحديث: «لَيَسْأَلَنِي، مَا سَأَلَنِي عَبْدِي هَذَا، فَهُوَ لَهُ»، ولكن الذي أريد أن أتوقَّف عنده هو خطاب رب العالمين لمن هم من وراء الحجاب من ملائكته، فهل هم الذين لا يعرفهم أحد مطلقًا؟ فهم الذين حُجِبوا

(1) رواه ابن حبان في صحيحه (1052)، وقال الألباني: حسن لغيره.

عن الخلق مطلقًا، فلا شك أنهم مخصوصون، ولا شك أن خصوصيتهم هذه خصوصية مزيد قرب من الله ومزيد عظمة لهم، وأن الأرجح -والله أعلم- أنهم مُطَّلِعون على أفعال العباد ولكن لا أحد من خلق الله له اطلاع عليهم حتى الملائكة أنفسهم فلا يعلم بعظمتهم إلا الله ﷻ، ولا يعلم بهم إلا الله ﷻ، وهنا يأتي التكريم مع الحكمة فإن هذا الرجل لما قام بين يدي الله ﷻ مُتَخَفِّيًا بحجاب الليل عن أعين الناس مُكْتَفِيًا بعين الله وحده لا شريك له، أَطْلَعَ الله عليه من حَجَبَهُم الله عن خلقه من ملائكته العظام المخصوصين وأشهدهم على خصوصية هذا العبد رجلًا كان أو امرأة، فأي شهود يدَّخِرهم العبد لذلك اليوم العظيم مثل أولئك الشهود، وأي معيَّة يكون معهم هذا العبد مثل معيَّة هؤلاء في الدنيا، أولم يقل النبي ﷺ عن بعض عباده: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ»[1].

❁ كم من فضائل في التعاهد في الصلاة وآثار

ربما تقول: كل الناس يُصَلُّون السنن فلم لا يظهر عليهم ما تقول، ولم لا تتغير نفوسهم كما ذكرت؟

والجواب: إن سرّ التغيير هو هذا القرآن الذين يصلون بآياته كل سُنَّة من السنن... فمرة يتزيَّنون بقراءته ويرتِّلونه ترتيلًا بين يدي ربهم -سبحانه-، ومرة يحدرون بقراءته مع تركيزٍ سريع، ومرة يكرِّرون ويتمهَّلون رغمًا عنهم، ومرة يبكون، ومرة يَدْعون ربهم دعاء المضطرين، وبضراعة المستغيثين إذ أراهم

(1) رواه مسلم (798)، وقد بيَّنت في كتابي (كيف لا أحفظ القرآن؟!) من هم: (السفرة الكرام البررة). والحمد لله رب العالمين.

الله من آياته ما أراهم، ومرة يعيشون مع الأنبياء عليهم السلام، ولكأن بينهم وبين أنبياء الله عليهم السلام معرفة وثيقة وكأنهم أتباعهم المباشرون، وهم في كل ذلك وغير ذلك يتنقَّلون في المنازل العُلا، ويأخذهم الله إلى منازل الإحسان، فقد سُئِلَت عائشة رضي الله عنها كَيْفَ كَانَتْ قِرَاءَةُ النَّبِيِّ ﷺ بِاللَّيْلِ؟ أَكَانَ يُسِرُّ بِالْقِرَاءَةِ أَمْ يَجْهَرُ؟ فَقَالَتْ: كُلُّ ذَلِكَ قَدْ كَانَ يَفْعَلُ، رُبَّمَا أَسَرَّ بِالْقِرَاءَةِ، وَرُبَّمَا جَهَرَ[1].

وليس المقصود هو التقلُّب بين السر والجهر فحسب، ولا التقلُّب والتنوُّع بين المظاهر بعضها عن بعض، إنما المقصود هو ما لأجله كان التقلُّب، والمقصود هو الحال الداخلي وتنوُّعه، وتنقُّله في المعارج، المقصود هو ما يطلبه من معارج بقطع الرتابة، وأحيانا هو حال لا يملكه الإنسان من حاله فيقلبه الحال وكأنه مع آيات الله -ولله المثل الأعلى- كأنه عود الخشب في السيل لا يملك من أمره إلا الاستسلام مع الاشتياق والهُيَام.

إن أكثر الأمة تهجر مراجعة المحفوظ من القرآن في صلاة السنن حتى الحفظة منهم إلا البعض.. والبعض اعتاد قراءة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1] في السنن يقرؤونها هذًّا، وقراءة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فضل عظيم من رب العالمين ولكن: من يدرك ماذا في ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ من الناس حتى يتربَّى بها وعليها؟! وهل أخذ بها أكثر الناس وتركوا بقية القرآن إلا للإسراع في الصلاة؟!

لكن أين التدبُّر الذي يصحب ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ حين يقرؤها المستعجلون بها؟! أين من يقرأ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ويقرأ معها سورة أو

(1) رواه الترمذي (449)، وأبو داود (1291)، وابن ماجة (1354)، وأحمد (25160)، والنسائي (1662)، وصححه الألباني.

سورًا أو آيات من سور أخرى؟! أين من يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ فيكرِّرها ويكرِّرها إلى ما شاء الله؟!

فعن أبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قال: «أتى رسولَ اللهِ ﷺ جبريلُ عليه السلام وهو بتبوك فقال: يا محمدُ، اِشْهَدْ جَنَازَةَ مُعَاوِيَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ المُزَنِيِّ. قال: فَخَرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ وَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام في سَبْعِينَ ألفًا مِنَ المَلَائِكَةِ، فَوَضَعَ جَنَاحَهُ الْأَيْمَنَ عَلَى رُؤُوسِ الجِبَالِ فَتَوَاضَعَتْ، وَوَضَعَ جَنَاحَهُ الْأَيْسَرَ عَلَى الْأَرَضِينَ فَتَوَاضَعَتْ حَتَّى نَظَرَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجِبْرِيلُ وَالمَلَائِكَةُ عليهم السلام فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، بِمَ بَلَغَ مُعَاوِيَةُ هَذِهِ المَنْزِلَةَ؟ قَالَ: بِقِرَاءَتِهِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَرَاكِبًا وَمَاشِيًا»[1].

ومع كل هذا يبقى التعاهد بالنسبة للحافظ واجب وله أجره العظيم، وله الأجر على كل ذكرٍ تركه لأجل تعاهد القرآن، لأن تعاهد القرآن أعظم، ولأن تعاهد القرآن فرض وذلك لأن بغير التعاهد ضاع الحفظ وذهب القرآن وتفَلَّتَ .. والله عليم بِنِيَّتِهِ ومحبته لذكره بكذا وكذا إلا أن حال بينه وبينه تعاهد القرآن أن يذهب مِنْ عِنْدِهِ!

وما رأيت لهذا الصراع في نفس المرء من فصلٍ بين التزام الأوراد وبين تعاهد القرآن من حديث النبي ﷺ: «مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَى سَائِرِ الكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ»[2].

(1) موسوعة فضائل سور وآيات القرآن – القسم الصحيح (2 /420)، وقال مؤلفه محمد بن رزق بن طرهوني: هذا إسناد صحيح لا مغمز فيه على الإطلاق.

(2) رواه الترمذي (2926)، وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني بعد ذكره لمجموعة من شواهد الحديث: والحديث حسن بجملة هذه الشواهد، فضائل القرآن لابن كثير ص (274).

فتكون مسألة العبد هو حفظ نفسه وأهله في الصباح، أو حفظهما في المساء، أو الاستعاذة من كذا أو كذا أو أي مسألة من المسائل، وهذه تتحقق بأوراد الصباح أو المساء أو نحوهما ... وهنا جاءت المقارنة بين الأخذ بقراءة القرآن حفظًا أو تعاهدًا وبين الأخذ بالأوراد وترك القرآن .. فجاء هذا الجواب النبوي القاطع الذي لا ينطق عن الهوى، وما زاغ من أخذ به وما غوى. وما مصير المحفوظات الجديدة من سور القرآن لهذا الحافظ أو ذاك إذا أهملت بتعاهدها في الصلاة؟

ثم أين موقع التدبُّر والتفكُّر والخشوع والخشية ومعرفة الله، وقصص الأنبياء عليهم السلام وأحكام القرآن والدار الآخرة وما إلى ذلك من مواضيع لا تُعَدُّ ولا تُحصى في القرآن وكلها يحتاجها المسلم وهو لا يجدها دائمًا في قصار السور الكريمة؟!

إنه الهجران للمحفوظات الجديدة، ونظام مُفَكَّكٌ لنظام التعاهد الذي شرعه رسول الله ﷺ كما بَيَّنَّاهُ في الحديث، ألا ما أعظم ما شرعه رسول الله ﷺ في حديثه هذا في التعاهد الذي هو والله العجب العجاب من جوامع كلمه ﷺ.

وبهذا تتحوَّل حياة هذا الحافظ حين التزم بمعاهدة القرآن في صلاة النوافل ليلًا ونهارًا إلى أُلفة... فما عاد يطيق ركعة لا يقرأ فيها شيئًا من ورده ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، وما عاد يتفلَّت من قلبه موضع توقُّفه في الركعة السابقةِ وفي الصلاة السابقةِ، فهو دُرْبَةٌ[1] للحافظة، وفيه أحسن علاج مستمر لآفة النسيان، فسبحان الله كيف شرع الله العلاج في ذات طريقة تعاهد القرآن لأخطر آفة على الحفظ، لأن هذهِ لا تكون إلا بهذهِ فأصبح ذكر التعاهد يلزمه الحفظ والضبط ودقة الاستذكار

(1) دُرْبَةُ المصدر من فعل (دِرب) على الأمر: أي اعتاده وأُولع به حتَّى أصبح حاذقًا بصنعه.

والاستيثاق وإلا فإن الاستمرار في ختمة واحدة مجزَّأة أجزاءً مستحيلة وخصوصًا إن اختلفت الكميات مرة عن أخرى، كما أنها إن لم تختلف تفيد ضبطًا من نوع آخر وهو ضبط الرؤوس التي يقف عليها من أجزاء وأرباع وأثمان وأعشار، وصفحات ورؤوس الصفحات، وفي هذا مزيد إتقان فيصبح عقل الواحد وكأنه كل صفحة من صفحات القرآن الكريم أو كأنه قرآن كريم مطبوع بدِقَّته وضبطه على صفحات قلبه.

وفي هذهِ الطريقة المرتبطة بصلاة النوافل في تعاهد القرآن، في نوافل الليل ونوافل النهار فيها تربية عظيمة على المسابقة إلى الصلاة في المسجد، وربط الحياة بالصلاة، وفيها تعلُّق القلب بالمسجد؛ فإن المتعاهد حِفْظَه في نوافل الصلاة أحرص الناس على أن يكون في المسجد عند الأذان أو بُعَيْدَهُ بقليل حتى يتمكَّن من المحافظة على تعاهدِهِ بالقرآن، وإتمام ورده اليومي المرتبط بصلاته، فإن حَدَثَ وفَاتَهُ وِرْدُهُ من القرآن في السنن القبلية فلابد أن يعوِّض في السنن البعدية أو يقضي القبلية ويأتي بورده فيها.

فلله ما أعظم آثار هذا التعاهد على قلب الحافظ وطلابه؛ إنها طريقة يصبح فيها المسجد محور الحركة والتنقُّلات، وتصبح فيها صلاة الجماعة محور الزمان والأوقات، ويصبح فيها النداء للصلاة نداءً للقرآن ومذكِّرًا بتعاهد القرآن، ويكسب فيها هذا المتعهِّد كل الأجر الوارد فيمن توضَّأ في بيته وخرج، وفيمن سمع النداء ولبَّى، وفيمن مشى إلى المسجد بالخطوات، وفيمن ركب وسار، وفيمن دخل المسجد وصلى النافلة، ومن انتظر إلى أن أقيمت الصلاة، وفيمن توطَّن المسجد، وفيمن استحق الضيافة والنزل كلما غدا إلى المسجد أو راح، وفيمن حصل من

النوق على عدد ما حفظ وأتقن من الآيات.. ثم ما أدراك ما وراء ذلك كونك في بيت الله؛ فهذهِ والله لها من الفضائل ما لا يمكن حَدُّهُ وحصره، ومن ذا يستطيع أن يحصر عطاء الله ﷻ؛ وإن من عطاء الله فتوحًا على قلبه ولا يحصل عليها في درس ولا كتاب ولا مدرسة ولا من بشر، وفيها سكينة تتنزَّل، ورحمة تغشاه، وملائكة تحتفي به وتحيطه وتشهد له عند الله في الدنيا كل يوم وفي الآخرة، وفيه العمارة العظمى لبيت الله ﷻ وفيه عمارة قلب المتعاهد حفظه الجامع لخير كلام في خير مكان في خير مقام.

لقد ذكرت تعاهد القرآن في صلاة النهار في السنن الراتبة للصلوات وفيها كما رأيت من الخير والفضل ما لا يمكن إحصاؤه مع الإفادة بأنها ستكون على مدار النهار كما هو مُعَيَّنٌ بتوقيت الفرائض والله –سبحانه– يقول: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا ١٠٣﴾ [النساء: 103]، وهو بغير شك أحسن توقيت فإذا ربطنا التعاهد بتوقيت الصلاة فقد ربطناه بأحسن توقيت ولسوف تكون ثمرته أحسن ثمرة.. وتكون ثمراته موزَّعة أحسن توزيع، ويكون تطهير النفس أحسن تطهير كما تكون تزكيتها أحسن تزكية... ولكن عليه ألا يستعجل القراءة، ولا يجعل غايته هي الانتهاء من وِرْدِهِ من القرآن الكريم اليوم بأي طريقة فإن في هذا القضاء على الثمرة المرجوَّة إلا مجرد الحفظ والحفظ المجرد.

وليجعل طالب التحفيظ والحافظ لنفسه وقتًا يعوِّض فيه إن لم يكمل ورده النهاري، ويا حبذا أن يكون صلاة تطوُّع كذلك ويا حبذا لو كانت صلاة الضحى،

فإن وقتها موسَّع، وإن عدد ركعاتها تصل إلى ثمان ركعات، بل يمكن أن يجعل ورد النهار كله فيها، والأولى هو ما ذكرته على توزيع التعاهد على سنن الصلوات والأمر - بحمد الله كما تراه - متسع، ولكن من الجدية والحزم الالتزام بطريقة محدَّدة فمن أراد أن يزيد فليزدد ولكن لا يَنْقُصَ ولا يُنْقِصَ ولا يُخِلُّ أبدًا، ومَنْ أَخَلَّ فاءَ فورًا وعاد إلى طريقه وطريقته.



الكلمة
الثانية عشرة

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِىَ أَشَدُّ وَطۡـًٔا
وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾

الكلمة الثانية عشرة: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ أنشأ حفظًا، فأنشأ له قيامًا في ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل: 1 - 10].

لماذا ناشئة الليل؟ وماذا في ناشئة الليل؟!

وليست هذهِ فكرة خارجة عن حديث التعاهد بل هي ضمن الحديث العظيم فهي الأمر الوارد في كتاب الله ﷻ فمن ذلك قوله: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [الزمر: 9].

وقال -سبحانه-: ﴿كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧﴾ [الذاريات: 17].

فماذا في ناشئة الليل لمتعاهد كلام ربه بالحفظ؟

قال الإمام البقاعي -رحمه الله تعالى-: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: أي ساعاته التي كل واحدة منها ناشئة، والعبادة تنشأ فيه بغاية الخِفَّة من نشأ أي نهض من مضجعه بغاية النشاط لقوة الهمة ومضاء العزيمة التي جعلتها كأنها نشأت بنفسها، وقال

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، وما كان قبله فليس بناشئة، وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الناشئة: القيام بعد النوم، وقال الأزهري: الناشئة القيام، مصدر جاء على فاعلة كالعافية بمعنى العفو[1].

قوله -سبحانه-: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: فقد كان الله سبحانه وتعالى قادرًا على أن يقول إن قيام أو صلاة الليل أو نحو ذلك لكنه -سبحانه- ما قال هنا إلا ناشئة الليل مع أن المقصود واحد، لكن سترى كيف أن أصل معنى الناشئة في اللسان العربي المبين مع ما ورد في كتاب الله -تعالى- وفي سُنَّة رسوله ﷺ ما بين الخصوصية لهذا المُصطلح، وكيف أنه يبيِّن عجائب من المعاني العظيمة التي تشير إلى فضل هذهِ الصلاة وعظمتها كما تشير إلى طبيعتها، وإلى دورها وأثرها وثمرتها، وتعيد المتدبِّر إلى استخدامات الناشئة في القرآن الكريم... ولكل هذا ارتباط عظيم بحفظ القرآن وتعاهده.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: لأنها حياة تخرج من ممات، أولم يقل الله -سبحانه-: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [العنكبوت: 20]، ويقول -سبحانه-: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧﴾ [النجم: 47]، ألا ما أعظمه من عبدٍ يعيده الله من موتته الصغرى للحياة كل ليلة، فبكم يشتري الموتى العودة إلى الحياة ولو كانت ساعة واحدة... هكذا يحقِّق قائم الليل إذا أنشأ له صلاةً كل ليلة فيُحقِّق بها المستحيل بالنسبة للموتى إذا مات هو، فأي لحظات - تراها- أعظم من لحظات يتذكَّرها أهل الجنة من أعمارهم التي

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (207/ 8).

عاشوها في الدنيا؟ إنهم يتذكَّرون ويذكرون بناشئة الليل ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨﴾ [الذاريات: 18-17]. إنها لحظات نعيم يذكرونها إذ هم في النعيم الذي لا نعيم مثله، فمن يُقَدِّرُ هذا النعيم قدره اليوم؟!

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: فهل أثمن في عين الإنسان من فلذة كبده، وخصوصًا إذا كانت بنتًا، فكيف إذا أحيطت بالذهب والحُلِيّ وهي صغيرة، وهكذا هو معنى الناشئة في القرآن الكريم قال الله -سبحانه-: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾ [الزخرف: 18]، وهكذا هي ناشئة الليل نورًا في ظلمتها، وغلاءً بين نظرائها.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: «الناشئة» هي أول ما ينشأ من السحاب ويرتفع، كما قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَنْشَأَتْ بَحْرِيَّةً ثُمَّ تَشَاءَمَتْ، فَتِلْكَ عَيْنٌ غُدَيْقَةٌ[1]»[2]، وهكذا ينشأ الخير والإحياء إلى أن يخرج منه نَشَأٌ آخر كما قال -سبحانه-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ١٢﴾ [الرعد: 12]، فيا لليل القائمين ما أعظمه وما أبركه! فمنه تُغاث حياة الإنسان الصالح المُصلِح المُحسِن المِقْدَام لأنها منه تنشأ وفيه تصنع وفيه تُسيَّر السحاب الثقال إلى حياة القائم ليله وإلى حياة الناس كافة ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ لابد أن تغيث، وتسقي، وتتغيَّر بها الأرض، وتفرح وتنهض وتنشط... كما قال -سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ

---

(1) المعنى: أن السحابة إذا طلعت بالمدينة من جهة البحر، ثم أخذت إلى ناحية الشام، جاءت بمطر كثير، وهو الغَدَق. قال الله تعالى: ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦﴾ [الجن: 16].

(2) رواه مالك في الموطأ (1/192) حديث رقم (5)، وقال ابن عبد البر: لا أعرفه بوجه من الوجوه في غير الموطأ إلا ما ذكره الشافعي في كتاب الاستسقاء.

فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾﴾ [الحج: 5].

فناشئة الليل صغيرة في وقتها عظيمة في أثرها وثمرها؛ إنها ناشئة ابتدأت بعد إذ لم تكن فأحدثت روحًا لإحياء الحياة، كما قال -سبحانه-: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: 141].

فهل فهمنا كيف تُنْشِئُ ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ الحقائق العظمى، وتنشئ الحياة العظمى، وتُخْرِجُ الأمة العظمى، وهل فهمنا لِمَ ﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ هِيَ أَشَدُّ ﴿وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾ ، فهي التي توطِّئ النفس الإنسانية بثقلها وحرارتها حتى يذهب حرشها ووعورتها، وتدك دكًا وتدقها دقًا حتى تستقيم فتكون أقوم قيلًا وأقوم فعلًا وتستقيم كما يستقيم حد السيف، وحد الرمح ورأسه لينطلق فيصيب بإذن الله القلوب بالهدى والشياطين في مقتل.

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: تُذَكّر بالبعث يوم النشور... فكم ذَكَّر الله ﷻ بالنشأة الأولى على الآخرة، وكم ذكَّر الله -سبحانه وتعالى- بالقومة من النوم بالقيام يوم القيامة بين يدي الله ﷻ، فقال -سبحانه-: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمۡ أَنشَأۡتُمۡ شَجَرَتَهَآ أَمۡ

نَحۡنُ ٱلۡمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحۡنُ جَعَلۡنَٰهَا تَذۡكِرَةٗ وَمَتَٰعٗا لِّلۡمُقۡوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة: 71 - 74].

وقال -سبحانه-: ﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: 47].

وقال -سبحانه-: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة:62].

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: ولكم سيذكر أهل القيام فضل ناشئة الليل وهم في الآخرة إذا أُدخِلوا الجنة ورأوا من عطاء الله ما رأوا، ورأوا الترابط ما بين الإنشاء والناشئة حيث قال -سبحانه- في الحور العين ويا له من نعيم عظيم: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ﴿٢٨﴾ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴿٢٩﴾ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾ [الواقعة: 27 - 38].

﴿نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾: وما أوثق ارتباطها بالنجاة من أعظم مصائب الدنيا ومصارعها... فمن وسط الليل البهيم حصَّل المتعاهد للقرآن صك النجاة من طوارق الليل وكوارث النهار كما كانت الجوار المنشئات في البحر سائرة في الليل وفي النهار إلى مكامن الأرزاق وبرِّ الأمان.

كان الناس في ليلة غزوة بدر نائمين يستعدون لمعركة الغد الكبرى، بينما كان رسول الله ﷺ ينشأ في الليل ناشئته ويا لها من ناشئة حتى قال عَلِيٌّ رضي الله عنه: «... وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ»(1).

(1) رواه أحمد في مسنده (1023) عن علي رضي الله عنه، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾: هكذا كأنه نبت جديد ينشأ، أو ولدٌ جديد يولد وينشأ شيئا فشيئا.

إنه وحده خلق جديد ولكنه لا يُخلَق قطعة واحدة، مرة واحدة، بل هو خلق ينشأ من الموات وينشأ في ظلمات الليل وينشأ شيئا فشيئا وسط الظلمات.

لقد كانت البذرة هي القومة الأولى من النوم، وهنا كانت ولادة هذه النشأة الجديدة، ثم كبرت فكانت الناشئة، فكانت القومة، وذِكْر الله -تعالى- وما يتبعها، ثم كانت النشأة تكبر وتكبر حتى بلغت ذروتها حين نُفخِت فيها الروح، وإن شئت قلت بلغت واستحقَّت أن تُتَوَّجَ بلقاء الله وكل ذلك وهي في الليل.

وناشئة الليل ما بُعثت من عالم الموتة الصغرى ونُفخت فيها الروح لتموت، بل لتبقى حية لأنها الآن سوف توصل بمصدر الحياة وهو القرآن العظيم الذي فيه الحياة والروح، كما قال الله -سبحانه- لرسوله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: 52].

فهذه الروح باقية في هذا الكتاب لأن حياة الناس الحقة بهذا الكتاب، ولأن حياة الأمة كلها بهذا الكتاب فكيف لا تكون حياة الفرد إذا هو قام بهذا الكتاب، كما قال النبي ﷺ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ»[1]، فيا لناشئة

(1) رواه البخاري (6407).

الليل ما أعظمها! وأعظم حياتها وإحياءها! وما أبقاها وما أعظم أثرها وأبعد مداها!

لأن الروح الذي حَلَّ برسول الله ﷺ فكان هو رسول الله ﷺ والحياة التي بُعثت فيه كان هو هذا القرآن الكريم كما مر معنا قريبا في قوله -سبحانه-: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: 52]، ولهذا كان أثرها كأثر القرآن حين ينزل به جبريل على رسول الله ﷺ فلقد ثبت أن للوحي ثقلًا شديدًا على رسول الله ﷺ وقد مرَّ معنا ذلك.

فَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ يَأْتِيكَ الوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ(1) الجَرَسِ، وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ(2) عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ(3) عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الوَحْيُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ(4) عَرَقًا(5).

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «إِنْ كَانَ لَيُوحَى إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَتَضْرِبُ بِجِرَانِهَا(6)»(7).

---

(1) صلصلة: هي صوت الحديد إذا حرك وتطلق على كل صوت له طنين، وهو هنا صوت مُتَدَارَك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد، والمشبه هنا صوت المَلَكِ بالوحي.

(2) فيفصم: يُقْلِع وأصل الفَصْمِ القطع من غير إبانة.

(3) وعيت: فهمت وحفظت.

(4) ليتفصد: يسيل من الفَصْدِ وهو قطع العِرْقِ لإسالة الدم، شبه الجبين بالعِرْقِ المفصود مبالغة من كثرة عرقه.

(5) رواه البخاري (2).

(6) الجِران: باطن عنق الجمل أو الفرس.

(7) رواه أحمد (24868)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

وعـن زَيْـدِ بْـنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْـهِ: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: 95] و﴿وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 95]»، قَالَ: فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا[1] عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَسْتَطِيعُ الجِهَادَ لَجَاهَدْتُ -وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَى- فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ[2] فَخِذِي، ثُمَّ سُرِّيَ عَنْهُ[3]، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء: 95][4].

هذا هو وطء الوحي عند أول نزوله على رسول الله ﷺ وهكذا يبقى من وطئه ما يشاء الله عَزَّ وَجَلَّ في قلب المؤمن القائم في ناشئة الليل على وجه الخصوص ما ليس له نظير في أي وقت آخر، وهذا ما ينبئ عن خصوصية القرآن لناشئة الليل... وهذه الخصوصية تظهر آثارها العظيمة والعميقة والثابتة والباقية لما بعد ناشئة الليل ... فالليل يُدْبِرُ لكن ناشئة الليل لا تموت ولا تذهب بذهابه.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا﴾ [المزمل: 6]: سبحان الله كيف تُشَكِّلُ ناشئة الليل خُلُق صاحبها فإذا به ينشأ من جديد ... وإذا به ذاك الذي صنعه القرآن صنعًا عجيبًا، فاللين والرقة والرفق والطيب والسماحة والتسامح قد طُبعت عليه وأصبحت صبغته، والسخاء والعطاء والإنفاق والجود حتى لا يكاد يمسك مالًا ولا يردُّ سائلًا، ولا يبخل على مشروع خير .... وهو إذ يفعل ذلك يفعله ابتغاء وجه الله الكريم ويفعله كأثرٍ من آثار وطء القرآن العظيم عليه، وقد غلب عليه فهو لا يملك نفسه في مرضاة ربه عَزَّ وَجَلَّ،كما

(1) يُمِلُّها: يُمْلِيها، أي يقرؤها عليه ليكتبها.
(2) تَرُضَّ: من الرَّضِّ وهو الدَّقُّ والجَرْش.
(3) سُرِّيَ عنه: كُشِفَ وأزيل ما يجده من ثِقَلِ الوحي.
(4) رواه البخاري (2832).

جاء عن عبد الله بن عباس في ذكر حال النبي ﷺ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عليه السلام كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ[1]»[2].

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾: وعلامة أخرى هي من أظهر علامات وطء ناشئة الليل عليه بأثر القرآن العظيم تلك هي الخوف من الله وما ينتج عنه من أثر ظاهر على ظاهره، وعلى خُلُقه من تقوى الله ومخافته ولذلك هم مستمرون على الاستغفار بالأسحار.

ألا ترى لِمَ ربط ربنا الاستغفار بالأسحار وبالليل، فقال -سبحانه-: ﴿ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: 17 - 18].

فليس معنى هذا أنهم يلزمون قول: أستغفر الله في الأسحار، لكن المعنى الأوسع والأشمل والأدقّ هو أن نفوسهم قد أحسَّت بتقصيرها العظيم في جنب الله ﷻ في ناشئة الليل خاصة، وهذا هو طبع المقرَّب حين يُقَرَّب، وهو طبع من رأى عظيم الفضل عليه فإنه يميل مباشرة إلى تقصيره في جنب الله فيجد ملاذه بالاستغفار، وكلما قرَّبه الله -سبحانه- ورفعه الله -سبحانه- درجة قد تمنَّاها من قبل فإذا ما رفعه إليها نظر إلى الدرجة السابقة، وقد كانت رفيعة وقد تمنَّاها من قبل

(1) الريح المرسلة: المراد كالريح في إسراعها وعمومها.

(2) رواه مسلم (2308).

فرآها الآن تقصيرًا بالنسبة لهذه الدرجة فاستغفر، فالاستغفار ليس فقط ذلكم اللفظ بل هو طابع القلب الحاضر المقرَّب الشاكر في ناشئة الليل.

إن المنطق الظاهر يقول: إن أبعد الناس عن التفكير في تقصيره وعن الاستغفار هو قائم الليل لأن حال القائم حال الشاكر، كما قال النبي ﷺ: «أفلا أكون عبدًا شكورًا»... وهذا صحيح ولكنه حجة لمعنى الاستغفار الذي ذكرناه، وحجة لأن يصبح طابع الاستغفار هو طابع القائمين الليل.. فإن الرسول ﷺ ما انتقل من طابع الاستغفار إلى طابع الشكر في ناشئة الليل إلا بعدما غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه، ولهذا كان السؤال له ﷺ من أم المؤمنين عائشة رَضِوَلِيَّهُعَنهَا: فإنَّ رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تَتَفَطَّرَ[1] قدماه، فقلتُ له: لِمَ تصنعُ هذا وقد غُفِرَ لك ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِكَ وما تأخَّرَ؟ قال: «أفلا أحبُّ أَنْ أكونَ عبدًا شكورًا؟!»[2].

فماذا تكون صبغة قيامِ مَنْ قام وهو لا يعلم أنه قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ولا ما تأخَّر... إلا أن تكون صبغة قيامه وطابعه هو طابع الاستغفار وهو روح قيامه.

أما قرأت إخبار الله -سبحانه- عن قومٍ من المؤمنين خصَّهم -سبحانه- بالذكر في كتابه مُعَظِّمًا شأنهم، فقال -سبحانه-: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾ [الزمر: 9].

(1) أي تتشقق.

(2) تقدم تخريجه.

فالقنـوت هـو صبغتـه آنـاء الليـل، وهـو طاعـة اللـه -سـبحانه-، والسـكينة والوقـار، والذبـول مـن خشـية اللـه، والحركـة سـجودًا وقيامًـا للـه ... يتقلَّـب مـا بيـن الخـوف والرجـاء.

وباعث ذلك كله هو ما قال الله -سبحانه-: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾ إذن فهذِهِ هي التي سوف تصبغ حياته وهي التي ستقيمه في كل ليلة وستصنع له ناشئة جديدة كل ليلة فإنَّ حَذَرَ الآخرة ورجاء رحمة ربه لن يموت بذهاب موطنه وهو الليل إنما هو السر الذي سوف يقيمه ويقعده إلى أن يلقى ربه.

فهـذِهِ إشـارة عظيمـة إلـى مـا تفعلـه ناشـئة الليـل فـي عالـم التغيُّـر النفسـي الداخلـي والتغييـر الظاهـري العملـي.. فمـا يرجـو أحدنـا فـي نفسـه وفـي طلابـه أكثـر مـن هـذا وأعلـى.

إن العظائم التي يراها القائم ليله وهو بين يدي ربه لا يتذوَّقها قلبه إلا إذا قام، فالعبد لا يدري متى تتجلَّى له معاني أسماء الله الحسنى، ولا يدري من أي باب من أبواب ناشئة الليل تشرق على قلبه شموس التسبيح، ولا يدري عن نفسه كيف يكون وفي أي هيئاته... آنذاك، لكن الباب الذي لا نظير له والباب الذي منه تتفتَّح كل الأبواب هو باب القرآن... فهو كلام الله.. وهو الذي يقرأه القارئ قائمًا، ومن بعده يأتي التسبيح لربنا العظيم في الركوع، ثم التسبيح لربنا الأعلى في السجود، ويأتي الدعاء والتحيَّات وما إلى ذلك بل في أثناء قراءة القرآن يكون أعظم التجاوب؛ فإن العبد لا يتمالك قلبه، والقلب لا يتمالك نفسه، واللسان لا يملك إلا أن يستجيب، ومن ثَمَّ كان هذا هو حال النبي ﷺ فلقد روى مسلم في صحيحه عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ[1]، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا[2]، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ[3].

ورواه الترمذي[4] بلفظ: «وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ رَحْمَةٍ إِلاَّ وَقَفَ وَسَأَلَ، وَمَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ وَتَعَوَّذَ»، والنسائي[5] بلفظ: «فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِآيَةِ عَذَابٍ وَقَفَ وَتَعَوَّذَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ وَقَفَ فَدَعَا».

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ، قَالَ: ثُمَّ رَكَعَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ»، ثُمَّ سَجَدَ بِقَدْرِ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ فِي سُجُودِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ فَقَرَأَ بِآلِ عِمْرَانَ، ثُمَّ قَرَأَ سُورَةً سُورَةً[6].

---

(1) فقلت: أي في نفسي يعني ظننت أنه يركع عند مائة آية.

(2) فقلت يصلي بها في ركعة: معناه ظننت أنه يسلم بها فيقسمها ركعتين وأراد بالركعة الصلاة بكمالها وهي ركعتان ولا بد من هذا التأويل لينتظم الكلام بعده وعلى هذا فقوله ثم مضى معناه قرأ معظمها بحيث غلب على ظني أنه لا يركع الركعة الأولى إلا في آخر البقرة فحينئذ قلت يركع الركعة الأولى بها فجاوز وافتتح النساء.

(3) رواه مسلم (772).

(4) حديث رقم (262)، وصححه الألباني.

(5) حديث رقم (1008)، وصححه الألباني.

(6) رواه أبو داود (873)، والنسائي (1049)، وصححه الألباني.

❁ قوة الحفظ تشتد في الناشئة

إذن فإن الصفاء الذي يختص به الليل مع المتجلِّي الوحيد وهو كلام الله العظيم على خلوتك وصفوتك وصفائك، فلا صوت هنا إلا صوت القرآن الكريم وهو كلام الله رب العالمين فإن معاني الآيات تثبت ثباتًا عظيمًا... وأي مُثَبِّتٍ للمحفوظات مثل أن تفهم معانيها، وكثيرًا ما يتكرَّر خطأ إنسان في موضع معيَّن من القرآن لعدم فهم معناها فإذا فهم المعنى تنفَّس الصعداء فلم ينسها بعد ذلك أبدًا، وكثيرًا ما يتوقَّف الحافظ عند ختام آية ورأس آية فلا يستطيع الإكمال فإذا ما بُيِّنَتْ له قوة الإحكام بين ختام الآية وابتداء التي بعدها ثبت الحفظ لتبيُّن الربط وفك الشفرة المغلقة عليه طوال الفترة السابقة.

فكيف وحال النبي ﷺ حال المعايشة الإيمانية الكاملة لكل كلام ربه وكلماته وآياته، ولهذا فإن التجاوب والتجاذب ما بين الآيات الكريمة وبينه – عليه الصلاة والسلام – كان يتجلَّى ذلك معه كما ذكر مَنْ صَلَّى معه: فيُسبِّح مرة إن كانت آيات تسبيح ويدعو مرة إن كان المقتضى دعاء، ويستغفر مرة إن كان المطلب الاستغفار، ويتعوَّذ مرة إن كان المقتضى التعوُّذ، وليس هذا فحسب بل المقصود قس على هذا في كل مطلوب... والسؤال هو: هل يجد العباد جوًّا لتعاهد القرآن، مثل هذا الجو؟! لأنه لا جو لتعاهد القرآن الكريم تعاهدًا لا نظير مثل جو ناشئة الليل لأن المعايشة هنا إنما هي معايشة النفوس والعقول والألباب كلام الله مما لا نظير له في الأوقات مثل قيام الليل... أرأيت كيف قال الله –سبحانه–: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾﴾ [المزمل: 6]، فالحديد

الذي وَطَأَتْهُ المطرقةُ وطئًا لا يمكن أن يُمْحَى أثرُه، وهكذا النفوس، فكيف إذا ما سخَّنتها آيات الله حتى لانت بل كادت تذوب... حقًا إنه حِفْظٌ لا نظير له.

فكيف إذا كان نشأة هذا الحفظ وابتداؤه في ناشئة الليل... فقد كان منذ ابتداء حفظه وهو يقوم به في صلاة ليله... فشَكَّل القرآن الكريم فهمه وأناره، وشَكَّلَ خُلُقَه وقَوَّمَه، وصنع الحافظ الجديد صنعًا فريدًا لا يماثله صنع من شُرِحَ له في معهد أو كلية القرآن كلمة كلمة وآية وآية لأن التلقِّي في ناشئة الليل تلقٍّ بين يدى الله -تعالى- وحده، وتلقٍّ عن الله من غير تشويش ولا ملابسات.

فكان وطء القرآن، لحفظ الحافظ في هذهِ الأجواء العظيمة... ولك أن تتصوَّر أن هذا الأمر يتكرَّر كل ليلة... وربما كرَّر ما قرأه في الأسبوع الواحد أكثر من مرة، وكرَّره في الشهر مرات ومرات، وكرَّر الختمة إن ختم طوال حياته... فكيف سيكون حفظه وكيف ستكون إزالته لكل خطأٍ يخطؤه، وكيف سيكون صدره في القرآن إن أراد، أو ترتيله للقرآن إن أراد، وكيف سيكون استشهاده بالقرآن في حياته وفي خُطَبِهِ أو خواطره أو كلماته... بل كيف ستنشأ أفكاره إنشاءً من معين القرآن، وتنبثق من نور القرآن، فإذا بها شعاع من نوره، فهل يمكن أن يكون جوٌّ في الوجود لتعاهد القرآن مثل هذا الجو؟! وهل يرجو شيخ مُحَفِّظٌ لنفسه ولطلابه من بعده صناعة قرآنية ظاهرة وباطنة فكرًا وقلبًا، خُلُقًا ونفسًا مثل أجواء ناشئة الليل؟!

يا صاحبي: إنه لا فاصل بين إتقان حفظ القرآن ومعايشة القرآن... فأنَّى لمن يكثر منه الخطأ ويكثر عنده التوقُّف إذا قرأ أن يخشع لأنه سوف ينشغل بنفسه

وأخطائه في حفظه عن الخشوع بالقرآن وتدبُّره وفهم معانيه، وإدراك ما ييسِّر الله من مطلوباته ومراميه.

وما من أحدٍ جرّب الصلاة خلف ضعيف الحفظ كثير التوقف والخطأ في آيات الله وخشع في صلاته... ألا ما أعظم الرابط ما بين إتقان حفظ القرآن وبين فهم القرآن وإدراك ما ييسِّره الله من بعض معانيه والخشوع فيه ومعايشة معاني وآثار كلام الله ﷻ!

وقد كان النبي ﷺ يقوم من الليل ويطيل في القراءة ما لا يفعله في النهار، فالليل هو المقدَّم في لقاءات الله ﷻ، فالإسراء كان ليلًا، كما كان المعراج ليلًا، وكانت الصلوات الخمس وتشريعها ليلًا، وكان بلوغ أعلى المقامات ليلًا، كما قال -سبحانه-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: 79].

وقال -سبحانه-: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١﴾ [الإسراء: 1].

فصاحب الليل مُعَانٌ، ومنشأ ناشئة صاحب الليل قريب، والقائم بالقرآن في الليل قائم بكلام الله بين يدي الله، والله أقرب إليه من كل قريب فكيف لا يكون هو الوقت الأمثل لعرضك محفوظاتك من كلام الله على الله ﷻ؟! وكما اختار الله -سبحانه- لإسراء رسوله ﷺ ولمعراجه الليل وأوحى له ما أوحى... وما أعظم ما أوحى! فقد اختار الله للقاء موسى عليه السلام الليل، وجعل لقاءه -سبحانه- موسى وخيار قومهِ الليل، بل جعل عدَّ أوقات الميعاد الليالي، فقال -سبحانه-: ﴿وَوَٰعَدۡنَا

مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [الأعراف: 142].

ونصَّ الله -سبحانه- على أنَّ إنزال رحمته على النبي ﷺ ومن آمن معه كان كثيرًا منه ليلًا، فقال -سبحانه- لنبيه لوط عليه السلام: ﴿قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ٨١ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ [هود: 80 - 83].

يا ولدي: إن الله -سبحانه- إذا أمر بأمرٍ عباده المؤمنين أعانهم على القيام به، وسدَّدهم، ويسَّر لهم سبل القيام به... وما أكثر ما أمر الله -سبحانه- بالصلاة بالليل وقراءة القرآن بالليل... فأي قائم يقوم بالقرآن متعاهدًا مراجعًا خاشعًا فالله -سبحانه- يعينه ويفتح له فتحًا لا يجده في أي وقت... ألم يُقرِّب الله -سبحانه- موسى عليه السلام إذ كان بعيدًا حتى أدخله شيئًا فشيئًا إلى الواد المقدس ليلًا؟ وحين أدخله لا يزال يقرِّبه، وأي قرب أعظم من أن يُعرِّفه به -سبحانه-، فيقول له: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: 14]. وهو -سبحانه- مَنْ يلهمه الدعاء ويذكِّره وهو من يعطيه ويهبه، وإلا فهل ترى موسى هو من ذَكَرَ أخاه في ذلك الموقف العظيم... كما يُذَكِّرُ -سبحانه- أهل الجنة بالنعيم الذي يطلبونه حين يدخلهم دار قربه.

ولقد عجبت مرة لرجل كبير عاقل عابد حبيب لا يُصنَّف أنه من أهل العلم لكنه من أهل الاستقامة والعبادة والإنفاق والتواضع -رحمه الله-، فكنت أتحدَّث عن قيام الليل بتفصيل... فقلتُ: ولو أن الرجل أخطأ في آية أو لم يعرف ما بعدها وأُغلق عليه وهو في صلاة الليل...! فبادرني باستغراب شديد قائلًا: يا ابن أخي: وهل يغلق القرآن على قائم الليل؟!... لا، لا، لا يا ابن أخي! فقلت له: يا عم: ألا يتوقَّف قال: لا يمكن، كيف يتوقف وهو قائم الليل والله معه.. أرأيت لو توقف في صلاة الجماعة والناس معه... فمن يفتح له؟ قلت من وراءه من الناس، قال: كلام من يقرأ هو أليس كلام الله؟.. أفلا يفتح له الله وهو صاحب الكلام وهو معه وحده.

فهل رأيت عجبًا مثل يقين هذا الشيخ الكبير؟ ثم عرفت أنه يقوم الليل بالقرآن دائمًا... لكني ما عرفت أنه يُعَدُّ - في أهل دُبَيِّ - من الحفاظ، فسبحان الله العظيم.

نعم إذا أمر الله المؤمنين بأمرٍ فاستجابوا له أعانهم .. ألم يقل الله -سبحانه-: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى: 8 - 10].

وقال -سبحانه-: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: 5 - 7].

فالله -سبحانه- هو مَنْ يسَّره بلسان نبيه ﷺ وهو من يُيَسِّرُه بلسان قائم الليل، لأنه طالب تيسيره وطالب حفظه وطالب فهمه وطالب القيام بحقه، أولم يقل الله -سبحانه-: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم: 97].

وفي أربع آيات متحدات وليست متماثلات -فحسب- في سورة واحدة هي سورة القمر يؤكِّد الله -سبحانه وتعالى- حقيقة عظيمة تلك هي تيسير القرآن، فقال -سبحانه-: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ وأي تيسير مثل تيسير حفظه لمن عرف قراءته، وكل صادق طالب شيئا من القرآن وبالقرآن ييسِّر الله له أمره؟ وأي مدّكرٍ مثل قائم الليل بالقرآن وللقرآن؟!



الكلمة
الثالثة عشرة

﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ۝٢١٨﴾

الكلمة الثالثة عشرة: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾[1]

من عوائق التعاهد ليلاً

حين نذكر فضل شيء ثم نذكر ما هو أفضل من بعده فهذا لا يعني أننا ننسخ بالفضل الثاني الأول، ولا يعني أننا ننسف الأول بالآخر، فكلٌّ له فضله، وفضله هذا متعلِّق بوقته أو مكانه أو حالته، وفضل الآخر متعلق كذلك بوقته أو مكانه أو حالته، ومن العباد من يطيق هذا ولا يطيق ذاك، ومن النفوس من تطيق هذا أحيانًا ثم تطيق ما هو أكثر بعد ذلك، وهكذا وهكذا. فمنهم من يُطيق الإطالة في صلاة النهار ولا يطيقها في الليل والعكس، ومنهم من يوتر أول الليل ومنهم من يوتر آخره وهكذا وهكذا...

لكن لتعاهد القرآن بالليل خصوصية لا توجد إلا في الليل، فالليل هو موطن نزول القرآن الأول ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ٥﴾ [القدر: 5-1].

تعاهد القرآن يا صاحِ ليلًا... فليس مثل تعاهد الليل تعاهد؛ فجزاء الليل في الليل، ومن جاء طالبًا بالقرآن من ربه ليلًا لم يعد إلا بحاجته، فكيف وحاجتك أنت القرآن؛ التقرُّب إلى ربك بالقرآن، استعراض ما معك من القرآن بين يدي صاحب الكلام وصاحب القرآن -سبحانه-، حاجتك إتقان حفظ القرآن، حاجتك فهم

(1) الشعراء: ٢١٨.

القرآن، وزيادة الإيمان من القرآن وبالقرآن... مطلوبك هو ما تستغيث به في أعظم استغاثة بالليل وفي سواه بأن يجعل الله القرآن ربيع قلبك ونور صدرك وجلاء حزنك وذهاب همك وغمك.

ألم يقل الله ﷻ لمن وراء الحجاب من الملائكة الكرام العظام: (ما سألني عبدي هذا فهو له)[1]؟

❁ جذبة الفراش

يا صاحِ: لا يُقَدِّرُ أحدٌ ما تتعرَّض له وأنت تريد قيام الليل من عوائق إلا الله ﷻ لأنه لا أحد يعلم بحقيقة حالك إلا الله –سبحانه وتعالى– الذي قال لرسوله ﷺ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾[الشعراء: 218]، فكيف لا يعينك وأنت تعاني ما تعاني كي تتعاهد كلامه بالحفظ لتبلغ الإتقان.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: أي من نومتك وأول ما تفتح عليه فكرتك هو الله رب العالمين إذ ما زال النوم يغالبك وتغالبه والنبي ﷺ يقول: «مَنْ تَعَارَّ[2] مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاَتُهُ»[3].

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: يراك إذ يتجافى جنبك عن مضجعه، ومضجعك يجذبه

(1) تقدم تخريجه.

(2) تعارَّ: انتبه وهو يسبح، أو يستغفر، أو يذكر الله –تعالى– بأي ذكر.

(3) رواه البخاري (1154).

ولا يزال التجاذب بين أخذٍ وردٍّ حتى يتخلَّص من جاذبية المضجع ويطرد النوم من عينيه طردًا ويمسحه عن وجهه مسحًا.

فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ، فَقُلْتُ: لَأَنْظُرَنَّ إِلَى صَلاَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَطُرِحَتْ(1) لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وِسَادَةٌ، فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي طُولِهَا، فَجَعَلَ يَمْسَحُ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ(2)، ثُمَّ «قَرَأَ الآيَاتِ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ، حَتَّى خَتَمَ(3) ثُمَّ أَتَى شَنًّا(4) مُعَلَّقًا، فَأَخَذَهُ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ، ثُمَّ جِئْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِي فَجَعَلَ يَفْتِلُهَا(5)، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ»(6).

عقد الشيطان لعنه الله

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إن الله سبحانه وتعالى وهو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم يخبرك بأنه عليم بما تعانيه نفسك وإن كنت أنت لا تعلم، ويعلم بالعقبات التي يصنعها الشيطان -نعوذ بالله منه- في طريق قيامك للصلاة منها ما تراه ومنها ما لا تُحِسُّ به ولا تراه، وهو يعينك وينصرك، إذ أنت تتقدَّم.

---

(1) فطرحت: ألقيت ووضعت.

(2) يمسح النوم عن وجهه: يمسح أثر النوم، وفيه: استحباب هذا.

(3) فيه جواز القراءة للمُحْدِثِ وهذا إجماع المسلمين.

(4) الشَّنّ: القِربة قديمة، أو الإناء القديم.

(5) يَفْتِلُها: يَحتمِلُ أنَّه فتَلَهَا تنبيهًا له مِن النُّعاسِ، أو ليتنبَّهَ لهيئةِ الصَّلاة وموقفِ المأموم، وغير ذلك.

(6) رواه البخاري (4570).

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ[1] الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ[2] رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ[3] عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[4].

فلتعلم جيدًا بهذهِ المعادلة بل بهذا الموقف الذي ينتظر قرارك أتقوم لرب العالمين أم تسمع لنصح الشيطان -لعنه الله- الذي قال لأبويك آدم وحواء -عليهما السلام-: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ [الأعراف: 21]؟

إن مَنْ عَلِمَ أنَّ الله سبحانه وتعالى ناظر إليه في لحظة القيام من النوم عزّ عليه أن يعود إلى فراشه ... عَزَّ عليه أن يُحْكِمَ عُقَد الشيطان وينفث عليها، وأبى إلا أن يحلَّها كلها جميعًا ويجعلها كأن لم تكن... إذ هو في موقف برزخٍ في حياته ما بين النوم واليقظة أو ما بين الموتة الصغرى والحياة، ويُسجِّل هنا في هذا البرزخ إرضاءً لربه واقتداءً برسول الله ﷺ، وتعاهدًا للقرآن الكريم وإخزاءً للشيطان الرجيم.

❁ التهاون في السواك

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: أتدري أن النبي ﷺ كان يستاك قبل أن ينام وكان يضع السواك بجانبه فإذا قام بادر إلى السواك: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ

(1) يعقد: يربط فيثقل عليه النومة.

(2) قافية: مؤخرة العنق أو القفا.

(3) يضرب كل عقدة: يُحْكِمُ العقدة ويؤكدها.

(4) رواه البخاري (1142)، ومسلم (776)، وأبو داود (1306)، وابن ماجة (1329)، وأحمد (7308).

بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»[1]، ولهذا حِكمة وله تعلُّق عظيم بالقرآن وتعاهده فإنه مجرى القرآن من القلب إلى الفم إلى خارج الإنسان حيث الأجواء من حولك... وهذا هو ما يُسمَّى مجرى النفس وهو مجرى الروح إذا خرجت... ولما حضر النبي ﷺ أَجَلُهُ طلب السواك فاستاك، كما في حديث عائشة رضي الله عنها فعَنْ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ أَبَا عَمْرٍو ذَكْوَانَ، مَوْلَى عَائِشَةَ، أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيَّ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي[2]وَنَحْرِي[3]، وَأَنَّ اللهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ، وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ، فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَتَنَاوَلْتُهُ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ[4]، وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ: «أَنْ نَعَمْ» فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ[5]، وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ[6] أَوْ عُلْبَةٌ - يَشُكُّ عُمَرُ - فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي المَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، يَقُولُ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ[7]» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ[8]. فيتطيَّب مجرى الروح عند الوداع، ويثبت القلب على الإيمان، وعلى الشهادتين وما يُرضي الله، وينفر الشيطان ويبتعد، وهذا هو ما يريده المتعاهد للقرآن، فإن للسواك والقرآن ارتباطًا.

---

(1) رواه أحمد (23486)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(2) سحري: أي صدري.

(3) نحري: أسفل الرقبة.

(4) فاشتد عليه: أي الوجع.

(5) فَأَمَرَّهُ: أي أَمَرَّهُ على أسنانه فاستاك به.

(6) ركوة: وعاء من جلد يُحْلَب فيه.

(7) سكرات: جمع سَكْرَة وهي الشِّدَّة.

(8) رواه البخاري (4449).

فإن تحضير السواك ليلا عند النوم لوقت الاستيقاظ ووضعه بجوارك هو من أحسن الإعداد وهو علامة صدق على العزم على قيام الليل، والله يحبها من علامة ويرضى عن صاحبها، كما أن الله -سبحانه- يبغض من لا يُعِدُّ العُدَّةَ ويجعلها علامة كذبه، كما قال -سبحانه- عن المنافقين: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: 46].

وإن للمتعاهد القرآن إذا تعاهد السواك إعانة مخصوصة لا يدركها ولا يعرفها بشرٌ أبدًا، فقد قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ المَلَكُ خَلْفَهُ، فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ» أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا «حَتَّى يَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ، إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ، فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ»[1]، فتأمَّل قوله في أول الحديث: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ»، وتأمَّل ختام الحديث وقوله ﷺ: «فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ»، فما حق هذا الكتاب الذي ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: 79] إلا أن تُطهِّروا أفواهكم، وما حق من حرص على هذا؟ وهل من سبيل أن يُطهِّر مجرى القرآن إلا بالسواك أولًا؟ وهل جزاء طهارة ما تَقْدِرُ عليه إلا أن يُطَهَّرَ لك ما لا تقدر عليه وهو قلبك؟

❁ التثاقل عند التطهُّر والوضوء

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: يا من اتخذت من الليل الطريق الأرحب لتعاهد القرآن فلتعلم أن الشيطان يصارعك على كل خطوة قبل أن تصل إلى الصلاة، ويصارعك

(1) تقدم تخريجه.

على كل فعل من أفعال الوضوء، فإن لم يجد على المصلين جميعًا غفلة ومنقصة فإنه يطمع في أن يجد على واحدٍ منهم فليجعل منه مدخلًا على الجميع، فلربما أدخل الشيطان - نعوذ بالله منه - الخلل على الجماعة الواحدة والصف المرصوص من خلال واحد منهم مُقصّر، ولو لم يجد منهم من قصَّر في ذات الصلاة أو في صفوف الصلاة فإنه ينظر في الوضوء... نعم إلى هذه الدرجة يبحث الشيطان -نعوذ بالله منه- فَعَنْ أَبِي رَوْحٍ الْكَلَاعِيِّ، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةً، فَقَرَأَ فِيهَا سُورَةَ الرُّومِ، فَلَبَسَ بَعْضُهَا، قَالَ: «إِنَّمَا لَبَسَ عَلَيْنَا الشَّيْطَانُ الْقِرَاءَةَ مِنْ أَجْلِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ بِغَيْرِ وُضُوءٍ[1]، فَإِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ[2]»[3].

أرأيت يا ولدي كيف أن القيام للصلاة من الفراش والتطهُّر والوضوء والمشي إلى الصلاة كله من الصلاة، فالشيطان حين أدرك خللًا في الوضوء دخل منه، وحين أدرك واحدًا من المسلمين قَصَّرَ في الوضوء دخل عليهم جميعًا منه، لأنهم كنفسٍ واحدة، بل دخل على رأسهم وإمامهم ودخل تحديدًا على قراءته القرآن، ولهذا فإن قول النبي ﷺ: «مِنْ أَجْلِ أَقْوَامٍ يَأْتُونَ الصَّلَاةَ بِغَيْرِ وُضُوءٍ» المقصود لا يحسنون الوضوء وحاشا أحدًا من الصحابة أن يأتي للصلاة غير متوضئ، ولهذا فقد بيَّنها ما بعدها وهو قوله: «فَإِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَأَحْسِنُوا الْوُضُوءَ»، وفي الرواية الأخرى: «أَنَّ أَقْوَامًا مِنْكُمْ يُصَلُّونَ مَعَنَا لَا يُحْسِنُونَ الْوُضُوءَ»[4].

(1) «بغير وضوء» أي: حَسَنٍ، بقرينة: فأحسنوا الوضوء، ويحتمل أن بعض المنافقين ما كانوا يتوضؤون من الأصل. وبالجملة، فهذا من صفاء قلبه ﷺ حيث ظهر له أثر قِلَّةِ مراعاتهم آداب الطهارة، كالمرآة المَجْلُوَّة، والله أعلم.

(2) وقال ابن كثير في تفسير آخر سورة الروم: وفيه سرٌّ عجيب، ونبأٌ غريب، وهو أنه ﷺ تأثَّر بنقصان وضوء من ائتم به، فدل ذلك على أن صلاة المأموم مُتعلِّقة بصلاة الإمام.

(3) رواه أحمد (15872)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

(4) رواه أحمد (15874)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن.

أرأيت لِمَ قال الله -سبحانه-: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾، فالمسلمون كنفس واحدة، والمصلون بنيان مرصوص، وقيام الليل محسوب لك من أول الاستيقاظ له إلى ختامه كله قطعة واحد... كله صلاة... كله قيام.

❁ كن كأنك ترى الله

من أول قيامك إلى آخره

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: ألم يقل الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾، فلتعلم أنك منذ أن تقوم من النوم تريد الصلاة فأنت في صلاة، فالله -سبحانه- هو الذي يراك على كل حالاتك، وهو من ذكَّرك بخصوصية رؤيته لك وشَرَفِها على كل تقلُّباتك وحالاتك وأنت تريد القيام بين يديه، فقال: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فكل قومةٍ من القومات المتتابعة إنما تريد بها القيام بين يدى الله ﷻ والنبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[1]، ويقول ﷺ: «وَلَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ»[2].

يا صاحبي: تنبَّه؛ فإنه إذا دخل الشيطان على إمام الصلاة فلبَّس عليه من واحدٍ من المصلين لم يحسن الوضوء فكيف لا يدخل عليك أنت في صلاتك إذا لم تحسن وضوءك نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إن معرفتك إذا فتحت عينيك من رقدتك أن الله الآن يراك فإنك منذ لحظاتها هذهِ سوف تحسن إحسانًا عظيما وأنك ستقوم لله قومة مَنْ كأنه يرى الله ﷻ.

(1) رواه البخاري (1).

(2) رواه البخاري (647).

وهكذا أنت في وسط الظلام ووسط الناس النيام كل ليلة... كل ليلة وأنت في أعلى منازل الإحسان.

وبهذا حَوَّلَ قيام الليل الإحسان إلى ممارسةٍ عمليةٍ وتربية فعلية كل ذلك بفضل القرآن وبفضل قول الله –سبحانه–: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

ومن ثَمَّ فإن استياكك أحسن استياك، وإن ذكرك الله عند قومتك أحسن ذكر، وإن تطهُّرك ووضوءك أحسن وضوء، وإن غسلك كل عضوٍ من أعضاء وضوئك أحسن غسل .... كل ذلك تفعله من مقام الإحسان الأعلى فأنت لا تنتظر الصلاة حتى تخشع، لأن الله ذكَّرك عند أول ما يسمى قومةً لله، فقال لك: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فأبيت إلا أن تكون في منزلة الإحسان... وأبيت أن تقابل رؤية الله لك إلا بإفاقة تبلغ كأنك ترى الله من أول انتباهةٍ من نومك إلى نهاية قيامك على الأقل، ومن أراد الصلاة فهو في صلاة كما قال الله –سبحانه– لمن أراد التطهُّر والوضوء بقصد الصلاة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6].

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إن أعظم شيء لمن يريد أن يلاقي ربه –سبحانه وتعالى– في الآخرة هو أن يلاقي ربَّه طاهرًا كمن يواجهون العدو فإن مواجهة العدو مظنة

لقاء الله في الدّار الآخرة، وأعظم شيء عند هؤلاء أن يلاقوا ربهم -سبحانه- في الصلاة هو أن يلاقوه طاهرين قد غفر الله ذنوبهم، كما قال -سبحانه- عن أهل الجهاد: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: 146 - 148].

ولذا فما من خطوة قبل الصلاة إلا تغفر ذنبًا وتفتح بابًا وإن شئت قلت لك أيها المتعاهد للقرآن: كل خطوة تُزيل عثرة وترفع عنك ثقلًا، وتضع وزرًا، وتوسِّع لك طريقًا وتنير ظلمة، وتفتح لك في كلام الله فهمًا، وترقى بك تزكية ومقامًا ودرجة، ولهذا فالإسباغ للوضوء الإسباغ.

أرأيت أيها المتعاهد للقرآن عِظَمَ مناسبة تعاهد القرآن في الليل خاصة... كل هذا يحدث في الليل... وفوق كل عمل من هذهِ الأعمال يتجلَّى معنى قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾ .

❀ الاستنثار ... الاستنثار

يا صاحبي: وثَمَّ فعل مخصوص في الوضوء هو في غاية الأهمية لحفظ القرآن وتعاهده ولنشاط العقل، واستيعاب حافظته، لأنه طارد للشيطان -لعنة الله عليه- من مكانه ذلك؛ إنه المبالغة في الاستنثار.

فلقد قال النبي ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ[1]»[2].

«فَلْيَسْتَنْثِرْ، فَلْيَسْتَنْثِرْ، فَلْيَسْتَنْثِرْ»: أتذكر كيف لُبِّس على النبي ﷺ قراءته في الصلاة ليُبيِّن لنا ضرورة إسباغ الوضوء والإحسان فيه؟ فانظر الآن إلى أهمية هذا الفعل الخاص في طرد الشيطان من مكمنه من الإنسان إذا هو نام.. إنها خياشيم الإنسان، إنه -نعوذ بالله منه- يعلم جيدًا أي أهمية لهذهِ القناة في إثقال النوم والتحكم فيه، وإنه كالتحكم على من يجلس على القناة الوحيدة الموصلة إلى الحياة، وهل من شيء أكبر أهمية من النَفَس للإنسان... فالنفس إنما هو إدخال الهواء من الخارج عن هذا الطريق إلى الرئتين ومنه إلى القلب ليكون الدم، وينبعث الدم مُصفًّى إلى جميع أجزاء الإنسان وسائر بدنه.

أرأيت أي مَعْبَرٍ خطير اختاره الشيطان؟.. أرأيت لِمَ يجري الشيطان من ابن آدم مجرى الدم؟ أرأيت كيف دلنا رسول الله ﷺ على الاستنثار وأوصى بالمبالغة فيه، وبَيَّنَ أن السر هو أن الشيطان يبات على هذا الموضع؟ أرأيت كيف أَنَّ مَنْ يتوضأ ثم هو لا يبالغ في الاستنثار فقد أبقى الشيطان ولم يخرجه من حصنه ومكمنه، والنبي ﷺ يقول: «وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ[3]، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»[4].

بَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ: كل شيء في الاستنثار يدلك على ضرورته لكل متوضئ

(1) خياشيمه: قال العلماء الخيشوم أعلى الأنف، وقيل هو الأنف كله، وقيل هي عظام رقاق لينة في أقصى الأنف بينه وبين الدماغ، وقيل غير ذلك، وهو اختلاف متقارب المعنى..

(2) رواه مسلم (238).

(3) المبالغةُ في الاستنشاقِ: إيصالُ الماءِ إلى خَيشومِه.

(4) رواه أبوا داود (142)، والترمذي (788)، وصححه الألباني.

وضرورة المبالغة فيه وخصوصًا لقائم الليل؛ وما رأى القائمون ليلًا منعشًا لهم وموقظًا لقلوبهم وعقولهم مثل المبالغة في الاستنثار.

ألا ترى إجهاد عضلة القلب إذا كان عند ذاك الإنسان ضيقٌ في مجرى النفس، ألا ترى نقاء الهواء الداخل إذا كان المجرى متطهِّرًا، ألا ترى قوة دفع الهواء من الرئة مع وجود الماء الداخل في الاستنشاق وهو يصنع في التنظيف مالا يمكن أن تصنعه المناديل ولا غيرها، ألا ترى الوقاية من الأمراض التي تصيب من لا يستنثرون في الوضوء، إن القوة في الاستنشاق والاستنثار وحدها أشبه بالإنذار الموقظ للدماغ.

بَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ: أرأيت حكمة الله أن يكون مكمن الشيطان إذا نام الإنسان هو أن ينام على خياشيمه...فما وُضِعَ هنا إلا لِيُطْرَدَ من هذا الموضع ويعقبه النشاط، وصفاء المكان، وصفاء الذهن، وصفاء الهواء، ولكي يُطرد من موضعه هذا بنفثةٍ قويةٍ من الأنف فتأتيه وهو على موقعه كالإعصار الذي يجرفه بأقذر تجريف وأفزعه وأسرعه فلا يملك الثبات على تلك القاذورات، فليطرد بهذهِ الطريقة لتكون أكبر إهانة له من ابن آدم في ابتداء ناشئة الليل الجديدة، أَو ابتداء اليقظة الجديدة في هذا العمر الجديد، وليطرد من فوره هذا ليعلم كل إنسان؛ كمْ جعل الله –سبحانه– كيد الشيطان من الضعف والهوان وكم يخزيه الله المرة تلو الأخرى فهو لا يملك مقاومة نفخة من الأنف، وليطرد الشيطان بالهواء والماء؛ فالهواء هو سلاح الشيطان من همزٍ ونفخٍ ونفثٍ... فيأتيه نفخ الطاعة بأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ فلا يُبْقِي له مقرًّا ولا ممرًّا، ثم يأتيه الماء، فالماء هو الطاهر المُطهِّر لتكون الطهارة من نفثه، وتكون الطهارة لباطن الإنسان كما هي لظاهره فإن الشيطان – لعنه الله – حينما

خلق الله -سبحانه- آدم رأي أمرًا مُخَوِّفًا بالنسبة له لكنه رأى ثغرة فَرِحَ بها -نعوذ بالله منه- كما حسبها هو؛ تلك هي التي وردت في حديث أنس ﵁ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا صَوَّرَ اللهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ(1) بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَآهُ أَجْوَفَ(2) عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتَمَالَكُ(3)»(4).

وهكذا يكون أَثر الاستنثار عامًا على كل الإنسان أتدرى لماذا؟

لأن علاقة الإنسان كما قلنا بالدم، حيث إن تطهير معبر النفس لا يكون إلا بالاستنثار، وكم يحتاج تصنيع الدم إلى هواء نقي كافٍ!

فالدم يأتي إلى القلب.. من أوردة الجسم المختلفة.. وفيه مُخَلَّفات - إلى الجنب الأيمن -... يذهب إلى الرئتين.. إلى الشعيرات الدموية.. داخل الحويصلات الهوائية، هنا يتعرَّض إلى الهواء الذي يَتَّحِدُ مع الأكسجين.. مع الهيموجلوبين.. وينفصل عنه ثاني أكسيد الكربون فيعود مرة ثانية إلى القلب.. إلى الجانب الأيسر.. فيُضَخُّ إلى كل أجزاء الجسم.. إلى القلب وإلى الجسم كله وإلى الرئتين كذلك، فالقلب هو مضخة.. وتوجد أيضًا غازات أكثر من الأكسجين 20 ضعف الأكسجين.

«فَلْيَسْتَنْثِرْ، فَلْيَسْتَنْثِرْ، فَلْيَسْتَنْثِرْ»: أرأيت كم هو مهم هذا الاستنثار لحياة الإنسان؟ ولقد أرسل لي أخي البروفسور الدكتور/ عبدالله العلي صورًا لأنف إنسان لا يتوضأ

(1) يطيف به: قال أهل اللغة: طاف بالشيء يطوف طوفا وطوافا وأطاف يطيف - إذا استدار حواليه.

(2) فلما رآه أجوف: الأجوف صاحب الجوف وقيل هو الذي داخله خالٍ.

(3) لا يتمالك: لا يملك نفسه ويحبسها عن الشهوات، وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه، وقيل لا يملك نفسه عند الغضب، والمراد جنس بني آدم.

(4) رواه مسلم (2611).

ولا يستنثر من داخل الأنف، وصورًا لأنف إنسان يستنثر، فأما الذي لا يستنثر فقد كانت صور الأنف مخيفة كأنها غابة محترقة تمامًا، وأما الذي يستنثر فإنها صورة صافية نقية كالسماء الصافية في رابعة النهار.

ولو قال إنسان إن الاستنثار واجب وحده على الإنسان إذا قام من نومه إذا لم يتمكَّن من الوضوء لكان هذا القول وجيهًا ذلك أنه صَحَّ عن النبي ﷺ الأمر بالاستنثار دون الوضوء، كما صَحَّ معه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ»[1].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا تَوَضَّأَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَنْثِرْ[2]، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيَاشِيمِهِ»[3].

وهذان الحديثان يدلَّان على أن الاستنثار حتى لو لم يكن واجبًا منفردًا فإنه واجب في الوضوء عامة، وفي وضوء الاستيقاظ خاصة.

وفي ختام هذا أقول: فأي جوٍ لمتعاهد القرآن مثل هذا الجو؟! وبعد هذا التطهير والتنشيط، وبعد هذهِ المغفرة والتكفير، وبعد هذا الإعداد الكامل يأتي لقاء الله -سبحانه- لِيُسَمِّعَ العبدُ ربَّه ما حفظه من كلام ربه مما أتقنه بل ليتلقَّى هو من ربه عز وجل.

(1) تقدم تخريجه.

(2) الاستنثار: هو نثر ما في الأنف بالنفس.

(3) رواه أحمد (16 /255) حديث رقم (8607)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

فهل عرفنا لماذا التعاهد بالليل أقوى وأفضل، وإنه للحفظ أحفظ؟

❁ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ﴾

فيا للقيام بين يدي الله في الليل ما أعظم ثمرته ومزاياه لأهله خاصة بين أهل الجنة جميعًا!

وهنا قال الله -سبحانه-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المزمل: 1 - 7].

فإن الله -سبحانه وتعالى- حين ذكر الإنقاص من القيام قال قليلًا ولكنه حين ذكر المزيد في القيام لم يُقيِّده بالقليل بل أطلقه مع تلاوة القرآن وترتيله ترتيلًا؛ فتأمَّل قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾، وزيادة المؤمن من جهده في الليل لا يمكن إلا أن تكون نتيجة لإرادة الله -سبحانه- زيادة تقريبه له، كما قال -سبحانه-: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾[التوبة: 118]، والزيادة من الله لا تعني زيادة الأجر والثواب فحسب، وإنما زيادات أخص من ذلك وأقرب؛ إذ يفتح الله على المؤمن بالقرآن فتحًا عظيمًا، ويفتح الله -سبحانه- على القائم بابًا إليه عظيمًا، ويفتح على أهل العلم القائمين الليل القانتين المتهجدين بالقرآن ما يخصُّهم به من دون الناس وللجميع المزيد، فتأمَّل قوله -سبحانه-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: 9].

فغير الذين يعلمون لهم من الأجر ما لهم والله يفيض عليهم من فضله لأنهم مؤمنون قائمون مُتهجِّدون يرجون رحمة الله ويخافون عذابه، أما الذين يعلمون ومنهم الحافظون والمتعاهدون لحفظهم في ليلهم فالله -سبحانه- يرفعهم أكثر من غيرهم بما لا يُحصى، ألم يقل - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾[المجادلة: 11].

ولو أفصح أهل القيام والقرآن من أهل العلم عما يفتح الله لهم من العلم والفهم وزيادة التقريب لحدَّثوا بأعاجيب لو أنهم تفطَّنوا لتوقيت فتحها وحسن ربطها.

لقد ابتدأ الله عَزَّ وَجَلَّ سورة المزمِّل بقوله -سبحانه-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ٦﴾[المزمل: 1 – 6].

لا تنس أبدًا أن هذهِ الآيات تشير إلى توقيت نزول هذهِ الآيات وفي هذهِ الإشارة فوائد عظيمة وتوجيهات كريمة ثمينة فهذا المُزَّمِّل ما تزمَّل إلا بعد أن فجأه الوحي وهو في غار حراء، في وحدته ووحشته، وانفراده هناك في ذروة الجبل، ومع الفجأة فقد أخذه بقوة وضمَّه إليه بشدة حتى خشي النبي ﷺ على نفسه الموت.. فمن أجل هذا عاد يرتعد من شدة ما رأى وما حَدَثَ له في هذا الموقف المزلزل... فإذا ما قال الله له: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ فَلِيتذكَّره جيدًا، ولِيبقى هذا الطابع حاضرًا أبدًا كلما جاءه الوحي بالقرآن فهو كلام الله رب العالمين عَزَّ وَجَلَّ .. وجاءه هنا باسم أطلقه عليه ﴿ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾حيث قال لخديجة زَمِّلوني زَمِّلوني، ليقول له بعدها: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾.

فعن سعد بن هشام بن عامر عندما سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن قيام رسول الله ﷺ: فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عز وجل افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»[1].

لكن حين يقول الله –سبحانه وتعالى– لرسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ إنما يشير إلى بداية البعثة، وربما السنة الأولى منها، ومع هذا يقول له ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ فماذا عنده من آيات كريمة حتى يأمره الله –سبحانه– بالقيام بها؟ لكنه القرآن يجب تعاهده من أول الأمر، من أول التلقِّي بل من الحصة الأولى.. وهكذا يرسخ.. هذا ورسول الله ﷺ قد ضمن الله له جمع القرآن في صدره، إلا أنها الأسباب التي يجب عليه أن يأخذ بها مثل ما تكفَّل الله بحفظ القرآن، ولذا فإنه كُتِبَ بالألواح والجلود والعظام بأمر رسول الله ﷺ، وهكذا أمر الصدِّيق بجمعه، ثم أمر عثمان بجمعه في مصحف واحد، وأَحْرَقَ النسخ الأخرى.

ثم ليقتدي من أراد حفظ القرآن به ﷺ، وليتعلموا كيف يتعاهدون القرآن العظيم.

وكذلك ليأخذ كلام الله عز وجل بعض حقِّه من التدبُّر، وترتشفه عقولهم شيئًا فشيئًا وتتشرَّبه قلوبهم شيئًا فشيئًا، ويتعوَّدوا على أجواء القرآن وكيف يتلقَّون عن الله شيئًا فشيئًا.

(1) رواه مسلم (746).

فما يأتيهم الجديد من هنا حتى يحفظوه من هنا ويضموه لما سبقه ويقوموا الليل بكل ما نزل، هذا والقرآن بالنسبة للإنسان جديد لم يعرفه البشر من قبل... فيا لها من قلوبٍ تتلقَّى كلام ربها الذي ما سمعه بشر قبلها أبدًا... كيف تعيشه وهي تقرؤه.. كم سوف تتفكَّر فيه وكم ستذهب معه؟! وكيف سيصيغها ويصنعها رب العالمين بكلامه الكريم؟! إنهم صنع الله ﷻ.

ويا لهم من رجال يبقون الليل والنهار ينتظرون أن يصبِّحهم جبريل عليه السلام أو يمسِّيهم بنزوله بكلام رب العالمين على رسول الله ﷺ ليبلِّغهم بكلام الله كما قاله الله –سبحانه–... دون أي تأخير فإذا بهم يحفظون الجديد إلا من كان له عذر.

ثم قال سبحانه: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾، فَبِغَضِّ النظر كم الذي نزل عليك فعليك أن تقوم به الليل كله إلا قليلًا منه، ثم قال بعدها: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾، هنا ذكر الله أجزاء الليل؛ الليل كله إلا قليلا، نصفه أو انقص قليلا أو زد على ذلك ... وما هذهِ الطريقة والتي هي أشبه بالمفاوضة على أجزاء الأشياء وتفاصيلها إلا أنها عادة ما تكون على أثمن الأشياء والله أعلم.

وهكذا هو قيام الليل عند الله ﷻ إنه يوزن بأدق ما يكون الوزن، وهكذا هو القرآن الكريم إذا دخل شيئًا من الأشياء، ولقد اختاره الله لكل صلاة ولكل الأوقات لكنه لقيام الليل على وجه الخصوص شيء آخر وطول آخر وحال آخر.

والمُلاحَظ أن الله سبحانه وتعالى لم يذكر لهم كم يقرأون إنما ذكر لهم كم يقومون .. أي أنه لم يذكر لهم عدد الآيات ولا السور ولا الأجزاء إطلاقًا إنما

ذكر الوقت الذي يمنحونه القرآن وفصَّله تفصيلًا ... وفي هذا أبلغ إشارة إلى أن الأهمية القصوى للتدبُّر والتفكُّر وهذا ما ينبغي أن يلحظه الناس الذين لا يكون لهم همٌّ إلا بعدد الختمات التي يختمونها دون أدنى تفكُّر وخصوصًا في رمضان شهر الله الكريم ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾... والحل في الآية نفسها هو التعامل بالوقت .. فأعطِ بعض الحصة التي تعطيها الختمة للتفكُّر .. فإن كنت تختم في خمس عشرة ساعة فاقرأ نصف الكمية أو ثلثها للتدبُّر ... أي تمهَّل وتدبَّر وتوقَّف قليلًا .. والله يحسب ذلك لك أكثر من الحساب على الحرف ... والأمر بالتفكُّر والتدبُّر هو الأمر الوارد من الله –سبحانه– في كتابه العزيز عن كلامه العظيم، أما الكمُّ وتحديده فلا .. فما للناس عكسوا الأمر ونكَّسوه!

وما أحسن أن يُقسِّم المتعاهد مراجعة حفظه للقرآن أقساطًا معيَّنة كما كان النبي ﷺ يقسِّمها وإن لم يستطع فعلى الأجزاء .. ولا يجعل همه الأول هو الانتهاء من القسط اليومي بأي حال من الأحوال، بل الانتهاء بأحسن الأحوال حفظًا وتدبُّرًا.

❁ ورتل القرآن ترتيلا

﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾: ترتيلًا مطلقًا عظيمًا كبيرًا حسنًا جميلًا طيبًا رائعًا خاشعًا... وإني والله لأرى من خلال هذهِ الآية كم يحب الله ﷻ ترتيل رسوله ﷺ خاصة وترتيل المؤمنين المُرتِّلين عامة ، وكم يحب الله ﷻ الترتيل في كل وقت عامة.. وكم يحب الترتيل الساري في أجواء الليل خاصة.

﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾: وكم أطلق الله لترتيل القرآن الوقت فلم يحدِّده بشيء؛ إنه الصوت المحبوب عند الله –سبحانه–... لهذا أمر الله به

وأطلقه... وكم ترك الله المسابقة في هذا لعباده... ليتنافسوا.

إنه كلامه -سبحانه وتعالى-... وكفى، وقد قال -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: 61].

ولقد قال النبي ﷺ: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ»[1].

فالترتيل هو أحسن الأداء، لأنه هو الأداء الذي استمع إليه رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: 31 - 32].

ولأنه الأداء الذي أمر الله -سبحانه- رسوله ﷺ أن يقرأ به ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [المزمل: 4].

وبالترتيل تتنزَّل المعاني معه على قلب صاحبه ومستمعيه، وتتابع الفتوح وتتفجَّر الكلمات نورًا وهدى ورحمة وخيرًا، بل بالترتيل يتحقَّق اليقين، ويثبت العبد بإذن الله فلا يزلّ، أولم يقل الله -سبحانه-: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الفرقان: 32]، هكذا هو طبع

(1) رواه مسلم (746).

القرآن كما أنزله الله -تعالى- مُفَرَّقًا في تنزيله، مُفَرَّقًا في أدائه وترتيله، وهنا تأتي ثماره العظمى، فكما قال الله -سبحانه-: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [الإسراء: 106]، قال بعدها: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾، قال -سبحانه-: ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾: فإنه لا يستطيع الرجل أن يرتِّل القرآن ترتيلا إلا أن يكون حفظه مُتْقَنًا، ولهذا فهذه الكلمة تحمل في طيَّاتها بلوغ الإتقان في الحفظ.

❁ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾

هي كقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾﴾ [الشعراء: 218]، فهذا التنوُّع في التعبير يزيد الأمر أهمية، ولكل مصطلحٍ مقامه الذي لا يقوم به سواه، فَعِلْمُ الله هنا ورؤية الله هناك، وشهود الله -سبحانه- في قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: 61].

لكن أرأيت صلاة من الصلوات - حتى صلاة الفريضة - قد فَصَّل الله -سبحانه- في شأنها، أو فَصَّل في شأن صاحبها ﷺ مثل ما فصَّل صلاة الليل ﷻ؟!

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾: كل من كان له حال؛ من قيام وتعب وتهجُّد وسهر وما إلى ذلك ويمضي على ذلك فترة من الزمان ثم يستمع إلى ربه يقول له من جديد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ وهو يعلم أن الله يعلم، لكنه حين يستمع لها من الله -سبحانه- وهو يقول له مباشرة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ﴾ فإنَّ كلَّ تعبٍ يتحوَّل إلى نعمة وحمدٍ وشكر

وراحة وأُنس، بل يودُّ لو أنه وصل إلى ثُلُثَي الليل في قيامه ويتمنَّى لو أنه زاد... هذا والله -سبحانه- يعلم أن رسول الله ﷺ ما ترك قيام الثلث الآخر ونحوه عجزًا ولا تكاسلًا ولكن لعبادات أخرى تنتظره، ومهمات الأمة التي تتوقف لو أنه قام أكثر من هذا، وواجبات النهار وما فيه من الحياة وما فيها من إصلاح خصومات، والقضاء، وإرسال السرايا، وعقد الألوية، وإرسال الدعاة، وتعليم الأمة، وعدم المشقة على الناس، وما إلى ذلك، فكل هذا يعلمه الله، لكن تخصيص الله القيام في هذا المقام بعلمه جعل له مقامًا خاصًا، ليس هذا فحسب ولكن تنبيه الرقود، واستفاقة القلوب، والخصوصية التي تُطير كل غفلة، ويذهب معها كل تعب وذلك في قول الله -سبحانه- وكلمته لعبده بخطابه الواضح الصريح المباشر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ [المزمل: 20].

﴿أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾: كان الله -سبحانه- قادرًا على أن يقول له: إن ربك يعلم أنك تقوم أكثر من نصف الليل، ولكنه -سبحانه- قال: ﴿أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ فذلك ليُبيِّن أمرين في وقتٍ واحدٍ وبكلمة واحدة بل أكثر من ذلك لكننا نتحدث عما نعلم والله أعلم، أما الأول: فإن الله -سبحانه- يمدح رسوله ﷺ أعظم المدح بقوله له: ﴿أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ﴾ فإن هذا يعني أنه إذا بلغ الناس الثُّلُثَ فإن الثلث كثير، كما قال النبي[1] ﷺ، أما رسول الله ﷺ قد

(1) عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، زَمَنَ حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَقُلْتُ: بَلَغَ بِي مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لاَ» قُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ قَالَ: «لاَ» قُلْتُ: الثُّلُثُ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَلَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ». رواه البخاري (5668).

بلغ ضعف أكثر الناس وهو الثُّلُثَانِ إلا قليلًا، ولهذا ما نزل الله -سبحانه- في حق رسوله عن الثلث، فقال في نفس الجملة الكريمة: ﴿وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ [المزمل: 20]، وما نقص إلى الربع، أو ما دون الثلث، فدلّ هذا على أنه لم ولن ينقص عن الثلث إذ لو نقص لَعِلَمه الله -سبحانه- ولسجَّله في كتابه، كما سجل غيره، والثاني: هو أن الله -سبحانه- لا يحابي أحدًا أبدًا فهذا رسوله ﷺ يبلغ الثلثين إلا قليلًا ومع هذا فالله -سبحانه- يذكر له وللناس عدم بلوغه الثلثين إلى حد نزول الآية الكريمة... ليعلم الناس أنه مهما بلغ المخلصون الصادقون من مقام عند الله فلقد جعل الله -سبحانه وتعالى- لهم مقامات أعلى وأعلى وكلما ارتقوا فثمة مقامات وأي مقامات... فالله -سبحانه- يَحُضُّ السابقين على المزيد، فهم في تنافسٍ عظيم، والله -سبحانه- يزيدهم... وتنافسهم لا يزيدهم إلا محبة في الله فمزيد المحبة في الله من التنافس.

﴿ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾: هذهِ الحسبة الإلهية توحي لكل من يقرأها بأن من أراد ما عند الله -سبحانه- فعليه أن يبذل الكثير، ومن أراد ما عند الله فعليه أن يترك الكثير، فيبذل الراحة في سبيل الله ويترك الكثير من نوم الليل في سبيل الله، وأن من أراد حفظ القرآن وتعاهده فليس طريقه أن يعطي طرفًا من النهار ولا طرفي النهار فحسب وإنما زُلَفًا من الليل... من أي أوقاته سواءً من أوله أو من وسطه أو من آخره كل حسب استطاعته.

❁ المَعِيَّة العجيبة مَعِيَّة رسول الله ﷺ

﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ [المزمل: 20]: فكم كَرَّمَ الله ﷻ أهل القيام من أصحاب النبي ﷺ حين ذكرهم في القرآن الكريم هذا الذكر وفي هذا المقام الكبير وجعلهم معه فرفعهم لمعيته ﷺ وإن لم يكن من منهجيته ﷺ القيام الجماعي إلا عَرَضًا، فهم معه ﷺ وإن كان كل واحدٍ يقوم في بيته، وهم معه وإن كان هو في طرف المسجد والآخرون متوزِّعين في أنحاء المسجد.. فهم معه في معية الله ﷻ ومعه في قوله: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾، وفي قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾، وهم معه في رؤية الله ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

وكم رحم الله المؤمنين في أمر القيام ووسَّع لهم حين جعل المعية بكل صورها مشروعة... فلو تنادوا للقيام لَشُرِعَ وكانوا معًا، ولو تقاسموا الإمامة تعاهدًا للقرآن لكانوا معًا... ولو وقف واحد بجوار مُصَلٍّ قبله فاقتدى به فجاء آخر فسحبه إلى الخلف فأصبحوا ثلاثة أشخاص، أو زادوا فتكاثروا حتى أصبحوا صفوفًا أو ملأوا المسجد لَشُرِعَ كذلك ولكانوا معه ﷺ.

فَمَعِيَّة القائمين مُتحقِّقة وإن كانوا مفترقين، ومعية القائمين متحققة إن كانوا مجتمعين، ومعية القائمين متحققة وإن كانوا متعاصرين، ولولا قول الله -سبحانه-: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ لقلتُ إن معية القائمين في هذهِ الأمة لرسول الله ﷺ متحققة فهم معه وإن كانوا مفترقين زمانًا على عقودٍ وقرون، ولهم معه معية خاصة عند الله ﷻ ومعية خاصة في الآخرة كمعية المتماثلين عملًا، وإن معيته الاعتيادية ﷺ لهم لمتحققة، فهو إمام جميع المجاهدين

في أمته، وهو إمام القائمين، وهو إمام المنفقين، وهو إمام الصابرين، وإمام المحسنين، وهو إمام السابقين في كل ميدان، فكل طائفة من المؤمنين بعملها ووصفها في ميدانها في هذهِ الأمة في مكانها وزمانها، أما رسول الله ﷺ فله إمامة كل طائفة في اختصاصها في زمانها ومكانها، وهو إمام كل صنفٍ في عمله وإيمانه إذا حشر الله الناس أزواجًا مجتمعين يوم يقوم الناس لرب العالمين... فكم هو شرف للقائمين؟!

❁ بركة القائمين الأُوَل على الأمة كلها

﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ﴾ [المزمل: 20]: فمن ذا يضبط الزمان إلا الذي خلقه وخلق الإنسان وخلق الأعمال ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾ [الصافات: 96].. ومن ذا يضبط تقلُّبات المرء في الليل والنهار، وتقلبات الليل والنهار، وتقلبات المرء طوال عمره ليلًا ونهارًا إلا الله ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة: 255]، ومن ذا يضبط التوقيت ويضبط الفروقات بين المتسابقين إلا من عنده النتائج والجوائز... هذا في عرف البشر، وهكذا جاء شرف القيام لأن الله -سبحانه- من أحصى الأوقات والقائمين إحصاءً، ومن ذا يُقَدِّر الليل والنهار مع أجره فيعطيه أجر الليلة كاملة وإن لم يقم الليلة كاملة بل يعطيه فوق قدرها الزماني.. مثل ما قال النبي ﷺ: فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: صُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلَمْ يُصَلِّ بِنَا، حَتَّى بَقِيَ

سَبْعٌ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ بِنَا فِي السَّادِسَةِ، وَقَامَ بِنَا فِي الخَامِسَةِ، حَتَّى ذَهَبَ شَطْرُ اللَّيْلِ، فَقُلْنَا لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ نَفَّلْتَنَا بَقِيَّةَ لَيْلَتِنَا هَذِهِ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ الإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ»، ثُمَّ لَمْ يُصَلِّ بِنَا حَتَّى بَقِيَ ثَلَاثٌ مِنَ الشَّهْرِ، وَصَلَّى بِنَا فِي الثَّالِثَةِ، وَدَعَا أَهْلَهُ وَنِسَاءَهُ، فَقَامَ بِنَا حَتَّى تَخَوَّفْنَا الفَلَاحَ، قُلْتُ لَهُ: وَمَا الفَلَاحُ، قَالَ: «السُّحُورُ»[1]، ومثله قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ»[2]، فيا لسعدكم يا مَنْ التزمتم مع رسول الله ﷺ قيام الليل كفريضة أول الأمر إلى أن رفع هذهِ الفرضية في آخر الأمر وآخر هذهِ السورة الكريمة وما بينهما حَوْلٌ بأكمله، ولهذا جاء هنا ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمل: 20]، فحين تاب عليكم يا أُسَّ هذهِ الأمة تاب على الأمة بسببكم وكان الفضل لكم.

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: وهكذا كان فضل قيام الليل، وفتح قيام الليل، وبركة قيام الليل على الأمة كلها بهؤلاء القلة القليلة وما هم بقلة مع رسول الله ﷺ باقيًا ثابتًا في القرآن الكريم إلى أن تقوم الساعة...

ومن لم يتصوَّر عظمة هذا الأمر فليتصور ماذا لو لم يرفع الله الفرضية عنهم... فيالكم من طائفة... فمن يلحق بكم بَلَهَ أن يسبقكم؟!

فهو كما قال -سبحانه-: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ لن تطيقوا قيام الليل كله ولهذا

(1) رواه الترمذي (806)، وصححه الألباني.

(2) رواه مسلم (656).

رحمكم وأعطاكم من الأجور ما يغطِّي الليل كله وكنتم كمن أحصاه كله فضلًا منهُ ومِنَّة عَزَّ وَجَلَّ.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾: فالفضل لكم أنتم يا أصحاب رسول الله ﷺ... يا من قمتم معه الليل حين افترضه ربّكم -سبحانه وتعالى- عليكم أول الأمر منذ أن أنزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ [المزمل: 1 - 2]، حتى نزول هذهِ الآية الكريمة كما مرّ معنا ومنه حديث أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَهَمَمْتُ أَنْ أَقُومَ وَلَا أَسْأَلَ أَحَدًا عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أَمُوتَ، ثُمَّ بَدَا لِي، فَقُلْتُ: أَنْبِئِينِي عَنْ قِيَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «أَلَسْتَ تَقْرَأُ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: «فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ افْتَرَضَ قِيَامَ اللَّيْلِ فِي أَوَّلِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَقَامَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَوْلًا، وَأَمْسَكَ اللهُ خَاتِمَتَهَا اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا فِي السَّمَاءِ، حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ فِي آخِرِ هَذِهِ السُّورَةِ التَّخْفِيفَ، فَصَارَ قِيَامُ اللَّيْلِ تَطَوُّعًا بَعْدَ فَرِيضَةٍ»[1].

﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ : فمن تاب الله عليه بلَّغه، ومن تاب عليه رفع عنه ورفعه، ومن تاب عليه لم يسخط عليه أو يسخطه، ومن تاب عليه خفَّف عنه وأعانه...

والموضوع هنا ليس هو أنهم تابوا؛ ولكنه كما قال -سبحانه-: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ﴾ [التوبة: 118]، ولكنهم قاموا فتاب عليهم، فإذا كان هذا هو شأن أصحاب رسول الله ﷺ وأسبق السابقين منهم وحاجتهم لتوبة الله عليهم... فمن ذا يغترُّ من بعدهم أوْ له حق أن يرى نفسه فيستغني؟!

(1) رواه مسلم (746).

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ [المزمل: 20]: فكأن قيام الليل ما شُرِعَ إلا لأجل قراءة القرآن، بل إن الله -سبحانه- إنْ رفع وجوب صلاة الليل عنكم فقد أبقى وجوب قراءة ما تيسَّر من القرآن وما أذهب وجوبه كما أذهب وجوب قيام الليل.

﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: فأمر قراءة القرآن لا يُنسَخ أبدًا، فلأجل المشقة رُفِعَ وجوب قيام الليل عن المرضى وعن الذين يضربون في الأرض جهادًا أو استرزاقًا، أما قراءة القرآن فهو حتم في حق هؤلاء باقٍ، فيُقال لهم: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾، فالله -سبحانه- قال لهم: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ﴾: فالإشارة ظاهرة أن سبب التوبة عليكم هو قراءة القرآن أساسًا، لذلك الزموها حتى وإن خُفِّفَ في الأمور الأخرى المرافقة، فليس من الذوق أن الوسيلة التي أوصلتك إلى غاية أن تحرقها أو تتركها بعد الوصول، ولهذا حين قال الله -سبحانه- لرسوله ﷺ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: 79]، فهذا مقام في الآخرة لكن حين غفر الله لرسوله ﷺ ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر استمر على قيام الليل، وقال ﷺ: «أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»[1].

والله -سبحانه وتعالى- أكَّد ثانية على بقاء قراءة القرآن حين ذكر -سبحانه- تخفيفه الصلاة من الفرضية إلى الأفضلية، والملفت حقًا هو أن الأمر بقراءة ما تيسَّر من القرآن يأتي بعد ذكر الأعذار، فقال -سبحانه-: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ

(1) تقدم تخريجه.

يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: 20]، ثم قال -سبحانه-: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ ليلًا أو نهارًا قيامًا بصلاة أم بغير صلاة.

والملفت كذلك هو أن الله -سبحانه- قال بعدما قال: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾، وهذا لِيُدَلِّل -سبحانه- ويُبيِّن بيانًا عمليًّا قاطعًا أن قراءة القرآن تدفع لهذهِ الأعمال العظيمة كلها من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكل عمل خير فهذا القرآن يزيد الإيمان حقًّا وبزيادة الإيمان يزيد العبد الأعمال الصالحة، ويتعدَّى نوع أعماله إلى المجتمع وإلى الناس كافة، فالله -سبحانه وتعالى- ذكر هنا أعمالًا كلها متعدِّية النفع إلى الغير حتى الصلاة فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر.

وقد ختم الله -سبحانه- كل هذهِ الأعمال بقوله ﷻ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وهذا ختم القرآن والقيام فالله -سبحانه- امتدح أهل القيام بهذا، فقال -سبحانه-: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: 17].

وقال -سبحانه-: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: 9].

هكذا يصنع القرآن في قيام الليل الجيل.

❁ قم لعلك ترضى

﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ [الإسراء: 79].

أرأيت النبي ﷺ كيف قرأ البقرة كاملة وآل عمران كاملة والنساء كاملة في ركعة واحدة من صلاة الليل ولم يخطئ مرة ولم يُلَبَّسْ عليه مرة؟

أرأيت الكم الذي يُقرَأ في صلاة الليل أيمكن أن يُقارَن به ما يُقرَأ في صلاة النهار؟

أرأيت كيف قدَّم الله -سبحانه- تلاوة آيات الله في الليل على تلاوتها في النهار -وفي كل خير- وهو أعلم لِمَ قَدَّمَها؟ لكن مما عَلَّمنا رسول الله ﷺ أن ذلك للمعاهدة أي لمن أراد تثبيت ما حفظ من القرآن ..

ففي الحديث الذي جمع كل هذا الذي مَرَّ معنا شرحه وبيانه والذي رواه مسلم[1] «وَإِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ، وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ».

إن تقديم الليل لتقديم الله وهو صاحب الفضل وهو مالك المُلك ومالك الزمان والمكان فهو من يختار الوقت وليس العبيد الذين يختارونه، فهو -سبحانه- مَنْ أخرج موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَدْيَنَ مع أهله وقد قطعوا من الطريق ما قطعوا ولمَّا جَنَّ عليهم الليل واشتدَّ ظلامه واشتد برده رأى ما رأى؛ ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾ [القصص: 29].

نعم إن الناس يقرأون هذهِ القصة العظيمة كقصة يستوي فيها الليل والنهار

(1) تقدم تخريجه.

ويستوي فيها اليمين والشمال، ويستوي فيها البرد والحر، ويستوي فيها وجود الأهل معه مع عدم وجودهم... لكن ذلك لا يستوي عند الله -سبحانه- بل الله هو من أحكمها إحكامًا ونَبَّهَ لهذا ونَصَّ على الليل نصًّا، فقال -سبحانه-: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [القصص: 29 – 30].

وقال -سبحانه- في القصص كذلك مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [القصص: 44 – 46].

وقال -سبحانه- في سورة طه: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾﴾ [طه: 37 – 41].

والليل هو المصنع المُجَرَّب المضمون لمن سبق، فقد قال -سبحانه- عَمَّنْ

بلغوا المنزل: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: 16 - 18].

إذن فإن اختيار الليل هو اختيار الله لخاصة عباده، وكل من لا يقوم الليل في أوله أو وسطه أو آخره فليخف على نفسه أن يكون الله -سبحانه- قد حرمه، وأن يكون عقابه قد أدركه، فهو القائل -سبحانه-: ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: 46].

وكم جاء أمر الله صريحًا لرسولهِ ﷺ أن يقوم الليل، وأن يُسبِّح في الليل، وأن يسجد في الليل، وأن يتهجَّد بالليل، وأن يصلي بالليل، وأن يتزلَّف بالليل، فقال -سبحانه-: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: 79]، إذن فهي لكل صاحب طلب؛ أَنِ ادْخُلِ الليل واطلب فإنَّ أعلى مقام جعله الله -سبحانه- لواحدٍ من الإنس والجن هو المقام المحمود، وهو ما جعله لواحدٍ من خلقه فقط، وها هو الله -سبحانه- يدلُّ رسوله ﷺ على طريق الظَّفَر بهذا المقام ألا إنه التهجُّد بالقرآن ليلًا، وهو -سبحانه- بهذا يدلُّ كل صاحب طلبٍ عظيم أو طلبٍ عسير أو مقامٍ عالٍ من مقامات الآخرة أن عندك ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾.

وقال -سبحانه- آمرًا رسوله بتسبيحه في الليل قائلًا -سبحانه-: ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنْ ءَانَآيِٕ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: 130]، وتأمَّل هنا أمر الله لرسوله ﷺ بالتسبيح، لتعلم

أن كل ذكر الله هو التعظيم وهذا هو المقصود: قمْ عَظِّم الله... قم انظر لآلاء الله... قم واشهد في الليل آيات الله... قم ففي الليل ما ليس في سواه... قم فقد رقد الخلق عن آيات الله فلا تكن من الغافلين.

قم وتداوَ من المرض الذي لا يكاد ينجو منه أحد من الناس، وهو الهم والغم والحزن والقلق والاضطراب.. فهنا الرضى وهو عاجل بشرى المؤمن، أوليس الرضى الأعظم هو موعود الله للمؤمن في الآخرة.. إنك في هذا الليل تجده، فماذا مثل الليل؟!

﴿فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ﴾...!

وأمر الله رسوله ﷺ بالصبر، وأمره بالتسبيح، كما أمره بالصبر، وابتدأ بالنهار، فقال -سبحانه-: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: 39 - 45].

نعم قد ابتدأ الله -سبحانه وتعالى- بالصبر، وأمر بالتسبيح بحمد ربك مبتدئًا بالنهار متصاعدًا أمره إلى أعلى، وختم -سبحانه- بالغروب وعند الغروب، وبعده جاء الأمر الثاني، فقال -سبحانه-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾، وختم الآية بأدبار السجود؛ فختام النهار بالغروب وختام الدنيا بالغروب، وختام الليل بأدبار السجود فَلَمْ يذكر الله سبحانه القيام، وليس بعد أدبار

السجود وبعد الغروب إلا القيامة، لكن انظر إلى كلام الله -سبحانه- وانتظر الحقيقة العظمى وكيف عبَّر الله -سبحانه- عنها، فقال -سبحانه-: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾.

فكأنك من أدبار السجود تستمع إلى المنادي العظيم... وكأن أدبار السجود هو أقرب مقام يقين بلغته في صلاتك، ونشأ معك منذ قيامك وقراءتك القرآن التي هي الأساس وهي التي خيَّمت على المشهد كله، ثم الركوع ثم السجود ثم أدباره وختامه وبلوغ القُرب ذروته ومن موقع الختام هذا: ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ﴾.

فأنت في سجود الليل في أدبار الليل ومن أدبار السجود استمع من مكان لا تستبعده بل هو مكان قريب إذ أنت أقرب قريب.. وهل أقرب من عبدٍ ساجد؟!

من هذا الموقع تستمع بأذن اليقين إلى نداء الآخرة، ومن هذا الموقع العظيم تشهد أحداث الآخرة، ومن هذا الموقع العظيم ترى ما لا يُرى للناظرين، والخلاصة أن اليقين الذي يصنعه القرآن في ناشئة الليل في قلب المؤمن لا يصنع في غيره ﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق:41 - 42].

فلكأنك أنت الآن ومن الآن تستمع للنداء الذي يكون من مكانٍ قريب أما الآخرون فإنهم سوف يسمعون ذاك النداء يوم القيامة ولهذا قدَّم الله اليوم بالنسبة للآخرين، فقال -سبحانه-: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ﴾، بينما

أَخّـر اللـه -سبحانه- اليـوم وقـت استماع رسـول اللـه ﷺ، فينبغـي أن يكـون هـذا التفريـق واضحًـا وينبغـي أن يكـون مُعتبَـرًا، فقـال -سـبحانه-: ﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ثـم إنـه -سـبحانه- بيَّـن هنـا أن النـداء مـن مـكان قريـب، بينمـا هنـاك بعَّـد الأمـر بقولـه -سـبحانه- ﴿ذَٰلِكَ﴾، وبيَّـن أنـه يـوم آخـر غيـر هـذا اليـوم، فقـال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾فـكان هـذا فارقًـا آخـر معتبَـرًا.

وهكـذا تسـبيح الملائكـة علـى نفـس السـياق، فقـال -سـبحانه-: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبيـاء: 19 - 20].

فهـم يسـبحون كل وقـتٍ عنـده أي يسـبحون علـى الـدوام عنـد اللـه ﷻ ومـن يـدري فلعلهـم لا ليـل عندهـم ولا نهـار واللـه وحـده أعلـم، لكـن جـاء تقديـم الليـل فـي التسـبيح وهـو تعظيـم اللـه بشـكل مطلـق ليدخـل فيهـا كل أنـواع الذكـر والتقديـس والتحميـد والتمجيـد والإجلال والطاعـة؛ لأن هـؤلاء ليسـوا واحـدًا ولا نوعًـا واحـدًا، ليشـير لنـا نحـن يـا مـن عندنـا الشـروق والغـروب ويدركنـا الليـل والنهـار إلـى تقديـم الليـل فـي ذلـك، وأن الليـل هـو الموطـن الأسـاس لذكـر اللـه لأنـه الموطـن الأسـاس لمعرفـة اللـه والتعريـف باللـه، كمـا قـال -سـبحانه-: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ

ﱣٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤ﱢ [طـه: 8 – 14]، وذلـك كلـه كان لـيلاً.

فكـم فـي الليـل مـن أمـور صعبـة وثقيلـة فيأتـي القـرآن والقيـام وإذا بهـا تتحـوَّل إلـى الضـد، فاللـه سـبحانه خلـق الليـل مظلمًـا معتمًـا وإذا بـه يتحـوَّل إلـى نـور حقيقـي يجـده صاحـب القـرآن فـي صـدره إلـى يـوم القيامـة... فكيـف تحـوَّل الظـلام ﱣفَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ﱢ [طـه: 11 – 12].

وهكذا يبقى الله –سبحانه– وإن ذهب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وذهبت الشجرة وذهبت تلك الليلة، وعاد الوادي المقدس كما كان... لكن لقاء الله موجود، وكلام الله موجود، وﱣإِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓﱢ، وذلك هو الذي يطلبه العبد القائم الحافظ، والله معكم أينما كنتم.

والله –سبحانه– خلـق الليـل موحشًـا بطبعـه هكـذا هـو لـكل النـاس، وهكـذا هـو لقائـم الليـل عنـد ابتدائـه بقيـام الليـل... فمـا إن يبتـدئ بالقيـام بالتهجُّـد بالقـرآن حتـى تـزول الوحشـة ويبتـدئ الأُنـس، كمـا زالـت وحشـة الليـل البهيـم والصحـراء وضلالـة الطريـق حيـن رأى موسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ النـار، آنـس مـن جانـب الطـور نـارًا ودخـل الـواد المقـدس وسـمع مـا سـمع مـن ربـه فـكان الأمـن والأمـان، والسـكينة والاطمئنـان، والانطلاقـة للعالـم مـن ذلـك المـكان.

ثـم إن طبـع القيـام وخاصيتـه هـو طـول الوقـوف كمـا سـئل النبـي ﷺ عـن

أفضل العبادة، فقال: «طُولُ الْقُنُوتِ»[1]، لكن طول القنوت هنا يخفُّ، وفي الليل يحلو ويَلَذُّ، وعلى الحافظ يصعب إذا فات، ويثقل يومه إذا لم يقم، وتتعكَّر نفسه إذا لم يلاقِ ربه ليلًا، كما في الحديث: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وَإِذَا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَنْهُ عُقْدَتَانِ، فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»[2].

وهذا هو عنوان ما سوف يصنعه القرآن بالقيام في كل وحشة قادمة في القبر، وعند البعث والنشور، وعند الحشر، وعند كل موقف من مواقف الآخرة، وهكذا يزيل القرآن عن العبد كابوس الظلمات، فكل جزاء في الدنيا إنما هو عاجل بشرى القائم بالقرآن فالجزاء من جنسه ولكن الجزاء الأعظم في الدار الآخرة، كما هو الأصل في أمثالها كقوله -سبحانه-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: 79].

وكقوله -سبحانه-: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ [الرحمن: 60].

وكقوله -سبحانه-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه مسلم (776).

مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة: 25]، بل فيها ما يكاد أن يكون نصًّا في أن من قام الليل بالقرآن خفَّف الله عنه قيام ذلك اليوم وخفَّف عنه طوله وثقله، فقال -سبحانه-: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان: 26 - 27]، أي من ذكر اليوم الثقيل أعد له قيام الليل الذي هو مُذْهِبُ ثقله ومزيل عسرته منه.

ومن أذاقه الله -سبحانه وتعالى- طعم القرآن في الليل وطعم قيام الليل لم يثبت عليه فحسب إنما لا يزال في طلب المزيد، والمزيد في الليل، والمزيد في الآخرة، والمزيد في الجنة بعد كل مزيد وهو النظر إلى وجه الله ﷻ.

❁ خاتمة التعاهد

يا أيها الحافظ المُحَفِّظ المحفوظ: لا تتعب نفسك كثيرًا وعندك القيام بالقرآن، ولسوف تتعب كثيرًا إذا لم يقم طلابك بالقرآن، ولسوف يتبعثر طلابك، وتتبعثر وصاياك بعيدًا عن شخصية كل طالب؛ لأنك مثل من يزرع أحسن الزرع ويغرس أحسن الغرس في منطقة مواشي وأنعام سائبة وأرضك بغير سور... بل القرآن هو الضابط والحامي والسور وهو الحصن الحصين، بل هو الغيث للأرض أي للقلب، كما قال الله -سبحانه-: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ

وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد: 17].

لقيام الليل أثر ينطبع على القلب مباشرة، وختم يحفر بنوره نورًا في القلب مباشرة، فهو مركَّز على مَرْكَزِ التغيير، ولسوف تلاحظ أنت أيها الشيخ المبارك أثر ذلك في خُلُقه، في حياته في نظراته وفي نضرته، في مقاصده في غاياته.. في صناعة إنسان جديد.

ولسوف ترى الفارق الكبير الذي سوف يحدث ما بين طالب يقوم الليل ويحافظ عليه، وطالب لا يقوم الليل، حتى في قوة الحفظ وإتقانه.

كيف لا والله –سبحانه– أوصى أرفع الناس مقامًا بقيام الليل بالقرآن ولسوف يبلغ بهذا السبب المقام المحمود الأوحد، فقال –سبحانه–: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: 79].

ألا يا أيها المعلم المحفظ المُكَرَّم: أوصله إلى قيام الليل واخرج، أوصله إلى قيام الله ليسمع كلام الله وكأنك أوصلته إلى الوادي المقدس حيث التقى موسى عليه السلام ربه وسمع من الله كلام الله.. وعندها كان موسى النبي الرسول، بل كان معه هارون رسولًا من الله ووزيرًا لأخيه.

وهكذا يلاقي الله قائم الليل المتهجِّد بالقرآن، وهو كلام الله، ألا فلتعلم أن طالبك لن يعود من قيام الليل مثلما كان، كما أن موسى عليه السلام لم يرجع من الوادي المقدس مثلما كان قبل دخوله، فكان الفارق الهائل ما بين

موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل لقاء الوادي المقدس وموسى بعد اللقاء.

ثم إنه لا يمكن حساب عطاء الله عَزَّ وَجَلَّ للمتهجِّد بالليل لأن حساباتها ليست داخلة في الحساب ولا العد ولا الرصد أبدًا، فماذا بعد مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألم يقل الله -سبحانه وتعالى- له: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء: 79].

فالله -سبحانه- هو من يفيض عليه وهو من يعطيه.. وهو -سبحانه- من اختار هذا الوقت وخصّه، وهو من اختار كلامه لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للتهجُّد وخصَّه، والله هو من حدّ عطاءه لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هنا وكأنه بالنسبة لنا ما حدَّه، لأن ذلك فوق الحد وفوق التصور.



الخاتمة

فحافظ القرآن لن يفارق رَبَّانِيَّتَهُ وإن فارقت روحه جسده، والرَّبَّانِيُّ لن ينسلخ من آيات ربه إلا بكفر أو رِدَّةٍ والعياذ بالله، والمرتدُّ ليس برباني حتى وإن كان قد حفظ القرآن من قبل وإنما هو مثل السوء، وهذا يدل على أنه كان منافقًا خفيًّا وعابد هوى وقد ضرب الله به المثل، فقال الله -سبحانه-: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف: 175].

فيا لهف نفسي على الصفاء والنقاء، والخلوص والخلاص والإخلاص المتمثِّل في قلوبٍ سكنت في خَلْقٍ من خلق الله ... نهلوا من المنبع الأول نهلًا مباشرًا، وحفظوا كلام الله حفظًا كاملًا، وانطلقوا عاملين بأرواح طاهرة مُطَهَّرة مُتَطَهِّرة لبقية خلق الله.. تدرك الأرواح الأخرى تمام الإدراك ما لأرواح الربانيين من طُهْرٍ لا تبلغها هي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين،،

فهرس الموضوعات







فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾	الفرقان	74	23
﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	النحل	98	25-28
﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾	الجن	1	25-27
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾	النساء	76	28
إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾	الواقعة	77	28-29
﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴾	الإسراء	88	29-241
﴿ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴾	الشعراء	194	29
﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	البقرة	37	29
﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴾	طه	117	32
﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾	الإسراء	53	32
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ﴾	الأعراف	201	33
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	غافر	56	34
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾	العنكبوت	46	34
﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾	الزخرف	58	35



الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾	الحج	52	42
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾	الأنعام	112	42
﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠﴾	الأعراف	20	42
﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا﴾	الأحزاب	38	43
﴿وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾	الفرقان	32	47
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾	هود	47	48
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	الأعراف	200	48
﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	آل عمران	121	50
﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾	الكهف	109	52-241
﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾	الزلزلة	4	53
﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ﴾	يس	12	54



الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾	الجمعة	10	76
﴿ فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴾	الطور	34	76
﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾	النجم	59-60	76
﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾	آل عمران	159	78-124
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	الحشر	21	78-251
وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾	لقمان	19	78
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات	56	79
﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴾	طه	14	79
﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾	العنكبوت	45	79
﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾	الإسراء	79	79
﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	التوبة	103	79
﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	الحج	37	79
﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	البقرة	179	80

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾	النجم	42	96
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	الأنفال	2	97-223
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	آل عمران	146	97-98-103-111
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾	الأنفال	9	103
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	آل عمران	123	103
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾	الأنبياء	45	104
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	الأنفال	1	105
﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾	الإسراء	107	105
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	الأنعام	122	108
﴿ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴾	الفرقان	3	108
﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾	يونس	58	110
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾	فصلت	53	111

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	الزمر	22	123-124
﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾	الحشر	9	124
﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾	الأنفال	11	124
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾	الفتح	24	124
﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾	التوبة	14	125
﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	التوبة	13	125
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	الفتح	4	125
﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	الفتح	18	125
﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	البقرة	177	125-126



الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	الأنعام	82	133
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾	الأنعام	92	133-134-233
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾	الإسراء	53	134
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	الأنبياء	48-92	134-135-136
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾	الرعد	41	136
﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾	المائدة	109-120	136-137
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾	عبس	1-4	138
﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	الممتحنة	4	138
﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾	القلم	48	138
﴿كٓهيعٓصٓ ١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾	مريم	1-11	139
﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾	ص	21-24	139
﴿إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ﴾	ص	31	139
﴿وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا﴾	الكهف	27	140



الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾	التوبة	43	140
﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾	البقرة	139	142
﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	الأنعام	52	143
﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	الزمر	11-12	143
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾...	المؤمنون	1-2	145
وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾	البقرة	83	145
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾	الإسراء	53	145
﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾	النجم	10	146
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ﴾	الكهف	1	146
﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾	الإسراء	53	146
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	فصلت	33	147
﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾	العنكبوت	46	147

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾	فصلت	35	148
﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	يوسف	90	148
قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	يوسف	92	148
﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	الشوري	40	148
﴿وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	البقرة	237	148
﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾	النور	22	149
﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾	الفتح	26	149
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	المائدة	28	149
﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾	الأعراف	146	151
﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾	غافر	35	151



الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾	البقرة	185	216
﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	آل عمران	138	216
﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	النساء	83	216
لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾	آل عمران	113	221
﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾	الإسراء	106	221
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ۩﴾	مريم	58	221
﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾	الإسراء	79	221
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾	المائدة	82	222
لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾	الحشر	21	223



الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾	التوبة	127	226
﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾	محمد	29	226
﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَلۡزَمَهُمۡ كَلِمَةَ ٱلتَّقۡوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾	الفتح	26	227
﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾	الحج	46	227
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الشعراء	192	227
﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾	سبأ	23	228
﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ﴾	الشورى	51	228
﴿حمٓ ١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾	الدخان	1	229
﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾	الزخرف	4	229-247
فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا﴾	النساء	41	230
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ﴾	النساء	44	231
أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	الأنعام	122	232

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	الذاريات	21	247
﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا﴾	الإسراء	86	248
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾	الأنبياء	25	249
﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾	الأنبياء	19	249

فهرس الأحاديث

















فهرس المصادر والمراجع

الكتاب	المؤلف
الصحيح المسند من سنن رسول الله	البخاري
الصحيح	مسلم
السنن	الترمذي
السنن	أبو داود
السنن	ابن ماجه
السنن الصغرى	النسائي
السنن الكبرى	النسائي
المسند	أحمد ابن حنبل
المستدرك	الحاكم
الصحيح	ابن حبان
المعجم الكبير	الطبراني
المعجم الأوسط	الطبراني
المصنف	ابن أبي شيبة
المسند المعلل	البزار
الأسماء والصفات	البيهقي
السنن الكبرى	البيهقي
الموطأ	مالك
السلسلة الصحيحة	الألباني
صحيح الترغيب والترهيب	الألباني
الترغيب والترهيب	المنذري
مسند عبد بن حميد	عبد بن حميد
شرح السنة	البغوي



الكتاب	المؤلف
جامع الأصول	ابن الأثير
مسند أبو يعلي	أبو يعلي الموصلي
صحيح ابن خزيمة	ابن خزيمة
سنن الدارمي	الدارمي
المطالب العالية	ابن حجر
تلخيص المستدرك	الذهبي
ضعيف الأدب المفرد	الألباني
تفسير الطبري	الطبري
السراج المنير في ترتيب أحاديث الجامع الصغير	عصام موسي هادي
الموسوعة الفقهية الكويتية	مجموعة من المؤلفين
زاد المعاد	ابن القيم
تفسير القرآن العظيم	ابن كثير
نظم الدرر في تناسب آيات والسور	البقاعي
فضائل القرآن	ابن كثير
موسوعة فضائل وسور القرآن	محمد طرهوني
كيف لا أحفظ القرآن	المؤلف
فصول إسلامية	علي الطنطاوي
المصباح المنير	الفيومي
لسان العرب	ابن منظور
تخريج أحاديث الإحياء	العراقي
ومن عنده علم الكتاب	المؤلف

فوائد الكتاب







هذا الكتاب يناقش:

- هل فهم القرآن أولي من حفظه؟!.
- كيف يحافظ المعلم علي طلاب حلقات القرآن.
- كيف يحصن الطلاب أنفسهم من الشيطان ووسوسته.
- كيف تكون من الربانيين، وما هي خصائصه وصفاته.
- كيف يتحول المعلمين إلي ربانيين.
- كيف يصنع القرآن أخلاقك.
- كيف يكون القرآن الكريم ربيع القلب ونور الصدر وجلاء الحزن وذهاب الهم والغم.
- كيف يصنعك القرآن الكريم
- كيف يعود لنا التدبر!
- لماذا اقرأ القرآن؟!
- كيف نتعاهد القرآن؟
- هذا الكتاب زاد لحامل القرآن من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، حيث أنه يحتوي علي 291 آية، و355 حديث.